

وروس البلاغة

تأليف

سلطان محمد
مصطفى طموم

حفي ناصف
محمد دياب

شرح

فضيلة الشيخ العلامة اللغوي

محمد بن صالح العثيمين

رحمته الله (١٣٤٧ - ١٤٢١هـ)

اعتنى بهما

محمد بن فلاح المطيري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وروس البلاغة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجاريه
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥
الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠
Website: www.gheras.com
E-Mail: info@gheras.com

مكتبة أهل البيت

الكويت - خيطان القديم - تلفاكس: ٤٧٦١٣٦٥ -
تقال: ٧٦٩٨٨٩٦
الكويت - الرحاب - ص. ب ٢٨٢
E - mail:
aaheal_alather@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المعني

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٧) (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) (٣).

أما بعد (٤):

(١) آل عمران.

(٢) النساء.

(٣) الأحزاب.

(٤) ما سبق هي خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يفتتح بها خطبه، وهي بليغة في نفوس المتقين عظمة الوقع مذكرة؛ بما اشتملت عليه من الوصية بتقوى الله والاستعانة والاستعاذة به وحده، وحمده وطلب المغفرة منه سبحانه، وأن الهداية لا تكون إلا بتوفيق منه عز وجل، وأن الفوز الحقيقي لا يكون إلا بطاعة الله ورسوله.

ويرجع الفضل - بعد الله عز وجل - في نشر هذه السنة بين المسلمين وإحيائها في =

فليس ثَمَّةَ وعاءٍ مُلئٍ فصاحةً وبلاغةً وبياناً أجمَعَ من كتابِ الله عزَّ وجلَّ،
وليس في غابرِ الخلقِ إلى أن تقومَ الساعةُ أئينَ معنىً وأفصحَ لفظاً وأبلغَ قِصداً في
نفوسِ سامعيهِ من رسولِ اللهِ ﷺ، وليس في العلومِ الرديفةِ علمٌ يهبُ النفوسَ من
كنوزِ الوحيينِ سِحراً وتبراً أكرمَ نفساً من علمِ البلاغةِ والبيانِ.

ولمَّا كانتِ الحاجةُ إليه عزيزةً، وبُغيةُ النفوسِ إليه عظيمةً؛ أوحى مِداً
العارفينَ به إلى الصُّحفِ ما أوحى، فجاءتْ به الأسفارُ الجليلةُ بما جادتْ به
العربيةُ من فيضِ جواهرها النيرةِ، وليس هذا مقامُ ذكرِ التليدِ منها والجديدِ، غيرَ
التوقُّفِ عند هذا المتنِ الفريدِ، الموسومِ علامةً بـ «دروس البلاغة»، لمؤلفيه:
حفني ناصف، ومحمَّد دياب، وسلطان محمَّد، ومصطفى طُموم^(١).

وهذا المتنُ - على صِغَرِهِ - حَظِيَّ بعنايةٍ من شَرَحَهُ من المشايخ والعلماءِ،
فمنهم عَلمُ الدين محمد ياسين بن عيسى الفاداني الأندونيسيّ تحت عنوان: «حُسْنُ
الصِّياغةِ شَرْحُ دروسِ البلاغةِ»، والشيخُ أبو الأفضال محمد الدامفوري تحت
عنوان: «شموسِ البلاغةِ».

وقد ذَكَرَ لي شيخُنا د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي - حفظه اللهُ -
أنَّهُ دَرَسَ هذا المتنَ سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) في الجامعةِ الرحمانيةِ في مدينةِ
(بنارس) شمالِ الهندِ التابعةِ للجامعةِ السلفيةِ، وأنَّهُ ما يزالُ يُدَرِّسُ هناكِ.

= عصرنا هذا إلى الإمام المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ (ت):
١٤٢٠هـ)، الذي ضَبَطَ ألفاظها وجمَعَ طُرُقها وخرَّجها ودعا إلى التمسُّكِ بها في رسالتهِ
المشهوره: «خُطبةُ الحاجةِ التي كان رسولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُها أصحابه»، فرَحِمَهُ اللهُ رحمةً
واسعةً.

(١) لم أحرص على تتبعِ تراجمهم، هذا إن وُجِدَ لبعضهم ترجمة، ولعلَّ أشهرهم هو حفني
ناصر المتوفَّى سنة ١٣٣٨هـ.

ومن شُرَاحِه مَنْ نحن بصَدَدِه الآن وهو فضيلةُ الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ، فللشيخ رَحِمَهُ اللهُ عنايةٌ بالغةٌ باللُّغةِ العربيةِ وعلومِها، ولا أدلُّ على ذلك من شرحه لألفية ابن مالك في النحو والصرف، و- من قبلُ - متن الأجرؤميَّة، بالإضافة لشرح منظومة «الدُّرَّةُ اليتيمة» في النحو للحضرمي، وكتابه لقواعد في الإملاء، واختصاره لـ «مغني اللبيب عن كتب الأعراب» لابن هشام الأنصاري، وشرحه لعلوم البلاغة العربية هذه.

ومؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ودروسه زاخرةٌ بذكر المسائل اللغوية والنحوية والشواهد الشعرية، فلا تكادُ تقرأ للشيخ مؤلفاً، أو تسمعُ له شرحاً مُسجَّلاً؛ إلا وجدت الأعراب العديدة، والتوضيحات الكثيرة لغريب الكلمات لغةً ودلالةً.

وشرح البلاغة هذا ليس مُحَرَّرًا بخطه رَحِمَهُ اللهُ، وإنما هو سلسلةٌ دروسٍ في شرح هذا المتن ألقاها رَحِمَهُ اللهُ على طلبته^(١)، وهي مُسجَّلةٌ في خمسة أشرطة، قمتُ بتفريغها ووضع كلِّ جزئية من الشرح في موضعه المناسب من المتن كحاشية له.

* ويجدر هنا التنبيه إلى أمورٍ تتعلق بشرحه رَحِمَهُ اللهُ :

١- قد يستطرد رَحِمَهُ اللهُ أحياناً في معنى بيتٍ أو جزئيةٍ ما بعيداً عن الشاهد المطلوب.

٢- هناك بعض الجزئيات أو رؤبما الفقرات لم يقم رَحِمَهُ اللهُ بشرحها؛ إما لوضوحها أو سهواً منه رَحِمَهُ اللهُ.

(١) بدأ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في شرحه في ١٤/ربيع الآخر/ ١٤١٩هـ، وانتهى منه في الرابع والعشرين من الشهر نفسه، وله رَحِمَهُ اللهُ شرحٌ قديمٌ لكن تسجيله غير واضح كثيراً.

٣ - أحياناً رَحِمَهُ اللهُ يأتي بلفظة عامية، فعندئذ أقوم باستبدال الفُصحى بها، كما استبدلتُ (حَسَنًا) بـ (طَيِّب)، و(لماذا) بـ (ليش) ونحو ذلك.

٤ - كثيراً ما يُعبر رَحِمَهُ اللهُ عن المؤلفين بصيغة المُفردِ بقوله: (المؤلف).

٥- قد يذكر رَحِمَهُ اللهُ أحياناً معلومة غير مُكتملة أو يُخطئ فيها سهواً منه، ففي هذه الحالة أقوم بإغائها، وأحياناً يسأل سؤالاً ثم يجيب عنه فأقوم بالربط بينهما بحذف أداة الاستفهام وتغيير ما يلزم، وأحياناً تحتاج العبارة إلى تعديل بسيط بحذف كلمة أو إضافتها، وأحياناً يُكرَّر بعض الجملِ فأُثبتُ أسلمها، وهذا كله ولله الحمد قليلٌ وبسيطٌ، فمن المعروف أن مقامَ التدريس والارتجال ليس كمقام التحريرِ وضبطِ المقال، ويشهدُ لهذا ما قاله^(١) فضيلةُ الشيخ العلامة المحدث عبد المحسن بن حمد العباد - حفظه الله - متحدثاً عن مؤلفاتِ الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ومؤلفاته تنقسم إلى قسمين:

١- قسم حرَّره بنفسه وأخرجه بعد تحريره واطمئنانه إليه.

٢- وقسم لم يُحرَّره، ولكنه استخرج من الأشرطة وطبع، فهذا مأخوذ من دروسه ومن الأشرطة التي اشتملت على دروسه ولكنه لم يُحرَّره، ولكنه لا شك أنها مفيدةٌ وعظيمةُ النفع» اهـ.

* عملي في هذا الكتاب:

- ١- ضبط كل من المتن وشرح الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بالتشكيل وعلامات الترقيم، غير أن التشكيل في شرح الشيخ جاء بقدر الحاجة إليه.
- ٢- عزو الآيات الواردة فيهما.

(١) من محاضرة ألقاها حفظه الله على طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعنوان «الشيخ محمد بن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته».

٣- تخريج الأحاديث والآثار الواردة فيهما تخريجاً مختصراً.

٤- تبخير الآيات الشعرية الواردة فيهما.

٥- عزو الآيات التي ذكرها الشيخ رحمته الله إلى قائلها.

٦- إثبات المتن في الطبقة الأولى، ثم شرح الشيخ رحمته الله في الطبقة الثانية، ثم ما

كان من تعليق مني في الطبقة الثالثة، ويجب التنبيه هنا إلى أن الحاشية ذات

الأرقام هي من كلام الشيخ رحمته الله، وأن الحاشية ذات النجوم هي تعليق لي.

٧- بالنسبة لأسئلة الطلبة بعد كل درس فإني أثبتت منها ما كان واضحاً ونافعاً،

ووضعتها في المكان المناسب لها من المتن أو الشرح.

أما قبل، فإن الشكر دين أي دين، وليس أحد في هذا المقام بعد رب العزة

بأولى به من أستاذي الفاضلين: أ.د. موسى ربابعة، وفضيلة الشيخ خيرى ورابي،

حفظهما الله، اللذين درست عليهما البلاغة العربية، فجزاهما الله خير الدارين.

والله أسأل أن يجزي فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمته الله خير

الجزاء، وأن يوسع له في قبره، وأن يُغلي درجته في الآخرة، ويحشره يوم القيامة مع

الذين يقدمهم الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وهذا جهد مقل، على الكمال غير مُطل، وصلى الله وسلّم على النبي

محمد ما ضاء بذر وهل.

وكتب

محمد بن فلاح بن مشعان المطيري

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الخميس ١٤٢٥/٥/٦ هـ

الموافق ٢٠٠٤/٦/٢٤ م

الكويت - صباح الناصر

ترجمة موجزة للعلامة

ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ

* اسمه: هو الشيخ العلامة الحَبْرُ البحر المفسِّرُ الفقيه اللُّغويُّ المدقُّقُ الأصوليُّ الزاهد الورع الإمام أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان ابن عبد الرحمن بن عثمان الوهبيُّ التيميُّ، وعثمان هذا أُطْلِقَ عليه (عثيمين) فاشتهرَ به.

* مولده: وُلِدَ الشَّيْخُ في مدينة عينة إحدى مُدُنِ القصيم في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ.

* نشأته وشيوخه: نشأ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ في عائلة معروفة بالدين والاستقامة، فقد تتلمذ ابتداءً على جده من جهة أمِّه الشَّيْخِ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ رَحِمَهُ اللهُ، ومن أشهر شيوخه وأكثرهم فقهاً وعلماً وأكثرهم ملازمةً له علامة القصيم المفسِّرُ الفقيه الأصولي الشَّيْخِ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ، إذ أخذ عنه كثيراً من العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وحديث وتفسير ولغة، ودرس أيضاً على يد سماحة الشَّيْخِ العلامة عبد العزيز بن عبد الله آل باز رَحِمَهُ اللهُ وكثيرٍ من علماء الحرمين ونجد والقصيم.

* من صفاته: رُزِقَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ ذكاءً وزكاءً وهمَّةً عاليةً في تحصيل العلم ومزاحمة الرُّكَبِ عند العلماء في حِلَقِ العلم، وكان منذ بداية طلبه للعلم مشغولاً بالتحصيل واغتنام الوقت وصرفه في المطالعة والمكوث الطويل في المكتبات.

وَعُرِفَ رَحِمَهُ اللهُ بالصدق والأمانة والزهد والإعراض عن الدنيا، وكان رَحِمَهُ اللهُ

حسنَ الخُلُقِ، كريمَ اليدِ، لَيِّنَ الجانبِ، وعنايةُ الشَّيْخِ بطلبة العلم ومعاملته لهم خيرُ شاهدٍ على بَذْلِهِ للعلم وحرصِهِ على بثِّه بينهم، فكان يعقد الدروسَ لهم، ويسأل عن غائبهم، ويعود مريضهم، ويُعين مَنْ كان محتاجاً منهم، وكان رَحِمَهُ اللهُ آمِراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مُتمسكاً بسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، مستقيماً على طاعة الله.

* تلاميذه: لما اشتَهَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ بسعة العلم والتبحُّر في المسائل الشرعية؛ حرص طلابُ العلم على التوافد عليه من كل مكان والأخذ عنه، وقد أخذ طلابُه أثناء حياته وبعد وفاته ينشرون العلمَ الذي اقتبسوه منه رَحِمَهُ اللهُ في بلدانهم التي جاؤوا منها.

ولكثرة طلابه ولوجازة هذه الترجمة؛ لا يمكن ذكرهم أو بعضٍ منهم، ويُرجع في ذلك إلى كتاب «الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين» لمؤلفه: وليد بن أحمد الحسين، وكتاب «الدُّرُّ الثمين في ترجمة فقيه الأُمَّة العلامة ابن عثيمين» لمؤلفه: عصام بن عبد المنعم المري.

* بعض المناصب التي تقلَّدها: كان رَحِمَهُ اللهُ عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ومحاضراً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وكان مِمَّنْ يجلس في الحرم المكي في شهر رمضان للتدريس والإفتاء، وعُرِضَ عليه القضاء فطلب الإعفاء منه لِوَرَعِهِ رَحِمَهُ اللهُ.

* مؤلفاته: أثارى الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ المكتبةَ الإسلامية بالعديد من الكتب والمصنَّفات التي لا يَسْتغني عنها أيُّ طالب علم، ومؤلفاته رَحِمَهُ اللهُ تربو على مِئَةِ مُصنَّفٍ ما بين شرحٍ ومختصرٍ وكتيبٍ ورسالةٍ، بله الشروح المسجَّلة في مئات الأشرطة، فمنها على سبيل الذكر لا الحصر:

- ١- الشرح الممتع على زاد المستقنع.
- ٢- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.
- ٣- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.
- ٤- القول المفيد شرح كتاب التوحيد للمجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.
- ٥- شرح بلوغ المرام للحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ.
- ٦- الأصول من علم الأصول.
- ٧- المنهج لمريد الحج والعمرة.
- ٨- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ.
- ٩- حقوق دَعَتْ إليها الفطرة وقررتها الشريعة.
- ١٠- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع.

* وفاته: تُوفِّيَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الأَرْبَعَاءِ ١٥/١٠/١٤٢١هـ الموافق
١٠/١/٢٠٠١م بمدينة جدة في المملكة العربية السعودية إثرَ مَرَضٍ أَلَمَ بِهِ،
وَصُلِّيَ عَلَيْهِ فِي الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ، وَدُفِنَ بِمَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ، رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

* * *

مقدمة المؤلفين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي قَصَرَتْ عبارةُ البُلْغَاءِ عن الإحاطةِ بمعاني آيَاتِهِ، وَعَجَزَتْ أَلْسُنُ الفُصْحَاءِ عن بيانِ بدائعِ مصنوعاتِهِ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على مَنْ مَلَكَ طَرْفِي البِلاغَةِ إطناباً وإيجازاً، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الفَاتِحِينَ بهدِيهِمْ إلى الحَقِيقَةِ مَجَازاً^(١).

وبعدُ، فهذا كتابٌ في فنونِ البِلاغَةِ الثلاثةِ، سَهْلُ المَنَالِ، قَرِيبُ المَأْخِذِ، بَرِيءٌ مِنَ وَضْمَةِ التَّطْوِيلِ المُمِلِّ، وَعَيْبِ الاِخْتِصَارِ المُخِلِّ، سَلَكْنَا فِي تَأْلِيْفِهِ أسهَلَ التَّرايِبِ، وَأَوْضَحَ الأسَالِيبِ، وَجَمَعْنَا فِيهِ خُلَاصَةَ قَوَاعِدِ البِلاغَةِ؛ وَأُمَّهَاتِ مَسَائِلِهَا، وَتَرَكْنَا ما لا تَمَسُّ إِلَيْهِ حَاجَةُ التَّلَامِيذِ مِنَ الفَوَائِدِ الزَّوَائِدِ؛ وَقَوْفاً عِنْدَ حَدِّ اللَّازِمِ، وَحِرْصاً على أوقَاتِهِمْ أَنْ تَضِيعَ فِي حَلِّ مُعَقَّدٍ، أو تَلْخِصَ مُطَوَّلٍ، أو تَكْمِيلِ مُخْتَصَرٍ، فَتَمَّ بِهِ مَعَ كُتُبِ الدُّروسِ النَّحْوِيَّةِ سُلْمُ الدِّرَاسَةِ العَرَبِيَّةِ فِي المَدَارِسِ الاِبْتِدَائِيَّةِ وَالتَّجْهِيْزِيَّةِ.

والفضلُ في ذلك كُلِّهِ لِلأَمِيرَيْنِ الكَبِيرَيْنِ نُبَلَاً، وَالإِنْسَانَيْنِ الكَامِلَيْنِ فَضْلاً، نَاطِرِ المَعَارِفِ، المَتَجَافِي عَنِ مِهَادِ الرِّاحَةِ فِي خِدْمَةِ البِلَادِ، الوَاقِفِ فِي مَنَفَعَتِهَا على قَدَمِ الاستعدادِ، صَاحِبِ العُطُوفَةِ: مُحَمَّدِ زَكِي باشا، وَوَكِيلِهَا ذِي الأيَادِي

قال الشيخ العلامة اللغوي محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

(١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مثل هذا الأسلوب يُسَمِّيهِ العُلَمَاءُ «بِرَاعَةَ الاِسْتِفْتِاحِ»، يَعْنِي: أَنْ الإِنْسَانَ يَسْتَفْتِحُ بِكَلَامٍ يَدُلُّ على المَوْضُوعِ، فَهنا يَقُولُ: «عِبارةُ البُلْغَاءِ» إِشارةً إلى هَذَا الفَنِّ: هُوَ عِلْمُ البِلاغَةِ وَالفِصَاحَةِ، وَقَالَ أَيضاً: «عَن بَيانِ بَدائِعِ مَصنُوعاتِهِ» بَدائِعُ: [إِشارةٌ إلى] عِلْمِ البَدِيعِ؛ لِأَنَّ هَذَا الفَنَّ يَعودُ على هَذَا الشَّيْءِ.

البيضاء في تقدّم المعارف نحو الصّراطِ المستقيم، وإدارة شؤونها على المِخْوَرِ القويم، صاحب السعادة: يعقوب أرتين باشا، فهما اللذان أشارا علينا بوضع هذا النظام المفيد، وسلوك سبيل هذا الوضع الجديد.

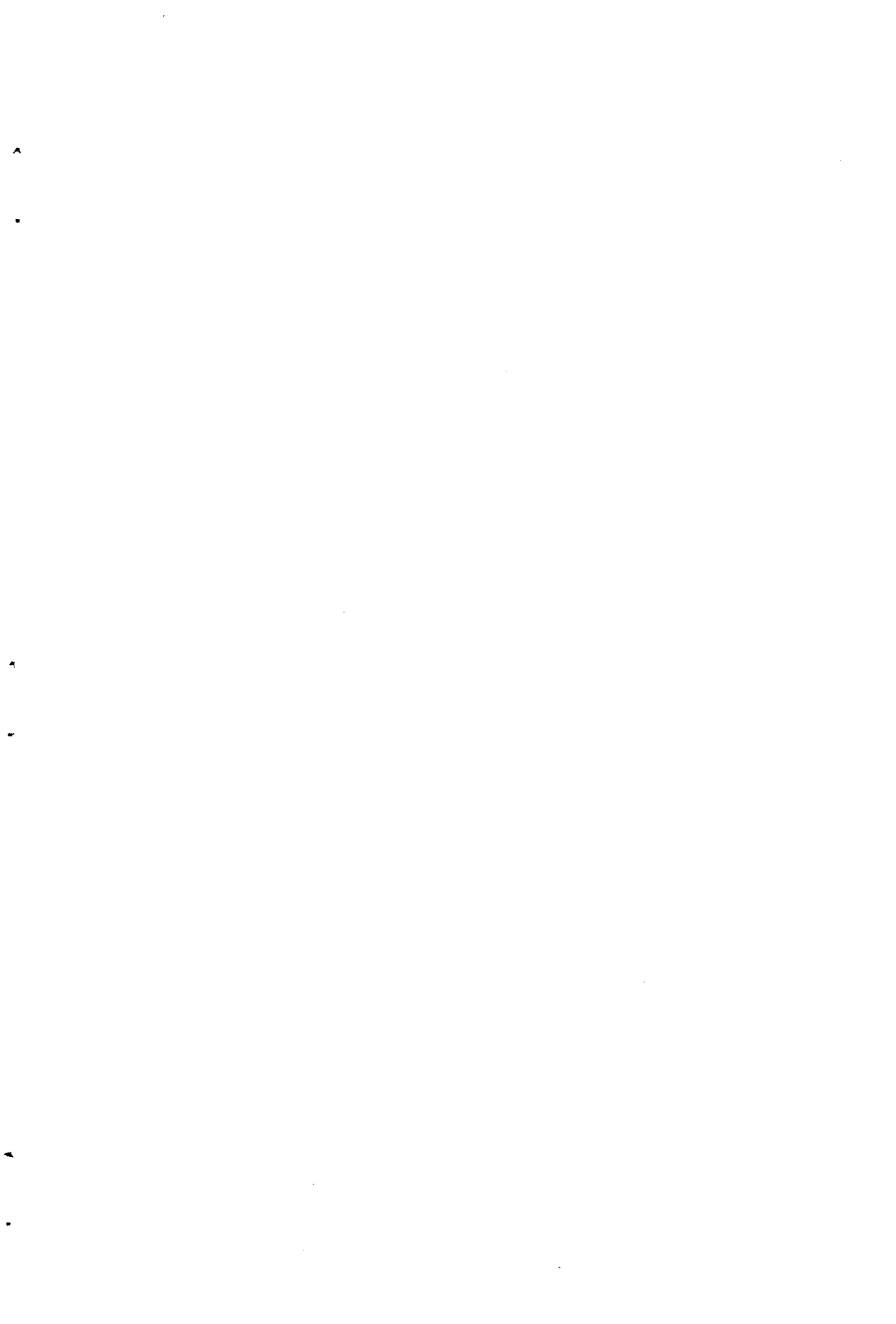
حَفْنِي ناصف محمّد دياب سلطان محمّد مصطفى طموم

* * *

مقدمة

في

الفصاحة والبلاغة



مقدمة في الفصاحة والبلاغة

الفصاحة في اللغة تُبنى عن البيان والظهور. يقال: «أفصح الصبي في منطِقِه» إذا بانَ وظَهَرَ كلامُه.

وتَقَعُ في الاصطلاح وَصفاً للكلمة، والكلام، والمتكلم^(١).

١- فصاحة الكلمة: سلامتها من تنافر الحروف، ومخالفة القياس، والغرابية^(٢).

أ- فتنافر الحروف: وَصِفَ في الكلمة يُوجِبُ ثِقَلَهَا على اللسان، وَعُسْرَ التُّطْقِ بها، نحو: «الظُّش» للموضع الحَشن، و«الهُعُخُع»^(٣) لنبات ترعاه الإبل،

(١) إذا موضوع الفصاحة ثلاثة: الكلمة، والكلام، والمتكلم، كلٌّ منها يقال: «فصيح»، وفَسَّرَها المؤلِّفُ.

(٢) سلامتها من ثلاثة أمور:

الأول: تنافر الحروف: يعني بأن تكون حروفها متألِّفة غير مُتَنَافِرَة، والتألَّفُ: أن يَسْهُلَ التُّطْقُ بها مُجْتَمِعَةً، والتنافر: أن يَضْعَبُ التُّطْقُ بها مُجْتَمِعَةً.

الثاني: مخالفة القياس: يعني القياس النَّحْوِي، فما خالَفَ القياس النَّحْوِيَّ أو الصَّرْفِيَّ فَإِنَّه غيرُ فصيح.

الثالث: [الغرابية].

(٣) هذه فيها تنافر حروف؛ لأنه يَضْعَبُ التُّطْقُ بها؛ إذ أن كلَّ حرفٍ لا يَتَلَاءَمُ بما بعده، «الظُّش» أهونُ منها، يعني (الظُّش) ليس فيه تنافرٌ كثيرٌ^(*).

(*) وهذه إشارة منه كَقَوْلِهِ إلى أن الثقل الناتج عن تنافر الحروف ينقسم إلى قسمين:

١- يُقَلُّ شديد. ٢- يُقَلُّ خفيف.

و«الثَّقَاخ» للماء العَذْب الصَّافِي، و«المُسْتَشْزِر» للمَفْتُول^(١).

ب- ومخالفة القياس: كونُ الكلمة غيرَ جاريةٍ على القانونِ الصَّرْفِيِّ^(*)، كجَمْعِ «بُوق» على «بُوقَات» في قولِ المُتَنَبِّي [الطويل]:

فإنَّ يَكُ بعضُ الناسِ سيفاً لدولةٍ ففي الناسِ بُوقَات لها وطُبوؤ

إذ القياسُ في جَمْعِهِ لِلقَلَّةِ: «أَبُوق»، وك «مَوْدِدَة» في قوله [الرَّجَز]:

إنَّ بَنِيَّ لِلنَّامِ زَهْدَهُ ما لِي في صُدُورِهِم مِّن مَّوْدِدَة

والقياس: «مَوْدِدَة» بالإدغام^(٢).

ج- والغرابة: كونُ الكلمة غيرَ ظاهرةٍ المعنى، نحو: «تَكَأكَأ» بمعنى: اجتمع، و«أَفْرَنْقَع» بمعنى: انصرفت، و«أَطْلَحَم» بمعنى: اشتدَّ^(٣).

(١) هذه كلها كلمات متنافرة، لكن «الثَّقَاخ» ليس فيه تنافر إلى ذلك، إلا أنها كلمة مُسْتَهْجَنَةٌ، بمعنى أن التَّنَسُّ لا ترتاح لها، فالماء الصافي العَذْب لا ينبغي أن يُوصَفَ بهذا الوصف.
(٢) إذا الفرق في موضع الإدغام يُعتَبَر غيرَ فصاحةٍ لِمخالفةِ القياس، كذلك «أَبُوق» إذا قال «بُوقَات» فهذا مخالف للقياس؛ لأنَّ القياسَ أن يُجَمَّع على «أَبُوق» لا على «بُوقَات».
(٣) يعني لو قال إنسان: «اليومَ أَطْلَحَمَ الحرُّ» يعني: اشتدَّ، هذا غريب، يعني غير معهود أن يُعَبَّر بكلمة «أَطْلَحَمَ» عن «اشتدَّ»، كذلك «تَكَأكَأ» بمعنى: اجتمع، وهذا أيضاً غريب، فإذا عبَّر الإنسانُ عن «اجتمع» ب «تَكَأكَأ» قيل: الكلام غير فصيح لغرابة الكلمة.
إذا:

١- تنافر الحروف في الكلمة يُعَدُّ غيرَ فصاحة.

٢- كونها على خلاف القياس - كالفك في موضع الإدغام - أيضاً غيرَ فصيح؛ لأنها مخالفة للقياس.

(*) وَيُسْتَنَى من ذلك: ما اسْتَنَى من القواعد الصرفية وهو مخالف للقياس، فيُعَدُّ فصيحاً، مثل: «مسجد» بكسر الجيم، والقياس فتحها؛ لأنَّ مضارعه مضموم العين فيكون على وزن «مَفْعَل»، ولكن هكذا نطقت به العرب.

٢- وفصاحة الكلام: سلامته من تنافر الكلمات مُجتمعةً، ومن ضعف التأليف، ومن التعقيد^(*)، مع فصاحة كلماته.

أ- فالتنافر: وصف في الكلام يُوجب ثقْله على اللسان وعُسْر التُّطْقِ به، نحو [الكامل]:

... .. في رَفَعِ عَرْشِ الشَّرْعِ مِثْلَكَ يَشْرَعُ
[الرَّجَز]:

... .. وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ^(١)

= ٣- غرابتها بحيث لا تُستعمل إلا قليلاً، غير فصيحة لغرابتها.

يقول الحريري في مقاماته^(**) رَحَلَهُ [السيط]:

وطالما مَرَّ بي كَلْبٌ وفي فَمِهِ نُوْرٌ ولكنَّهُ نُورٌ بلا ذَنْبٍ

ما الذي يُفهم من هذا؟، النُّور: هو قُرْصُ البَقْلِ، هذا يُسَمَّى نُوراً في اللغة العربية، لكن التعبير عنه بكلمة «نور» غريبٌ، فيعتبر هذا غير فصيح^(***).

(١) الآن لو نظرنا إلى الكلمات: «عرش» و«شرع» و«يشرع» [لوجدناها] كلمات غير متنافرة =

(*) أيضاً: سلامته من تتابع الإضافات: وهو كون الاسم مضافاً إضافة متداخلة غالباً، كقوله [الطويل]:

حمامة جَزَعَا حَوْمَةَ الجَنْدَلِ اسْجَعِي فَأَنْتِ بَمَزَأَى مِنْ سَعَادٍ وَمَسْمَعِي

(**) انظر: «المقامة الشَّوْبِيَّة».

(***) سئِلَ الشيخ رَحَلَهُ فيما بعد هذا السؤال:

الطالب: الأبيات التي ذُكِرَتْ وما فيها من غرابةٍ وخلافِ الفصاحةِ قد تكون في زمن الناظم أو الشاعر فصيحةً مقبولةً...

فأجاب رَحَلَهُ: ليس على كل حال، ولا عبرة بالحال العارضة، وأحياناً المتكلم أو الناظم يأتي بالغرابات لأجل أن يجتهد الناس في الوصول إلى معنى الكلام، أو ليقال: إنَّه رجل فصيح له اطلاع قوي في اللغة العربية.

الطالب: يا شيخ! قد يكون في كلام النبي ﷺ بعض الألفاظ الغريبة، حتى أَلَّفَ العلماء كتابَ غريب الحديث، فهل نقول: هذا خلاف الفصاحة؟

الشيخ رَحَلَهُ: لا؛ لأنَّ الرسول ﷺ ما أتى بهذه الكلمة الغريبة إلا في محلِّها.

[الطويل]:

كريمٍ متى أمدَّه أمدَّه والورى معي، وإذا ما لُمته لُمته وِحدِي^(١)

ب- وَضَعُ التَّأْلِيفِ: كَوْنُ الكَلَامِ غَيْرِ جَارٍ عَلَى القَانُونِ النَّحْوِيِّ المشهور^(٢)، كَالِإِضْمَارِ قَبْلَ الذِّكْرِ لِفِظًا وَرُتْبَةً فِي قَوْلِهِ [البسيط]:

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الغَيْلَانِ عَن كِبِيرٍ وَحَسَنِ فِعْلٍ كَمَا يُجْزَى سِنَمَارُ^(٣)

= الحروف، لكن جَمْعُ بعضها إلى بعض يُوجِبُ التَّنَافَرَ، فيكون عَدَمُ الفِصَاحَةِ فِي الكَلَامِ، كَذَلِكَ أَيْضًا كَلِمَةُ «قَبْرٍ» وَ«قُرْبٍ» لَيْسَ فِيهَا تَنَافُرٌ بِالنِّسْبَةِ لِلْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، لَكِنُ بِالنِّسْبَةِ لِضَمِّ الكَلِمَاتِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ يَكُونُ تَنَافُرًا، فيقال: الكَلَامُ غَيْرُ فِصِيحٍ لِتَنَافُرِ كَلِمَاتِهِ.

(١) هَذَا الْبَيْتُ قَوِيٌّ الْمَعْنَى، يَعْنِي: «أَنْتِي إِذَا مَدَحْتُ فَالْوَري كُلُّهُمْ يَمْدَحُونَهُ، وَإِذَا لُمْتُ لَمْ يَلْمُهُ أَحَدٌ»، الْبَيْتُ قَوِيٌّ جِدًّا فِي الشَّاءِ عَلَى الْمَمْدُوحِ، لَكِنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ غَيْرُ فِصِيحٍ؛ لِأَنَّ كَلِمَاتِهِ مَتَنَافِرَةٌ.

(٢) اِئْتَبَهَ لِكَلِمَةِ «المشهور»، لَوْ كَانَ غَيْرَ جَارٍ عَلَى القَانُونِ النَّحْوِيِّ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ فَهَذَا لَا يَصْلُحُ أَصْلًا، فَلَا يُقَالُ: إِنَّهُ كَلَامٌ غَيْرُ فِصِيحٍ، بَلْ يُقَالُ: إِنَّهُ غَيْرُ كَلَامٍ وَغَيْرُ صَحِيحٍ، مِثْلًا لَوْ قَالَ: «قَامَ زِيدًا» هَذَا غَيْرُ جَارٍ عَلَى القَانُونِ؛ القَانُونُ بَرَفَعِ «زِيدًا»، لَكِنِ هَذَا القَانُونُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ أَوْ مُخْتَلَفٌ فِيهِ؟ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، إِذَا هَذَا يُعَدُّ كَلَامًا فَاسِدًا، لَا يُقَالُ: إِنَّهُ كَلَامٌ غَيْرُ فِصِيحٍ، بَلْ يُقَالُ: إِنَّهُ كَلَامٌ فَاسِدٌ، تَرْكِيبٌ لَا تُجِيزُهُ اللَّعْنَةُ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

(٣) أَمَّا عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى مَتَأَخَّرِ لِفِظًا وَرُتْبَةً فَهَذَا فِيهِ خِلَافٌ: هَلْ هُوَ جَائِزٌ أَوْ لَا؟، فَلِذَلِكَ كَانَ عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى مَتَأَخَّرِ لِفِظًا وَرُتْبَةً يَجْعَلُ الكَلَامَ غَيْرَ فِصِيحٍ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ جَارٍ عَلَى القَانُونِ المشهورِ.

«بَنُوهُ أَبَا الغَيْلَانِ»: بَنُوهُ: الْهَاءُ مُتَّصِلَةٌ بِالْفَاعِلِ، وَهِيَ تَعُودُ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، فَهِيَ عَائِدَةٌ عَلَى مَتَأَخَّرِ لِفِظًا وَرُتْبَةً، وَهَذَا مُخَالِفٌ للقَانُونِ المشهورِ، إِذْ أَنَّ المشهورَ أَنَّ الضَّمِيرَ لَا يَعُودُ عَلَى مَتَأَخَّرِ لِفِظًا وَرُتْبَةً كَمَا مَرَّ عَلَيْنَا ذَلِكَ فِي أَصُولِ التَّفْسِيرِ.

«عَن كِبِيرٍ» يَعْنِي: إِذَا كَبِيرٌ وَتَقَدَّمَ بِهِ السَّنُّ.

ج- والتعقيد: أن يكون الكلام خفيّ الدلالة على المعنى المراد.

والخفاء:

- إمّا من جهة اللفظ؛ بسبب تقديم أو تأخير أو فضل، ويسمى تعقيداً لفظياً، كقول المتنبي [الكامل]:

جَفَحَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْرُ دَلَائِلُ

فإنّ تقديره: جَفَحَتْ بهم شِيمٌ دلائلُ على الْحَسْبِ الْأَعْرُ، وهم لا يَجْفَحُونَ

بها^(١).

- وإمّا من جهة المعنى؛ بسبب استعمال مجازاتٍ وكنياتٍ لا يفهم المراد

= «وَحَسَنَ فِعْلٍ»: يعني: أَحَسَنَ إلى أولاده.

«كما يُجَزَى سِنِمَارُ»: سِنِمَارُ هذا رَجُلٌ بَنَى قَصْرًا عَظِيمًا جَدًّا جَدًّا لِأَحَدِ الْمُلُوكِ لَا يُمَائِلُهُ قَصْرٌ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنَ الْقَصْرِ وَمِنْ صُنْعِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَسْكُنَهُ الْمَلِكُ؛ صَعِدَ [الْمَلِكُ] بِالْبَانِي [الَّذِي هُوَ سِنِمَارُ] ثُمَّ رَمَى بِهِ مِنْ فَوْقِ عَلَى الْأَرْضِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَبْنِي مِثْلَهُ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ، فَكَانَ مَضْرِبَ الْمَثَلِ، سِنِمَارٌ بَعْدَ أَنْ أَحْسَنَ بِنَاءَ هَذَا الْقَصْرِ جَزَاؤُهُ أَنْ يُرْمَى بِهِ مِنْ فَوْقِ، وَعِنْدَ الْعَوَامِّ مِثْلُ يُقَارِبُ لِهَذَا، يَقُولُ: «رَجُلٌ حَجَّ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ بَلَدِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ عَلَى هَذَا الْبَعِيرِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَلَدِ دَبَّحَهُ وَجَعَلَهُ وَلِيمَةً لِقُدُومِهِ مِنَ السَّفَرِ»، فَيَقُولُ الْعَوَامُّ: «جَزَاءُ نَاقَةِ الْحَجِّ ذَبْحُهَا»، هَذَا كَلَامُ الْعَوَامِّ، وَأَمَّا هُوَ مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ لَا بَأْسَ بِهِ، رَجُلٌ رَكِبَ الْبَعِيرَ وَحَجَّ بِهِ وَرَجَعَ وَهُوَ فِي غِنَى عَنْهُ قَدَبَحَهُ.

(١) أولاً ما معنى «جَفَحَتْ»؟!، هذه فيها شيء من نقص البلاغة وهو الغرابة، لهذا هذا لا يُستعمل بهذا المعنى.

يقول: «جَفَحَتْ» أي: عَلَتْ، «وهم لا يجفحون بها بهم» كلام مُعَقَّد، المعنى: جَفَحَتْ بهم وهم لا يجفحون بها، ف «بهم» متعلقة ب «جَفَحَتْ»، و«بها» متعلقة ب «يجفحون»، والمعنى: أن هذه الشيم عَلَتْ بهم وهم لا يعلون بها؛ لأنهم أشرف منها وأعلى منها.

بها، وَيُسَمَّى تعقيداً معنوياً، نحو قولك: «نَشَرَ الْمَلِكُ أَلْسِنَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ» مُريداً جواسيسه، والصَّواب: «نَشَرَ عِيُونَهُ»^(١)، وقوله [الطويل]:

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرَبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمُدَا

حيث كَتَبَ بِالْجُمُودِ عَنِ الشَّرُورِ، مع أَنَّ الْجُمُودَ يُكْنَى بِهِ عَنِ الْبُخْلِ بِالدَّمُوعِ وَقَتَ الْبُكَاءِ^(٢).

٣- وفصاحة المتكلم: مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَقْصُودِ بِكَلَامٍ فَصِيحٍ فِي أَيِّ غَرَضٍ كَانَ^(٣).

(١) الآن، التعقيد إما من جهة اللفظ، وإما من جهة المعنى، فإذا كان الكلام مُعَقَّداً فليس بفصيح، سواءً كان التعقيد لفظياً - كالتقديم والتأخير - الذي يَضَعُ بِهِ فَهْمَ الْمَعْنَى، أو معنوياً كأن يأتي بكلمات بعيدة عن المراد.

«نَشَرَ الْمَلِكُ أَلْسِنَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ»، لو أراد «أَلْسِنَتَهُ»: «حُطَبَاءَهُ»؛ لكان فصيحاً غير مُعَقَّداً، لكن يريد جواسيسه، [و] هذا غير صحيح بعيد المعنى، إذ أَنَّ الْجَوَاسِيسَ يُسَمَّوْنَ عِيُوناً؛ لِأَنَّ الْجَاسُوسَ يَنْظُرُ فِي الْمَلَامِحِ وَفِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُعَدُّ قَرَائِنَ، فَالْمَهْمُ أَنَّهُ إِذَا قَالَ: «نَشَرَ الْمَلِكُ أَلْسِنَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ» يريد الجواسيس؛ فهذا الكلام غير فصيح؛ لِأَنَّ فِيهِ تَعْقِيداً معنوياً، إذ أَنَّ الْأَلْسِنَةَ لَا يُعْبَرُ بِهَا عَنِ الْجَوَاسِيسِ.

(٢) هذا البيت مُعَقَّداً تعقيداً معنوياً، «سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرَبُوا»؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَبْعَدَ تَبِعُوهُ، فَهُوَ كَلِّمًا أَبْعَدَ قَرَّبُوا مِنْهُ، «وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمُدَا» وهذا غير صحيح؛ لِأَنَّهُ يَرِيدُ «لَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ»: لِأَسْرٍ، وهذا لا يتناسب مع قوله: «لِتَجْمُدَا». إِذَا سَبَقَ لَنَا فَصَاحَةُ الْكَلِمَةِ وَفَصَاحَةُ الْكَلَامِ، بَقِيَ فَصَاحَةُ الْمُتَكَلِّمِ.

(٣) فصاحة المتكلم نوعان:

١- غريزة: يَمُنُّ اللَّهُ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيَجْعَلُهُ فَصِيحاً قَوِيَّ الْكَلَامِ قَوِيَّ الْإِقْنَاعِ.

٢- ومكتسبة: وذلك بالتمرُّنِ عَلَى الْخُطَابَةِ، وَلَوْ أَنَّ تَخْرُجَ إِلَى الْبَرِّ وَتَسْتَحْضِرُ =

والبلاغة في اللغة: الوصول والانتهاء. يقال: «بَلَغَ فلانٌ مُرادَه»: إذا وَصَلَ إليه، و«بَلَغَ الرُّكْبُ المدينةَ»: إذا انتهى إليها.

وتقع في الاصطلاح وَصفاً للكلام والمتكلم^(١).

= الأشجارَ حولك كأنهم رجالٌ ثم تَخُطِبُ فيهم، فإن شئتَ فقل: أيها الناس!، وإن شئتَ فقل: أيها الأشجار!، المهمُّ أن تتعوَّدَ على الخُطابة.

فالفصاحة إذاً نوعان، فصاحةٌ غريزةٌ يَمُنُّ اللهُ بها على مَنْ يشاء من عباده، فتجد المتكلمَ طالبَ علمٍ صغيراً ومع ذلك يَخُطِبُ الخُطبةَ البليغةَ العظيمةَ، وتجد بعضَ الناسِ عالماً كبيراً وفقياً يُحريراً ومع ذلك لا يكاد يتكلمُ إلا كلاماً مُعقداً ركيكاً، وأيضاً بعضُ الناسِ يكون فصيحاً في الكتابة غيرَ فصيحٍ في الخُطابة، وقد حَكى لنا شيخنا^(*) تلميذُ شيخنا ابنِ سعدي رحمهما اللهُ أنَّ الشيخَ محمداً رشيداً رضا صاحبَ القلمِ السَّيِّالِ المعروف؛ كان إذا تكلمَ لا يتناسبُ كلامُه مع كتابتِه، بل كلامه ضعيفٌ جداً، وإن شئتَ أن تُعرِفَ ذلك فانظُرْ إلى كلامِ ابنِ الجوزي الواعظِ المشهورِ، وإلى كلامِ ابنِ تيمية؛ تجد بينهما فرقاً من حيث التأثير، لا من حيث القوَّة المعنوية والاستدلال والأدلة، لا، لكن من حيث التأثيرِ ابنُ الجوزي يَهزُّ عشراتِ الآلافِ في خُطبته، ورُبَّما يموت بعضُ الناسِ من شدَّةِ تأثيره، وابنُ تيمية لا يبلغ هذا المبلغ.

وقول المؤلف: «في أيِّ عَرَضٍ كان» هذه نقطةٌ مهمَّة؛ لأنَّ بعضَ الناسِ يكون فصيحاً في عَرَضٍ من الأغراضِ [و] غيرَ فصيحٍ في عَرَضٍ من الأغراضِ، تجده مثلاً إذا تكلمَ في بابِ الأصولِ يكون فصيحاً جيداً، [و] إذا تكلمَ في فقهِه يكون رديئاً، والعكس.

والمهمُّ أن نَعْرِفَ أنَّ فصاحةَ المتكلمِ هو قدرته على التعبيرِ عمَّا في ضميره بكلامِ فصيحٍ، وعَرَفْتُمُ الكلامَ الفصيحَ أنَّه يكون فصيحاً في نفسه وفصيحاً في كلماته، يعني: اشتمَلَ على فصاحةِ الكلمة وفصاحةِ التركيب.

(١) هنا سَقَطَ شيءٌ من الفصاحة، وهو فصاحةِ الكلمة؛ لأنَّ البلاغة لا تكون إلا في كلامٍ =

(*) يظهر - والله أعلم - أنه الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٣٨٣هـ)، فقد كان الشيخ ابن عثيمين ممَّن قرؤوا ابتداءً على كبار طلبة الشيخ السعدي قبل أن يقرأ عليه، ويؤيد ذلك قوله في مقابلةٍ إذاعيَّةٍ معه: «كنتُ من نصيب الذين يقرؤون على الشيخ المطوع»، انظر: «الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين» (ص ٢٧).

١- فبلاغة الكلام: مطابقته لمقتضى الحال^(١)، مع فصاحته^(٢).

والحال- ويسمى بالمقام-: هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يُوردَ عبارته على صورةٍ مخصوصةٍ.

والمُقْتَضَى- ويسمى الاعتبار المناسب - : هو الصورة المخصوصة التي تُورَدُ عليها العبارة، مثلاً: المدحُ حالٌ يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حالٌ يدعو لإيرادها^(٣) على صورة الإيجاز، فكلٌّ من المدح والذكاء حالٌ، وكلٌّ من الإطناب والإيجاز مُقْتَضَى، وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقةٌ للمُقْتَضَى^{(٤)(٥)}.

= مُرَكَّبٌ بخلاف الفصاحة، لذلك أَسْقَطَ هنا فصاحة الكلمة^(*)، ولكن مع ذلك لا بُدَّ أن يكون الكلام البليغ فصيحاً، فالفصاحة ملازمة لنا في كل شيء، إذا فُقدتِ الفصاحة فُقدتِ البلاغة، وإن فُقدتِ البلاغة فَقَدْ تَفَقَّدَ الفصاحة وقد لا تَفُقَدُ^(**).
والبلاغة تكون وصفاً للكلام والمتكلم [لا للكلمة]؛ لأنَّ الكلام إنما يكون في الجمل المركبة لا في المفردات.

(١) «مطابقته لمقتضى الحال» هذه مُهِمَّةٌ جَدًّا، وهي من الحكمة، لو رأيت إنساناً غضباناً مُتَكَدِّراً تعباناً؛ هل تُورد عليه من الكلام ما يزيدُه غَمًّا وهَمًّا؟ لا، لا يمكن، هذه ليست بلاغة، إنما تخاطبه بما تقتضيه حاله.

(٢) وهو لا يكون فصيحاً إلا بفصاحة كلماته.

(٣) «لإيرادها»: أي: إيراد العبارة.

(٤) «للمقتضى»: أي: لمقتضى الحال.

(٥) الإنسان الذكي هل يحتاج أن تُردَّد عليه الكلام وتُطوَّل له الكلام؟ لا؛ لأنه ذكي، لو تُردَّد عليه اتَّقَدَّك، وفي حال المدح طوَّل العبارة، أكثُر من المدح، ولذلك تجد أن النبي ﷺ حين يسأل الله يسأل بإطناب وتطويل: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، علانيته =

(*) وإنما لم توصف الكلمة بالبلاغة؛ لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه.

(**) قال ابن الأثير: «كلُّ كلامٍ بليغٍ فصيحٌ، وليس كلُّ فصيحٍ بليغاً».

٢- وبلاغة المتكلم: ملكة يُتَدَرُّ بها على التعبير عن المقصود بكلامٍ بليغ، في أيِّ عَرَضٍ كان.

ويعرّف التنافرُ: بالذوقِ، ومخالفةُ القياسِ: بالصرْفِ، وضعْفُ التأليفِ والتعقيدُ اللَّفْظِيُّ: بالنحوِ، والغرابَةُ: بكثرةِ الاطِّلاعِ على كلامِ العربِ، والتعقيدُ المعنويُّ: بالبيانِ، والأحوالُ ومقتضياتها: بالمعاني.

فَوَجَبَ على طالبِ البلاغةِ معرفةُ اللُّغةِ والصرْفِ والنحوِ والمعاني والبيانِ، مع كونه سليمَ الذُّوقِ، كثيرَ الاطِّلاعِ على كلامِ العربِ^(١).

* * *

= وسِرِّه، وأوَّلُه وآخِرُه^(*)، «اللهم اغفر لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسرَرْتُ وما أعلَّنتُ، وما أنت أعلمُ به مِنِّي»^(**)، كل هذه إطناب؛ لأنَّ المقامَ يقتضيه، إذ أنك تُخاطب مَنْ؟ تُخاطب أحبَّ مَنْ تُخاطبه، وهو الله عزَّ وجلَّ.

في دعاء الميِّت: «اللهم اغفر لحيِّنا وميِّتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذَكَرنا وأنثانا»^(***)، مع أنه يُغني عن كل هذا: «لحيِّنا وميِّتنا»؛ لأنَّ كلَّ هؤلاء إمَّا أحياء وإمَّا أموات، فلكلِّ مقام مقال، لو قلتَ لذيكي: «قُمْ قُمْ قُمْ»؛ فسيقول: أنا بليد تُرَدُّ عليَّ كلمة «قُمْ»؟!، أنا لو أريد أن أقوم قُمتُ، لكن لا سَمْعاً ولا طاعةً.

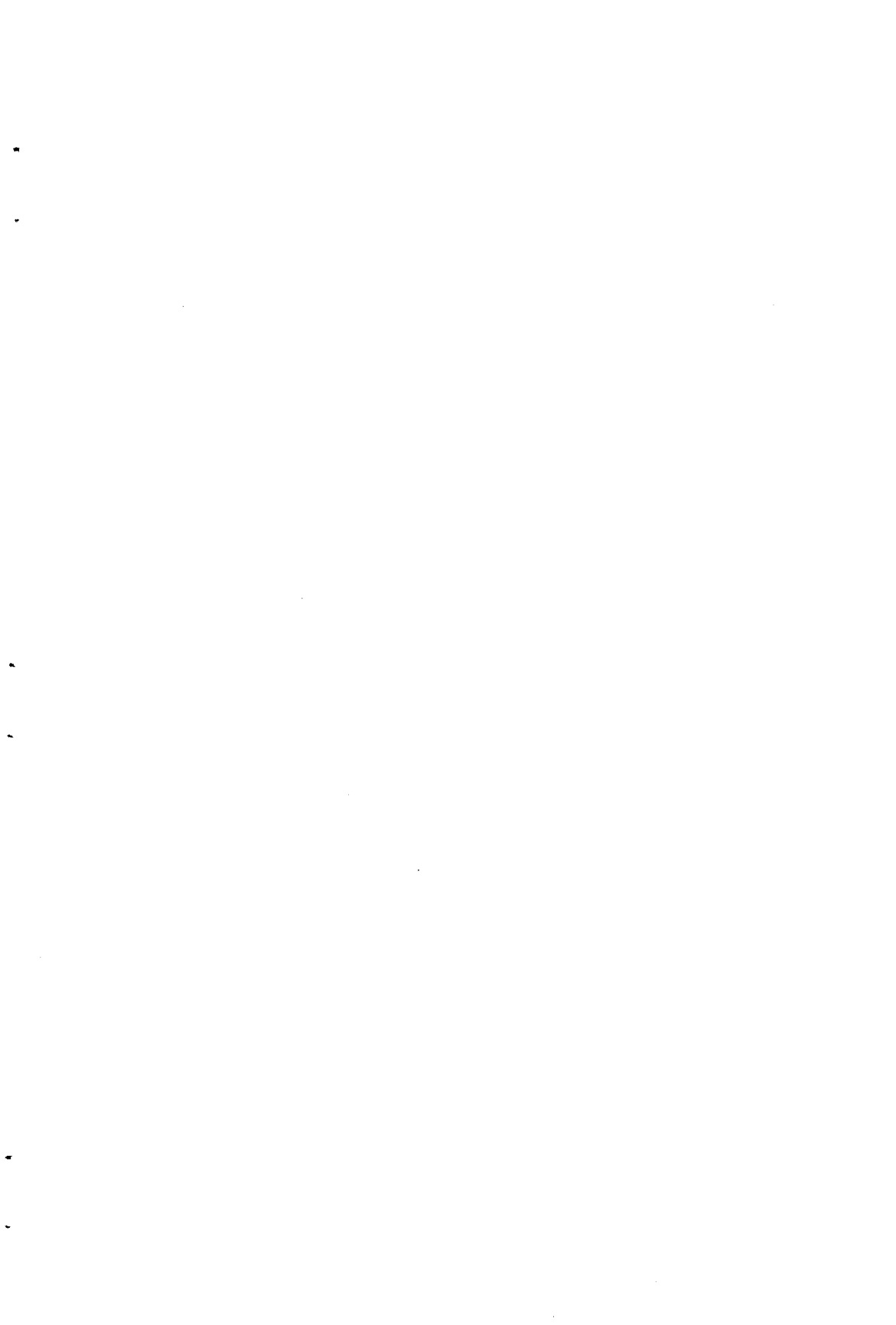
(١) نحن لو أردنا أن نأخذ بكلام المؤلف هذا كان من الآن رجَعنا، إذا كان علمُ البلاغةِ [يَتَطَلَّبُ] كلَّ هذا: اللُّغة والصرْف والنحو والمعاني والبيان وكوْن الإنسانِ مِنَّا سليمَ الذُّوقِ كثيرَ الاطِّلاعِ على كلامِ العرب؛ معناه أن نقول: من الآن رجَعنا ولا داعي للبلاغة، لكنني أقول لكم: هذا غير صحيح أبداً، وستعلمون ذلك - إن شاء الله - من دراسة هذا الفنِّ، هذا الفنُّ الإنسانُ بذوقه يشتاق إليه، وتجده نشيطاً دائماً في قراءته، وسيبيِّن إن شاء الله.

(*) رواه مسلم (٤/رقم: ٢١٦).

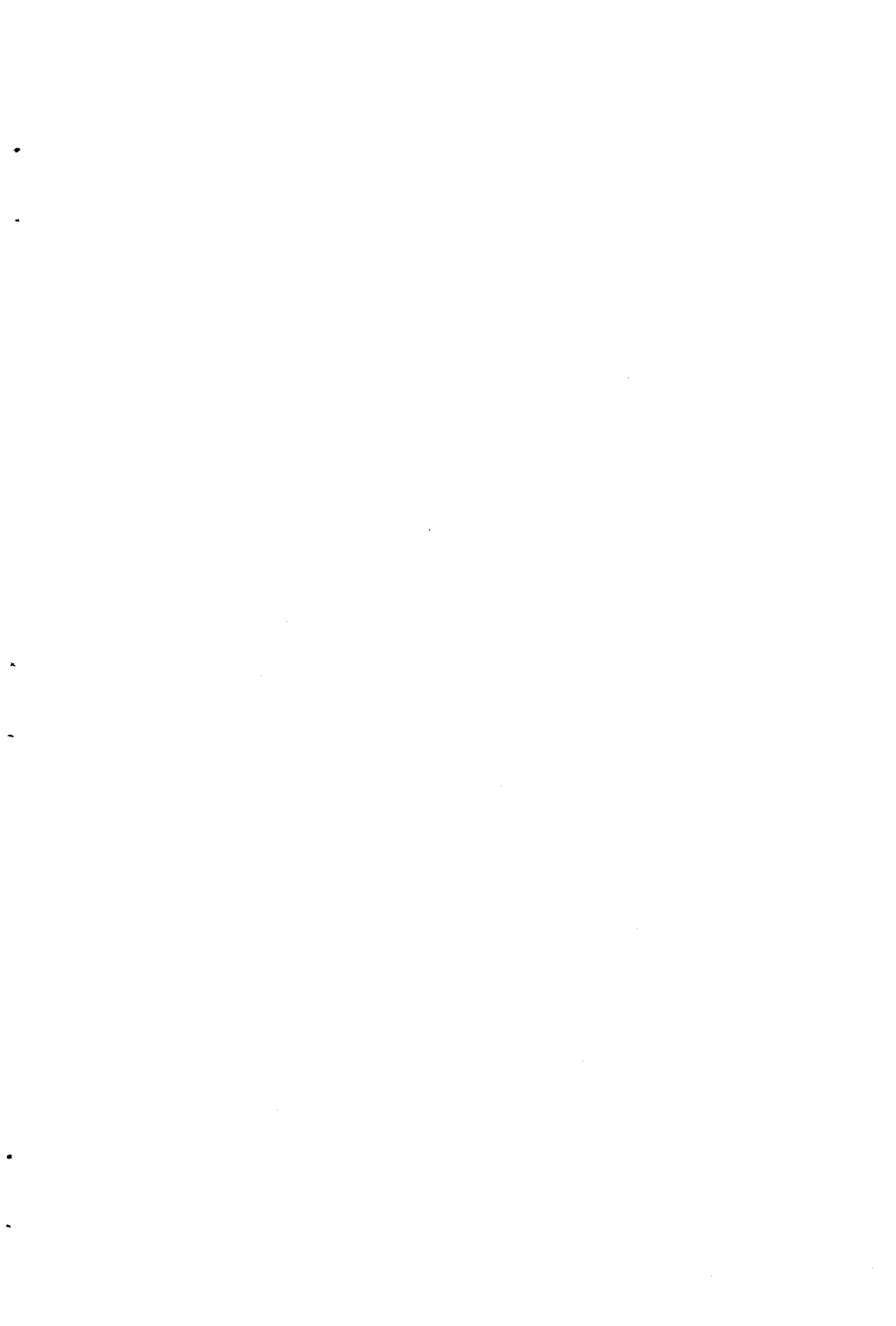
(**) رواه البخاري (٩٧/٢٤)، ومسلم (٤٨/رقم: ٧٠) واللفظ له.

(***) رواه أحمد في مسنده (٣٦٨/٢)، وأبو داود (٦٠/١٥)، والترمذي (٣٨/٨)، والنسائي (٧٧/٢١)،

وابن ماجه (٢٣/٦)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (رقم: ١٦٧٥).



عِلْمُ الْمَعَانِي



عِلْمُ الْمَعَانِي

هو عِلْمٌ يُعْرَفُ به أحوالُ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ التي يُطَابِقُ بها مُقْتَضَى الْحَالِ، فَتَخْتَلِفُ صُورُ الْكَلَامِ لِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ، مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فَإِنَّ مَا قَبْلَ «أَمْ» صُورَةٌ مِنْ صُورِ الْكَلَامِ تُخَالِفُ صُورَةَ مَا بَعْدَهَا؛ لِأَنَّ الْأُولَى فِيهَا فِعْلُ الْإِرَادَةِ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، وَالثَّانِيَةُ فِيهَا فِعْلُ الْإِرَادَةِ مَبْنِيٌّ لِلْمَعْلُومِ، وَالْحَالُ الدَّاعِي لِذَلِكَ نِسْبَةُ الْخَيْرِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الثَّانِيَةِ، وَمَنْعُ نِسْبَةِ الشَّرِّ إِلَيْهِ فِي الْأُولَى^(١).

وَيَنْحَصِرُ الْكَلَامُ هُنَا عَلَى هَذَا الْعِلْمِ فِي سِتَّةِ أَبْوَابٍ.

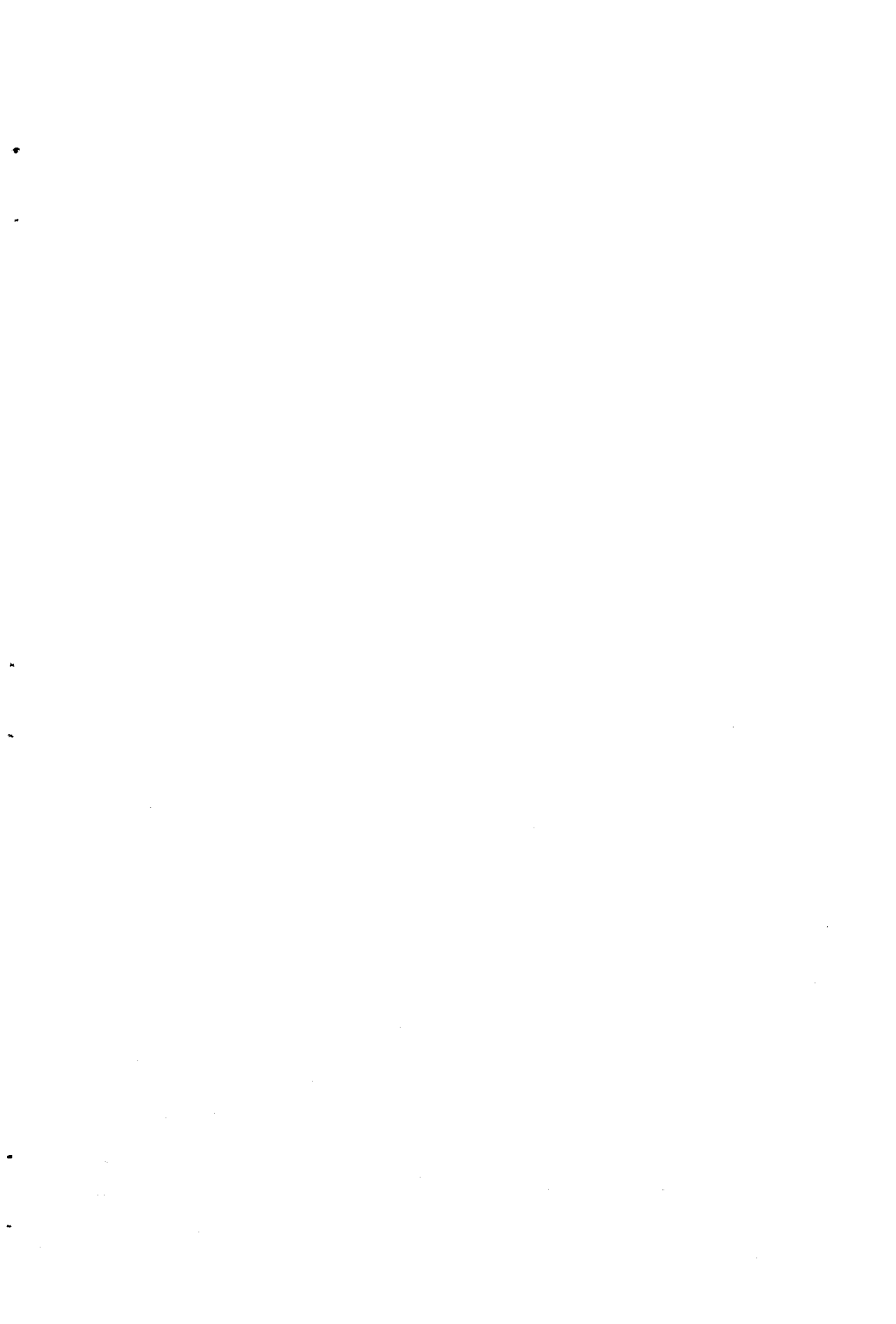
* * *

(١) هذا من البلاغة، ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ هذا يقوله الجن، ولم يقولوا: «أَشَرٌّ أَرَادَ اللَّهُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ»، مع أَنَّ الْإِرَادَةَ إِرَادَةُ اللَّهِ، لَكِنْ تَحَاشِيًا لِإِضَافَةِ الْإِرَادَةِ^(*) إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالُوا: ﴿أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، فَبَنَوْا الْفِعْلَ يَقُولُ الْمُؤَلَّفُ: «لِلْمَجْهُولِ» وَنَحْنُ نَقُولُ: «لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ» كَمَا عَبَّرَ ذَلِكَ ابْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْأَلْفِيَّةِ وَكَمَا هُوَ وَاضِحٌ، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَوْعِيْفًا﴾ [النساء: ٢٨] الْخَالِئُ مَعْلُومٌ، لَكِنْ بُنِيَ الْفِعْلُ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

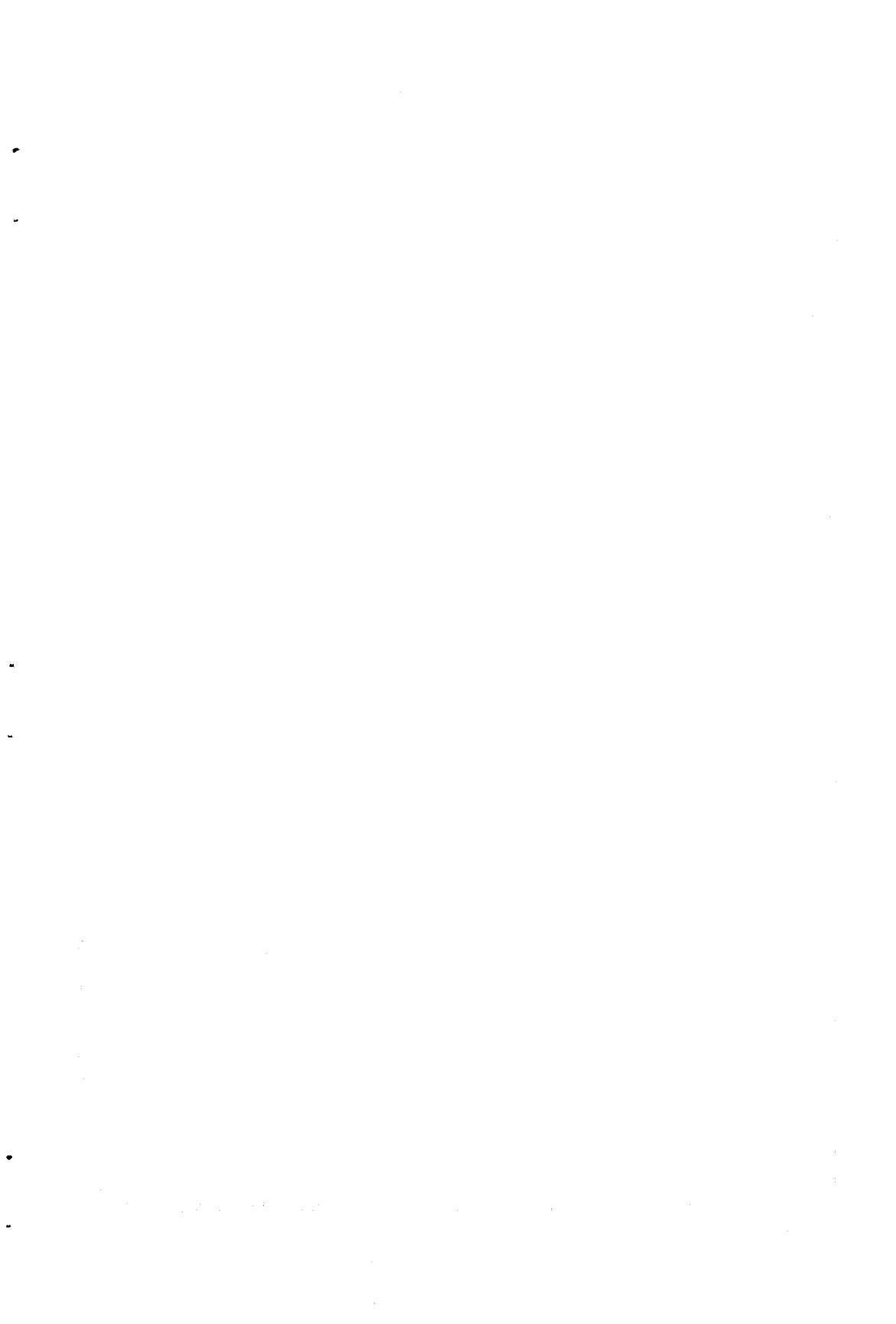
﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُطَابِقَةٌ لِمُقْتَضَى الْحَالِ؛ لِأَنَّ مُقْتَضَى الْحَالِ الْأَلْفِيَّةَ تُضَيِّفُ الشَّرَّ إِلَى اللَّهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»^(**)، أَمَّا الْخَيْرُ فَيُضَافُ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ خَيْرٌ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وَلَمْ يَقُولُوا: «أَمْ أَرَادَ اللَّهُ؛ لِأَنَّ الرَّبَّ» أَحْضُ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِ الرَّبِّ مِنَ الْإِلَهِ.

(*) أي: إرادة الشر.

(**) رواه مسلم (٦/رقم: ٢٠١).



الباب الأول
الخبر والإنشاء



الخبر والإنشاء

كلُّ كلامٍ فهو إمَّا خَبَرٌ أو إنْشاءٌ^(١).

والخَبَرُ: ما يَصِحُّ أن يُقالَ لقائِلِه: إنَّه صادقٌ فيه أو كاذِبٌ، كـ «سافرَ مُحَمَّدٌ» و«عليٌّ مُقيمٌ»^(٢).

والإنشاءُ: ما لا يَصِحُّ أن يُقالَ لقائِلِه ذلك، كـ «سافرِ يا مُحَمَّدٌ»، و«أقمِ يا عليٌّ»^(٣).

(١) صحيح، لا يَخْرُجُ عن هذا، ليس هناك كلامٌ ليس خبراً ولا إنْشاءً، بل كلُّ كلامٍ في الدُّنيا - عريباً كان أو أعجمياً - فإنَّه إمَّا خبرٌ وإمَّا إنْشاءٌ.

(٢) وهنا «أو كاذِبٌ» للتنويع، ليس معناه: «أنَّ كلَّ خبرٍ يَصِحُّ أن نقول: إنَّه صادقٌ أو كاذِبٌ»، بل إمَّا أن يُوصَفَ بأنَّه صادقٌ أو يُوصَفَ بأنَّه كاذِبٌ.

أخبارُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ورسوله لا يمكن أن تُوصَفَ بأنَّها كاذِبةٌ، وأخبارُ مُسَيَّلِمَةَ الكذَّابِ وأشباهه لا يمكن أن تُوصَفَ بالصدق، لكن هذا ليس بالنظر إلى الجملة مثلاً، بل بالنظر إلى المتكلم، فامتناعُ الصدقِ في كلامِ مُسَيَّلِمَةَ وأشباهه فيما يدَّعيه من النُّبوءة لا لأنَّ الكلامَ لا يَصِحُّ أن يُوصَفَ بالصدق، لأنَّه لو قاله الرسولُ مُحَمَّدٌ ﷺ لُوصِفَ بالصدق، لكن باعتبار أنَّ هذا المتكلمُ به كاذِبٌ، وخبرُ اللَّهِ ورسوله لا يمكن أن يُوصَفَ بالكذب؛ لأنَّه خبرُ اللَّهِ ورسوله.

واحد قال لك: «سافرَ مُحَمَّدٌ»، [هل] يَصِحُّ أن نقول: «صدقتُ»، إذا سافرَ صَدَقَ، وقال الثاني: «عليٌّ مُقيمٌ» [هل] يَصِحُّ أن نقول: «إنَّه كاذِبٌ أو صادقٌ»، يَصِحُّ، إن كان مقيماً حقاً فهو صادقٌ، وإن كان غيرَ مقيمٍ فهو كاذِبٌ.

(٣) لو قال لك إنسانٌ - وأنت اسمك مُحَمَّدٌ - : «سافرِ يا محمد» [فهل] يصلح أن نقول: «صدقتُ»، [وهل] يصلح أن نقول: «كذبتُ»، لا، بل نقول: «أبشِرْ»، أو نقول: «لا»، كذلك «أقمِ يا عليٌّ» نفس الشيء.

والمراد بصِدْقِ الخَيْرِ: مطابقته للواقع، وبكذِبِهِ: عدمُ مطابقته له.

فجُمَلَةٌ «عليٌّ مُقيّمٌ» إن كانت التَّسْبِئَةُ المفهومةُ منها مطابِقةً لِمَا في الخَارِجِ^(١) فصِدْقٌ، وإلَّا فكَذِبٌ.

ولكلِّ جملةٍ رُكنانٍ: محكومٌ عليه، ومحكومٌ به.

- ويُسمَّى الأوَّلُ: مُسنَدًا إليه، كالفاعلِ ونائبِهِ، والمبتدأِ الذي له خبرٌ.

- ويُسمَّى الثاني: مُسنَدًا، كالفعلِ، والمبتدأِ المكتفي بمرفوعِهِ^(٢).

* * *

(١) المراد «بالخارج»: الواقع، مطابقة لِمَا في الواقع.

(٢) هذه أيضاً من القواعد، كل جملة لها ركنان:

١- محكومٌ عليه.

٢- ومحكومٌ به.

ويُسمَّى الأوَّلُ: مُسنَدًا إليه، والثاني: مُسنَدًا.

نَضْرِبُ مثلاً: «قام زيدٌ» هذه جملة فيها محكومٌ به ومحكومٌ عليه:

- المحكومٌ به: قام.

- والمحكومٌ عليه: زيد.

يُسمَّى الأوَّلُ: مُسنَدًا «المحكومٌ به»، ويُسمَّى الثاني: مُسنَدًا إليه [المحكومٌ عليه]،

ولهذا تقول في «قام زيدٌ»: قام: مُسنَدٌ إلى زيد، وتقول: أسندتُ القيامَ إلى زيد، إذا كل

جملة من خبرية أو إنشائية لا بُدَّ فيها من ركنين.

مَثَلٌ بعدة أمثلة:

- كالفاعل ونائبه: مُسنَدٌ إليه.

- المبتدأ الذي له خبرٌ: مُسنَدٌ إليه، «زيدٌ قائمٌ»: زيد: مُسنَدٌ إليه، قائم: خبر [مُسنَدٌ].

- الفعل، واضح: «قام زيدٌ».

= - المبتدأ المكتفي بمرفوعه، مثل: «أقائم زيد»: قائم: مبتدأ، وزيد: فاعل أغنى عن الخبر (*) .

(*) مواضع المُسند والمُسند إليه:

١- المُسند: خبر المبتدأ، الفعل التام، اسم الفعل، أخبار النواسخ، المفعول الثاني لـ«ظنَّ» وأخواتها، المفعول الثالث لـ«أزى» وأخواتها، المصدر النائب عن فعل الأمر: «سغياً في الخير»، المبتدأ المكتفي بمرفوعه عن الخبر: «أقادم أنت» .

٢- المُسند إليه: المبتدأ، الفاعل ونائبه، أسماء النواسخ، المفعول الأول لـ«ظنَّ» وأخواتها، المفعول الثاني لـ«أزى» وأخواتها .

وما زاد على هذه المواضع يُسمى «قيداً» سوى صلة الموصول والمضاف إليه، والقيود هي: أدوات الشرط، وأدوات النفي، والمفاعيل، والحال، والتمييز، والتوابع، والنواسخ .

الكلام على الخبر

الخبرُ إمَّا أن يكون جُملةً فعليةً أو اسميةً.

فالأولى: موضوعَةٌ لإفادَةِ الحُدُوثِ في زَمَنِ مخصوصٍ مع الاختصار، وقد تُفيدُ الاستمرارَ التَّجَدُّدِيَّ بالقرائنِ إذا كان الفِعْلُ مُضارِعاً، كقول طريف [الكامل]:

أوكُلَمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

والثانية: موضوعَةٌ لِمُجَرَّدِ ثُبُوتِ المُسْنَدِ لِلْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، نحو: «الشَّمْسُ مضيئةٌ»، وقد تُفيدُ الاستمرارَ بالقرائنِ إذا لم يَكُنْ في خبرِها فِعْلٌ، نحو: «العِلْمُ نافعٌ»^(١).

* * *

(١) الآن أفادنا المؤلفُ أنَّ الخبرَ إمَّا أن يكون جُملةً فعليةً أو اسميةً:

- الفعلية يُراد بها ثبوت مدلولها في زَمَنِ مُعَيَّن.

- والاسمية يُراد بها ثبوت مدلولها على وجه الاستمرار.

ولهذا قالوا: «الجُملةُ الفعليةُ تفيدُ الحُدُوثَ، والجُملةُ الاسميةُ تفيدُ الاستمرارَ»، وهذا أيضاً من البلاغة، كُلمًا وَجَدَتْ جُملةً اسميةً فهي للاستمرار، وكُلمًا وَجَدَتْ جُملةً فعليةً فهي للحُدُوثِ لا تقتضي الاستمرارَ، لكنها مع ذلك قد تقتضي بالقرائنِ، ومنها: إذا كان الفعل مضارعاً، فإنَّ المضارعَ يُفيدُ الاستمرارَ غالباً، مثل: «كان النَّبِيُّ ﷺ يقرأ في الجمعة بـ «سَبَّحْ» و«الغاشية»»^(*).

(*) روى مسلم في صحيحه (٧/رقم: ٦٢) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ أَنَّهُ قَالَ: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يقرأ في العيدين والجمعة بـ ﴿سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرِ﴾ و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّفْثِيِّ﴾».

[الغرض من إلقاء الخبر]

والأصل في الخبر أن يُلقى لإفادَةِ المخاطَبِ الحُكْمَ الذي تَصَمَّتُهُ الجملةُ، كما في قولنا: «حَضَرَ الأميرُ»، أو لإفادَةِ أَنَّ المتكَلِّمَ عالِمٌ به، نحو: «أنتَ حَضَرْتَ أمسٍ»، ويُسمَّى الحُكْمُ: فائدةَ الخبرِ، وَكَوْنُ المتكَلِّمِ عالِمًا به: لازمُ الفائدةِ^(١).

* * *

(١) الأصل في الخبر أن يُلقى لإفادَةِ المخاطَبِ ما دلَّ عليه، كقولك: «حَضَرَ الأميرُ»، فإنَّ قولك «حَضَرَ الأميرُ» يُراد به إفادَةُ المخاطَبِ بحضور الأميرِ، هذا هو الأصل. وقد يُلقى لإفادَةِ أَنَّ المتكَلِّمَ عالِمٌ به، نحو أن تقول للمخاطَبِ: «لقد حَضَرْتَ أمسٍ»، يُسمَّى الأوَّلُ: فائدةَ الخبرِ، ويُسمَّى الثاني: لازمُ الفائدةِ^(*)، وهذا شيءٌ مُصطلحٌ عليه عندهم، ولكن هذا مضمونُ الكلامِ.

(*) وهذان الغرضان قد يُضْمَنُهما المتكَلِّمُ أغراضاً أخرى تُفهم من السياق والقرائن، ومن أهم تلك الأغراض:

- ١- الاسترحام والاستعطاف: «إني فقيرٌ إلى عفو ربي».
- ٢- إظهار الضعف: «إني وَهَنَ أَفْظَمُ مِنِّي» [مریم: ٤].
- ٣- إظهار التحسُّر: لقد ضيَعْتُ العلمَ.
- ٤- رَفَعُ الهِمَّةِ: كقول النبي ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ» رواه البخاري (٨١: ٢٩).
- ٥- الفخر [الوافر]: أنا ابنُ جَلَّا وطلاغِ الشنايا متى أضعِ العِمَامَةَ تعرفوني.
- ٦- المدح: أتبلُّ الفارسُ الشجاعَ.
- ٧- التحذير: «إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [المائدة: ٢].
- ٨- التوبيخ: كقولك لمخطئ: لا أحد يفعل مثلما فعلتَ.

أَضْرِبُ الْخَبِيرِ

حيثُ كانَ قَصْدُ الْمُخْبِرِ بِخَبْرِهِ إِفَادَةَ الْمُخَاطَبِ؛ يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ؛ حَدَرًا مِنَ اللَّغْوِ.

- فَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ خَالِي الذَّهْنِ مِنَ الْحُكْمِ أَلْقِيَ إِلَيْهِ الْخَبْرُ مُجَرَّدًا عَنِ التَّأْكِيدِ، نَحْوُ: «أَخُوكَ قَادِمٌ».

- وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِيهِ طَالِبًا لِمَعْرِفَتِهِ حَسَنَ تَوْكِيدِهِ^(*)، نَحْوُ: «إِنَّ أَخَاكَ قَادِمٌ».

- وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا لَهُ وَجَبَ تَوْكِيدُهُ بِمُؤَكِّدٍ أَوْ مُؤَكِّدَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، حَسَبَ دَرَجَةِ الْإِنْكَارِ، نَحْوُ: «إِنَّ أَخَاكَ قَادِمٌ»، أَوْ «إِنَّهُ لَقَادِمٌ»، أَوْ «وَاللَّهِ إِنَّهُ لَقَادِمٌ».

فَالْخَبْرُ بِالنِّسْبَةِ لِخُلُوهُ مِنَ التَّوَكِيدِ وَاشْتِمَالِهِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ أَضْرِبُ كَمَا رَأَيْتَ^(**)، وَيُسَمَّى الضَّرْبُ:

(*) الْمَرَادُ هُنَا تَوْكِيدُ الْحُكْمِ، لَا تَوْكِيدَ أَحَدٍ طَرَفِي الْإِسْنَادِ.

(**) هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي إِقْلَاءِ الْخَبْرِ لِهَوْلَاءِ الثَّلَاثَةِ: خَالِي الذَّهْنِ، وَالمُتَرَدِّدِ، وَالمُنْكَرِ.

وَأحيانًا يُورِدُ الْمُتَكَلِّمُ التَّوَكِيدَ فِي خُطَابِ خَالِي الذَّهْنِ وَلَا يُورِدُهُ مَعَ المُتَرَدِّدِ أَوْ المُنْكَرِ، فَيَعْدِلُ عَنِ

مَقْتَضَى الظَّاهِرِ وَيُورِدُ الْكَلَامَ عَلَى خِلافِهِ؛ لِمَا يَرَى مِنْ حَالِ الْمُخَاطَبِ، وَذَلِكَ عَلَى النُّحُو الْآتِي:

١- تَنْزِيلُ خَالِي الذَّهْنِ مَنْزِلَةَ المُتَرَدِّدِ، إِذَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ مَا يُشِيرُ إِلَى حُكْمِ الْخَبْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [٣٧] ﴿هُود: ٣٧﴾، لَمَّا نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَخَاطَبَتِهِ فِي شَأْنِ الظَّالِمِينَ؛ أَصْبَحَ مُتَطَلِّعًا إِلَى مَعْرِفَةِ مَصِيرِهِمْ، فَتُرِلُ مَنْزِلَةَ السَّائِلِ المُتَرَدِّدِ فَجَاءَ الْخَبْرُ مُؤَكِّدًا: ﴿إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ﴾.

٢- تَنْزِيلُ غَيْرِ المُنْكَرِ مَنْزِلَةَ المُنْكَرِ؛ لِظُهُورِ أَمَارَاتِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ لَا يُصَلِّي: «إِنَّ الصَّلَاةَ لَوَاجِبَةٌ»، فَهُوَ لَا يَنْكُرُ وَجُوبَ الصَّلَاةِ، وَلَكِنْ لظُهُورِ أَمَارَاتِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ حَسَنَ إِقْلَاءِ الْخَبْرِ إِلَيْهِ مُؤَكِّدًا.

٣- تَنْزِيلُ المُنْكَرِ مَنْزِلَةَ غَيْرِ المُنْكَرِ، إِنْ كَانَ لَدَيْهِ دَلَائِلُ وَشَاهِدٌ لَوْ تَأَمَّلَهَا لَارْتَدَعَ عَنِ إِنْكَارِهِ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ يَجْحَدُ فَضْلَ العِلْمِ: «العِلْمُ نَافِعٌ»، فَإِنَّهُ لَوْ تَأَمَّلَ مَكَانَةَ العِلْمِ لَارْتَدَعَ عَنِ إِنْكَارِهِ.

- الأول: ابتدائياً.

- والثاني: طلبياً.

- والثالث: إنكارياً^(١).

ويكون التوكيد بـ(*) «أَنَّ»، و«إِنَّ»، ولام الابتداء، وأخرف التنبيه، والقَسَم، ونوئي التوكيد، والحروف الزائدة^(**)، والتكرير، و«قد»،

(١) الأصل أن يُلقى الخبرُ خالياً من التوكيد؛ لأنَّ التوكيدَ زيادةٌ في المبني، والزيادةُ التي لا فائدةَ منها تَرْكُها فائدةٌ.

- فإذا كنتَ تُخاطبُ رجلاً خاليَ الذهنِ فالأحسنُ ألا تُؤكِّدَ، بل تقول: «أخوك قادمٌ»، لماذا؟ لأنَّه خالي الذهنِ، ولا حاجة أن تُؤكِّدَ.

- وإن كان مُتردِّداً حَسَنٌ أن تُؤكِّدَه ليزولَ عنه التردُّدُ، كإنسانٍ شكَّ في مفاد الخبر فتؤكِّدُه له.

- وإن كان مُنكراً يقول: «هذا لم يكن» فإنه يجب أن تُؤكِّدَ، إمَّا بمؤكِّد أو مُؤكِّدَيْن أو ثلاثة، حَسَبَ قوَّةِ الإنكارِ، إن مُنكراً إنكاراً عظيماً فبمؤكِّدَيْن أو ثلاثة، بل ولو زادَ على ذلك حتى يُقَرَّ، وأيضاً إذا رأيتَه مُنكراً أكثرَ اضربْ له الأمثالَ التي تُبَيِّنُ إمكانَ صدقِ الخبرِ.

- «إِنَّ أَخاك قَادمٌ» لَمَنْ أنكرَ ولكن ليس إنكاراً شديداً.

- «إِنَّ أَخاك لَقَادمٌ» لَمَنْ أنكرَ إنكاراً متوسطاً.

- «واللَّهِ إِنَّ أَخاك لَقَادمٌ» لَمَنْ أنكرَ إنكاراً شديداً.

هذا هو الأصل، وسيأتيك ما يُخالِفُ الأصلَ إن شاء اللهُ تعالى.

(*) وممَّا يُستعملُ للتوكيد:

١- كون الجملة اسميةً، فالجملة الاسمية أكَّد من الجملة الفعلية.

٢- ضمير الفصل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الحج: ٦].

(**) «مِنْ» والباء حرفا جرٍّ أصليان، وقد يُستعملان زائدين لتوكيد الحكم في مثل قوله تعالى:

١- ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ نَفْسٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢- ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

و«أَمَّا» الشَّرْطِيَّةُ^(١).

* * *

(١) هذه أدوات التوكيد:

١- «إِنَّ» و«أَنَّ»، سواءً كانتا مُخَفَّفَتَيْنِ أو مُثَقَّلَتَيْنِ، فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] هذه مُؤَكَّدَةٌ بِمُؤَكِّدَيْنِ: إِنَّ وَاللَّامِ.

٢- لام الابتداء، مثل أن تقول: «لَزَيْدٌ قَائِمٌ»، اللام هنا ليست للقسَمِ ولكنها للابتداء، وتفيد التوكيد.

٣- وأحرف التنبيه، مثل: «يا» «لا»: ﴿لَا أَقِيمُ﴾ [القيامة: ١].
٤- والقسَم.

٥- ونونا التوكيد، يعني: المُخَفَّفَةُ والمُثَقَّلَةُ، قال الله تعالى: ﴿لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، الأولى: مُثَقَّلَةٌ، والثانية: مُخَفَّفَةٌ.

٦- والحروف الزائدة، الحروف الزائدة لا يَصِحُّ أن نقول: إنها زائدة بمعنى أنها لَعْوٌ لا فائدة منها، بل نقول: هي زائدة من حيث التركيب لكنها في المعنى مفيدة للتوكيد، فَيَصِحُّ أن نقول: «هي زائدة زائدة»، ما هذا؟!، نَعَمْ، الأولى: لازِمة، والثانية: مُتَعَدِّية؛ لأنَّ «زاد» و«نقص» تُسْتَعْمَلَانِ مُتَعَدِّيَتَيْنِ وِلَازِمَتَيْنِ، تقول: «نَقَصَ المَالُ» هذه لازِمة، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْفُصْكُمْ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ٤] هذه مُتَعَدِّية. إذاً نقول: الحروفُ الزائدة زائدة زائدة.

٧- والتكرير، مثل أن تقول: «فَمَ فَمَ»، أو أن تقول: «جاء زيدٌ جاء زيدٌ»، هذا يُسَمَّى توكيداً لفظياً، قال ابن مالك:

وما مِنَ التَّوَكِيدِ لَفْظِيٍّ يَجِيءُ مُكَرَّرًا كَقَوْلِكَ: أَدْرَجِي أَدْرَجِي

ومنه على قول بعض العلماء: ﴿أَلْيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَابِدٍ﴾ [ق: ٢٤]، فَإِنَّ بعض المفسرين يقول: معنى ﴿أَلْيَا﴾: أَلَّتْ أَلَّتِي؛ لأنَّ المَخاطَبَ واحدٌ، والثنائية للفاعل ثنائية للفاعل، هكذا قيل، وقيل: إِنَّ ﴿أَلْيَا﴾ خطابٌ للمَلَكَيْنِ جميعاً.

٨- و«قد»، إذا قلت: «قَدِيمٌ زَيْدٌ» هذا غير مُؤَكَّد، «قَد قَدِيمٌ» هذا مُؤَكَّد.

٩- و«أَمَّا» الشَّرْطِيَّةُ، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا آلِ التَّمِيمِ فَلَا نَقَهَرٌ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرُ﴾

[الصُّحُفِ: ٩-١٠].

الكلام على الإنشاء

الإنشاء^(١) إمَّا طَلْبِيٌّ أَوْ غَيْرُ طَلْبِيٍّ.

- فَالطَّلْبِيُّ: مَا يَسْتَدْعِي مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقْتَ الطَّلَبِ (*).

- وَغَيْرُ الطَّلْبِيِّ: مَا لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَالأَوَّلُ^(٢) يَكُونُ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ: الأَمْرَ، وَالنَّهْيَ، وَالاسْتِفْهَامَ، وَالتَّمَنِّيَ،
وَالنَّدَاءَ.

* * *

(١) الإنشاء ضد الخبر.

(٢) الإنشاء الطَّلْبِيُّ.

(*): أي: لا يتحقق مرادُّ طالبه إلا بعد التلْفُظ به، وهذا لا يحصل إلا بعد وقت الطلب.

[١ - الأمر]

أَمَّا الْأَمْرُ : فهو طَلَبُ الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الْاِسْتِعْلَاءِ^(١)، وله أَرْبَعُ صِيغٍ :

١- فِعْلُ الْأَمْرِ، نحو: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

٢- وَالْمُضَارِعُ الْمَقْرُونُ بِاللَّامِ، نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ﴾

[الطلاق: ٧].

٣- وَاسْمُ فِعْلِ الْأَمْرِ، نحو: «حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ».

٤- وَالْمُضَدَّرُ النَّائِبُ عَنِ فِعْلِ الْأَمْرِ، نحو: «سَعِيَاً فِي الْخَيْرِ»^(٢).

(١) هنا يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ: «هُوَ طَلَبُ الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الْاِسْتِعْلَاءِ بِصِيغَةٍ مَخْصُوصَةٍ»، ثُمَّ نَقُولُ الصِّيغَةَ، فَخَرَجَ :

- بِقَوْلِنَا: «طَلَبَ»: مَا لَيْسَ بِطَلَبٍ.

- وَبِقَوْلِنَا: «بَطَلَبَ الْفِعْلَ»: طَلَبُ التَّرْكِ.

- وَبِقَوْلِنَا: «عَلَى وَجْهِ الْاِسْتِعْلَاءِ»: الْاِلْتِمَاسُ وَالدَّعَاءُ وَمَا كَانَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْاِسْتِعْلَاءِ، فَهَذَا طَلَبٌ لَا عَلَى وَجْهِ الْاِسْتِعْلَاءِ، فَلَا يَكُونُ أَمْرًا^(*).

(٢) الْآنَ صَارَ أَرْبَعُ صِيغٍ لِلْأَمْرِ:

١- فِعْلُ الْأَمْرِ، مِثْلَ: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

٢- الْمُضَارِعُ الْمَقْرُونُ بِاللَّامِ الْأَمْرَ، مِثْلَ: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ﴾.

(*) الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ يَدْلَانِ بِحَسَبِ حَالِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمَخَاطَبِ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أُمُورٍ، وَهَذَا عَلَى النُّحُوِّ الْآتِي:

١- مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى: اِسْتِعْلَاءٌ حَقِيقِي.

٢- مِنَ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ: دَعَاءٌ.

٣- مِنَ الْمَخْلُوقِ إِلَى مَخْلُوقٍ أَعْلَى مِنْهُ: رِجَاءٌ.

٤- مِنَ الْمَخْلُوقِ إِلَى مَخْلُوقٍ يَسَاوِيهِ: اِتِّمَاسٌ.

وقد تَخْرُجُ صِبْغُ الأَمْرِ عن معناها الأَصْلِيّ إلى معانٍ أُخَرَ، تُفْهَمُ من سِياقِ الكلامِ وقرائنِ الأحوالِ:

١- كالدُّعاء، نحو: ﴿أَوْزِعِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾^(١) [النمل: ١٩].

٢- والالتماس، كقولك لِمَنْ يُساويك: «أعطني الكتاب»^(٢).

٣- والتَّمَنِّي، نحو [الطويل]:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انجَلِ بَصْبِحْ، وما الإصباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ^(٣)

٤- والتهديد، نحو: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٤) [فُصِّلَتْ: ٤٠].

= ٣- اسم فعل الأمر: وهو ما دلَّ على الطَّلَبِ على معنى الأمر دون حروفه، يعني: ما يدلُّ على الأمر لكن لا يقبل علامة الأمر، كلُّ ما دلَّ على الأمر ولم يقبل علامته فهو اسمُ فعلٍ أمرٍ، إذا «حَيَّ على الفلاح» بمعنى: أَقْبِلْ على الفلاح، لو أنك أردت أن تُدْخِلَ علاماتِ الأمرِ على «حَيَّ» ما قَبِلْتَ.

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: «سَعِيًّا إِلَى الخَيْرِ» بمعنى: اسعَ إلى الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا يَبْتَئِرُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرَبَ الرِّقَابِ﴾ [مُحَمَّد: ٤] يعني: فَأَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ.

(١) الخِطَابُ لِمَنْ ﴿أَوْزِعِي﴾؟ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هذا ليس أمراً؛ لأنك لا يمكن أن تأمر ربك عَزَّ وَجَلَّ، فهو طَلَبٌ لا على وجه الاستعلاء، ومعنى ﴿أَوْزِعِي أَنْ أَشْكُرَ﴾ أي: أَلْهَمْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ.

(٢) هذا ليس أمراً؛ لأنَّ الذي يُساويك لا تأمره، وهو لو يَفْهَمُ أنك تأمره لقال: «لا، ما لك عَلَيَّ أمرٌ»، لكن إذا كان التماساً - يعني: بتلطفٍ وتَحَنُّنٍ - فإنه يعطيك.

(٣) يُقال التمني في خطاب مَنْ لا يَعْقِلُ، الشاهد في قوله: «انجَلِ»، ولا يمكن أن يقول لليل - وهو لا يَعْقِلُ -: انجَلِ.

(٤) معلومٌ أنَّ الله تعالى لا يقول للناس: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(*)، بل ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ للتهديد، =

(*) أي: ليس هذا على وجه الإباحة.

٥- والتعجيز، نحو [المديد]:

يا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كَلَيْبًا يا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ؟^(١)

٦- والتسوية، نحو: ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾^(٢) [الطور: ١٦].

* * *

= يعني يَهْدِدُ البَشَرَ، والدليل على ذلك قوله تعالى [بعدها]: ﴿إِنَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فسوف يَعْلَمُ بكم وَيُحَاسِبُكُمْ.

(١) «أَنْشِرُوا لِي كَلَيْبًا» يعني: أَخِيوهُ، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، لا، ما يَسْتَطِيعُونَ، فهذا تعجيزٌ وَتَحَدُّ، ومثل قوله تعالى في الصِّيْغَةِ الثَّانِيَةِ: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلُّورٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [الطور: ٣٨]، والأمثلة كثيرة.

(٢) الدليل على التسوية قوله [بعدها]: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾.

[٢- النهي]

وأما النَّهْيُ: فهو طَلَبُ الكَفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة: وهي المضارعُ مع «لا» الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(١) [الأعراف: ٥٦].

وقد تَخْرُجُ صيغته عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أُخَرَ، تُفهمُ من المقام والسِّيَاق:

١- كاللِّدْعَاءِ، نحو: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِكَ الْأَعْدَاءَ﴾^(٢) [الأعراف: ١٥٠].

(١) النَّهْيُ: طَلَبُ الكَفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء بصيغة واحدة، ما له إلا صيغة واحدة، وهي «لا» الناهية، ولهذا «اجْتَنِبْ» «اتْرُكْ» «دَعْ» «تَجَنَّبْ» هذه ليست نهيًا مع أنها طَلَبُ للكَفِّ عن الفعل؛ لأنَّ النَّهْيَ له صيغة واحدة مُعَيَّنَةٌ وهي المضارعُ المقروءُ بـ «لا» الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، والأمثلة كثيرة.

(٢) قوله: «كاللِّدْعَاءِ، نحو: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِكَ الْأَعْدَاءَ﴾^(*)؟! لا يَحْسُنُ المثالُ بهذا^(*)، هذه نَعَمَ لو وُجِّهَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لكان صحيحاً؛ لأنَّه جاء في الحديث التَّعَوُّذُ من شِمَاتَةِ الأعداء^(**)، فلو وُجِّهَتْ لِلَّهِ كانت دعاءً، ولكن إذا وُجِّهَتْ للمخلوق الذي هو أعلى منك- وإن كانوا يتساهلون يقولون: دعاء- فلا ينبغي، بل ينبغي أن يُقال: إِنَّهُ تَرَجَّحَ =

(*) لأنَّ الخطاب - هنا - من هارون إلى موسى عليهما السلام، كما دلَّ عليه سياق الآية: ﴿قَالَ أَيْنَ آمَنَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِكَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْمَعْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٥٣)، فهو تَرَجَّحَ وليس دعاءً. ومِمَّا يدعو إلى الأسي أنَّ مُحَقِّقًا لهذا المتن (طبعة دار إيلاف) أتى بثالثة الأثافي في تعليقه على هذه الآية - وليتَّه لم يُعلِّقْ -، فَبَدَّلَ أن يبيِّنَ خطأ المؤلفينَ علَّقَ بقوله: «(لا) هنا هي (لا) الناهية، ولكنها تسمى (لا) الدعائية؛ تأديباً مع المدعو، وهو الله عز وجل»!!! (ص ٣٦)، ولا أقول هذا تبعاً للزُّلَّات؛ ولكن لِأَلْفِتْ نَظَرَ القارئ العزيز إلى أمرين:

١- أنه حينما وُجِدَ مثلُ هذا الوهم وَجِبَ على قارئه التنبيه عليه؛ لأنَّ الأمرَ متعلِّقٌ بالله عزَّ وجلَّ.

٢- دِقَّةُ الشَّيْخِ ابنِ عثيمين رَحِمَهُ اللهُ وسرعة استدراكه لمثل هذا الوهم الخَفِيِّ.

(**) روى البخاري (١٣/٨٢) ومسلم (٤٨/رقم: ٥٣) في صحيحيهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ البلاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشِمَاتَةِ الأعداءِ»، واللفظ للبخاري.

٢- والالتماس: كقولك لَمَنْ يُساويك: «لا تَبْرَحْ مِنْ مَكَانِكَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ».

٣- والتَّمَنِّي، نحو: (لا تَطْلُعْ) في قوله [مجزوء الرَّجَز]:

يا لَيْلُ طُلْ، يا نَوْمُ زُلْ يا صُبْحُ قِفْ، لا تَطْلُعْ

٤- والتهديد، كقولك لخدَمِك: «لا تُطِغْ [عَئِرِي]»^(*) (١).

= أو نحو ذلك، لكن إذا وُجِّهَتْ لِهْ مثل: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ هذا دعاء، يعني يَحْسُنُ أن تُمَثَّلَ بَدَلْ هذه الآية بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾. (١) ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران: ١٩٦]، هذا تهديد ليس للرسول ﷺ، تهديد لهؤلاء الذين يتقلبون في البلاد، ولهذا قال [بعدها]: ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٧].

(*) في الأصل: «لا تُطِغْ أَمْرِي»!!

[٣- الاستفهام]

وأما الاستفهام: فهو طَلَبُ الْعِلْمِ بشيءٍ^(١)، وأدواته: الهمزة، و«هل»، و«ما»، و«مَنْ»، و«مَتَى»، و«أَيَّانَ»، و«كَيْفَ»، و«أَيْنَ»، و«أَتَى»، و«كَمْ»، و«أَيَّ»^(٢).

١- فالهمزة لِطَلَبِ التَّصَوُّرِ أو التَّصَدِيقِ:

والتَّصَوُّرُ: هو إدراكُ الْمُفْرَدِ، كقولك: «أعلِيّ مسافرٌ أم خالدٌ؟ تَعْتَقِدُ أَنَّ السَّفَرَ حَصَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَكِنْ تَطَلَّبُ تَعْيِينَهُ، وَلِذَا يُجَابُ بِالتَّعْيِينِ، فيُقَالُ: «أعلِيّ» مثلاً.

(١) الاستفهام أصله: طَلَبُ الْفَهْمِ، أو: طَلَبُ الْإِفْهَامِ، أي: الإعلام بالشيء، فإذا قلت: «هل قام زيد؟» فالمعنى: أَعْلِمْنِي هل قام زيد، فهو طَلَبُ الْإِعْلَامِ بالشيء، وهذا التفسير أدقُّ من تفسير المؤلف [الذي هو]: «طَلَبُ الْعِلْمِ»؛ لِأَنَّ مَنْ يُطَالِعُ الْكُتُبَ لِيَتَعَلَّمَ يَقَالُ: إِنَّهُ طَالِبُ عِلْمٍ، وَلَا يَقَالُ: مُسْتَفْهِمٌ، فَالْحَسَنُ أَنْ يَقَالُ: الاستفهام: طَلَبُ الْإِعْلَامِ بالشيء.

(٢) هذه الأدوات تأتي استفهاميةً وغير استفهاميةً، لكن هي من أدوات الاستفهام:

١- الهمزة - وهي الأصل - : أَقَائِمُ زَيْدٌ؟

٢- هل: هل قام زيدٌ؟

٣- ما: ما هذا؟

٤- مَنْ: مَنْ الْقَائِمُ؟

٥- أَيَّانَ: أَيَّانَ تَقُومُ؟

٦- كَيْفَ: كَيْفَ جَاءَ زَيْدٌ؟

٧- أَيْنَ: أَيْنَ تَنْزِلُ؟

٨- أَتَى: ﴿أَتَى لَمْ أَلْذَكَرْ﴾ [الدُّخَانُ: ١٣].

٩- كَمْ: كَمْ مَالُكَ؟

١٠- أَيَّ: أَيُّ الرَّجُلَيْنِ قَائِمٌ؟.

والتصديق: هو إدراك النسبة، نحو: «أسافر علي»؟ تستفهم عن حصول السفرِ وعَدَمِهِ، ولذا يُجابُ بـ «نَعَمْ» أو «لا»^(١).

والمسؤولُ عنه في التصوُّر: ما يلي الهمزة، ويكون له مُعَادِلٌ يُذَكَّرُ بعد «أم»، وتُسمَّى: مُتَّصِلَةً، فتقول في الاستفهام:

- عن المُسَدِّدِ إليه: «أأنتَ فَعَلْتَ هذا أم يوسُفُ»؟

- وعن المُسَدِّدِ: «أراغِبُ أنتَ عن الأمرِ أم راغِبٌ فيه»؟^(٢)

(١) هذه المسألة مُهِمَّةٌ: التصوُّرُ أو التصديق، التصوُّر: تصوُّرُ الشيء، والتصديق: الحُكْمُ عليه، فالتصديق بمعنى الحُكْمِ، والتصوُّر إدراكُ الشيء، فمُجَرَّدُ الإدراكِ تصوُّرٌ، والحُكْمُ على الشيء تصديقٌ.

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يقول: «إدراك المفرد، كقولك: أعليُّ مسافرٌ أم خالدٌ؟»، الآن هل أنت شاكٌ في السفر أو في المسافر؟ في المسافر، الحُكْمُ - وهو السفر - معلومٌ عندك، لكن من المسافر؟، إذا كنت تَطْلُبُ تعيينَ المسافرِ وأنت عارفٌ أنَّ السفرَ حاصلٌ فهذا يُقال: إنَّه استفهامٌ تصوُّرٌ، يعني لمعرفة من الفاعل، فيُجابُ بالتعيين، فيُقال: إما علي وإما خالد.

والتصديق: إدراك النسبة، يعني: الحُكْمُ، تستفهم عن الحُكْمِ، يعني عن نسبة الشيء إلى الشيء، فأنت تعلم أنه لا يوجد في الساحة إلا عليُّ، لكن لا تدري أسافر أم هو مقيمٌ، فتقول: «أسافر علي؟»، الشكُّ الآن أو الجهلُ بالسفر هل حَصَلَ أم لا، أمَّا المسافر فإنه معلومٌ أنه لن يسافر إلا فلانٌ، مثلاً تقول: «أقَدِمَ الأميرُ؟» هذا تصديقٌ؛ لأنك تطلب هل قَدِمَ أم لم يَقْدَمْ، ولهذا يكون الجواب بـ «نَعَمْ» أو «لا» بخلاف الأول، الأول: الجواب بالتعيين، والثاني: الجواب بالنفي أو الإثبات.

(٢) المسؤول عنه في التصوُّر: ما يلي الهمزة، والتصوُّر المطلوب فيه التعيين، المسؤول عنه يلي الهمزة وله مُعَادِلٌ، فتقول: «أأنتَ فَعَلْتَ هذا أم يوسُفُ»؟ الجواب: «يوسف» أو «أنت»، ولهذا يُذَكَّرُ ما يُعَادِلُهَا، وتُسمَّى هذه مُتَّصِلَةً، أمَّا إذا كان عن المُسَدِّدِ فأنت =

- وعن المفعول: «أَيَّاي تَقْصِدُ أُمَّ خَالِدًا؟»

- وعن الحال: «أَرَاكِبًا جِئْتَ أُمَّ مَاشِيًا؟»

- وعن الظرف: «أَيُّوَمَ الْخَمِيْسِ قَدِمْتَ أُمَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؟»، وهكذا.

وقد لا يُذَكَّرُ الْمُعَادِلُ، نحو: «أَأَنْتِ فَعَلْتِ هَذَا؟»، «أَرَاغِبُ أَنْتِ عَنِ

الْأَمْرِ؟»، «أَيَّاي تَقْصِدُ؟»، «أَرَاكِبًا جِئْتَ؟»، «أَيُّوَمَ الْخَمِيْسِ قَدِمْتَ؟»^(١).

والمسؤولُ عنه في التصديق: النَّسْبَةُ، ولا يكون لها مُعَادِلٌ، فإن جاءت «أُمُّ»

بعدها قَدَّرَتْ مُنْقَطِعَةً وتكون بمعنى «بَلَّ»^(٢).

= تَذَكَّرُ الْحُكْمَ، الذي يلي الهمزة هو الْحُكْمُ، تقول: «أَمْسَافِرُ أَنْتِ أُمُّ مُقِيمٍ؟»، وتقول

«أَرَاغِبُ أَنْتِ عَنِ الْأَمْرِ أُمُّ رَاغِبٍ فِيهِ؟»، بينهما فَرْقٌ، «أَرَاغِبُ أَنْتِ عَنْهُ أُمُّ فِيهِ» [ما]

الفرق؟

الطالب: أَرَاغِبُ فِيهِ: تَطَلُّبُهُ، أَرَاغِبُ عَنْهُ: زَاهِدٌ عَنْهُ.

الشيخ: أَيُّ: تَتْرَكَهُ.

(١) الآن قد لا يُذَكَّرُ الْمُعَادِلُ، لكنَّ حَذْفَهُ مُشْرُوطٌ بِأَنْ يَكُونَ مَفْهُومًا، مثلاً إذا قلت: «أَرَاكِبًا

جِئْتَ» ما ضِدُّهُ؟ «أُمُّ مَاشِيًا».

على كلِّ حالٍ يُشْتَرَطُ لِحَذْفِ الْمُعَادِلِ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا، فإن كان غيرَ معلومٍ فإنه لا

يجوز حَذْفُهُ، وقد أشار ابنُ مالكٍ إلى هذه القاعدة في قوله:

وَحَذَفَ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ ...

(٢) المسؤولُ عنه في التصديق: النَّسْبَةُ، يعني: الْحُكْمُ، ولا يُذَكَّرُ معها مُعَادِلٌ، فإن دُكِّرَ

مُعَادِلٌ فإنَّهَا تَكُونُ مُنْقَطِعَةً تَقْدِيرًا وتكون بمعنى «بَلَّ»، وهذا كثير في القرآن مثل قوله

تعالى: ﴿أُمُّ عِنْدَهُمُ الْقَيْبُ فَعَمَّ يَكْتُمُونَ﴾ [الطور: ٤١]، ﴿أُمُّ لَهَّ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ [الطور:

٣٩]، الأمثلة في هذا كثيرة.

٢- و«هل» لَطَلَبِ التصديقِ فقط، نحو: «هل جاء صديقك؟» والجواب: «نعم» أو «لا»، ولذا يمتنع معها ذِكْرُ المعادلِ، فلا يقال: «هل جاء صديقك أم عدوك؟»^(١).

و«هل» تُسَمَّى:

- بَسِيطَةٌ: إِنْ اسْتَفْهِمَ بِهَا عَنْ وَجُودِ شَيْءٍ فِي نَفْسِهِ، نَحْوُ: «هل العنقاء موجودة؟»

- وَمُرَكَّبَةٌ: إِنْ اسْتَفْهِمَ بِهَا عَنْ وَجُودِ شَيْءٍ لشيءٍ، نَحْوُ: «هل تبيض العنقاء وتقرخ؟»^(٢).

٣- و«ما» يُطَلَّبُ بِهَا:

- شَرْحُ الاسمِ، نَحْوُ: «ما العسجدُ أو اللجين؟»

- أَوْ حَقِيقَةُ المُسَمَّى، نَحْوُ: «ما الإنسان؟»

- أَوْ حَالُ المذکورِ معها، كقولك لِقَادِمِ عليك: «ما أنت؟»^(٣).

(١) ماذا يقال إذا كنت تريد أن تستفهم هل جاء عدوه أو صديقه؟ يُؤْتَى بالهمزة، فتقول: «أجاء صديقك أم عدوك؟»

(٢) إذا كان المقصود الاستفهام بها عن وجود الشيء فهذه تُسَمَّى: بَسِيطَةٌ؛ لأنها استفهام عن شيءٍ مُعَيَّنٍ، أما إذا استفهم عن صِفَةٍ في شيءٍ فإنها تُسَمَّى: مُرَكَّبَةٌ، مثل: «هل تبيض العنقاء وتقرخ؟»

حَسَنًا، لو قلت: «هل اصفرَّ النخلُ أو احمرَّ؟» بسيطة أو مُرَكَّبَةٌ؟ مُرَكَّبَةٌ، «هل الثمرة موجودة؟» بسيطة.

(٣) يُطَلَّبُ بِهَا:

- ٤- و«مَنْ» يُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الْعُقَلَاءِ، كَقَوْلِكَ: «مَنْ فَتَحَ مِصْرَ؟»^(١).
- ٥- و«مَتَى» يُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الزَّمَانِ، مَاضِيًا كَانَ أَوْ مُسْتَقْبَلًا، نَحْوُ: «مَتَى جِئْتَ؟»، و«مَتَى تَذْهَبُ؟».
- ٦- و«أَيَّانَ» يُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ خَاصَّةً، وَتَكُونُ فِي مَوْضِعِ التَّهْوِيلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦].
- ٧- و«كَيْفَ» يُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الْحَالِ، نَحْوُ: «كَيْفَ أَنْتَ؟».
- ٨- و«أَيْنَ» يُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الْمَكَانِ، نَحْوُ: «أَيْنَ تَذْهَبُ؟».
- ٩- و«أَتَى» تَكُونُ بِمَعْنَى «كَيْفَ»، نَحْوُ: ﴿أَنْ يَأْتِيَ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وَبِمَعْنَى «مِنْ أَيْنَ»، نَحْوُ: ﴿يَمْرُؤٌ أَنْ لَكَ هَذَا﴾^(٢) [آل عمران: ٣٧]، وَبِمَعْنَى «مَتَى»، نَحْوُ: «أَتَى تَكُونُ زِيَادَةُ النَّيْلِ؟».

= - شَرَحُ الْأَسْمِ: نَحْوُ: «مَا الْعَسْجُدُ؟» الْجَوَابُ: الذَّهَبُ، «مَا اللَّجِينُ؟»: الْفِضَّةُ.
 - حَقِيقَةُ الْمُسَمَّى: «مَا الْإِنْسَانُ؟» حَيَوَانٌ نَاطِقٌ، هَذِهِ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ؛ وَ«حَيَوَانٌ» تَشْمَلُ كُلَّ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالْإِنْسَانِ، «نَاطِقٌ»: تُخْرِجُ الْبَهَائِمَ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ نَاطِقَةٍ، وَالْمَرَادُ غَيْرُ نَاطِقَةٍ نَطَقًا مَفْهُومًا، وَإِلَّا فَهِيَ نَاطِقَةٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَلَّمْنَا نَطْقَ الْطَيْرِ﴾ [النمل: ١٦].

- أَوْ حَالُ الْمَذْكُورِ مَعَهَا: كَقَوْلِكَ لِقَادِمٍ عَلَيْكَ: «مَا أَنْتَ؟»، مَاذَا يَكُونُ الْجَوَابُ؟ «صَدِيقٌ»، لَا تَقُلْ: «فُلَانٌ»؛ فُلَانٌ لِلتَّعْيِينِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ اسْمَهُ يَقُولُ: «مَنْ أَنْتَ؟»، لَكِنْ إِذَا قَالَ: «مَا أَنْتَ؟» يَسْتَفْهَمُ عَنْ حَالِهِ لَا عَنْ عَيْنِهِ، يَسْتَفْهَمُ عَنْ حَالِهِ هَلْ هُوَ صَدِيقٌ هَلْ هُوَ عَدُوٌّ، مَاذَا يَقُولُ إِذَا قَالَ: «مَا أَنْتَ؟»، يَقُولُ: «صَدِيقٌ»، إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ نَسَبٌ يَقُولُ: «قَرِيبٌ»، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَدِّدَ النَّسَبَ يَقُولُ: «ابْنُ عَمِّكَ»، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

(١) الْجَوَابُ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ.

(٢) ﴿أَنْ لَكَ هَذَا﴾ يَعْنِي: مِنْ أَيْنَ لَكَ؟

١٠- و«كَمْ» يُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ عَدَدٍ مُبْهَمٍ: ﴿كَمْ لَيْسَتْ﴾ [الكهف: ١٩].

١١- و«أَيُّ» يُطَلَّبُ بِهَا تَمْيِيزُ أَحَدِ الْمُتَشَارِكِينَ فِي أَمْرٍ يُعْمَهُمَا، نَحْوُ: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، وَيُسْأَلُ بِهَا عَنِ الزَّمَانِ، وَالْمَكَانِ، وَالْحَالِ، وَالْعَدَدِ، وَالْعَاقِلِ وَغَيْرِهِ، حَسَبَ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ^(١).

وقد تَخْرُجُ أَلْفَاظُ الاسْتِفْهَامِ عَنِ مَعْنَاهَا الْأَصْلِيَّةِ لِمَعَانٍ أُخْرَى، تُفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ:

١- كَالْتَّسْوِيَةِ، نَحْوُ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾^(٢) [البقرة: ٦].

٢- وَالنَّفْيِ، نَحْوُ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٣) [الرحمن: ٦٠].

٣- وَالْإِنْكَارِ، نَحْوُ: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾^(٤) [الأنعام: ٤٠]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٥) [الزمر: ٣٦].

(١) فتقول للزمان: «أَيُّ يَوْمٍ تَسَافِرُ؟»، وتقول في المكان: «أَيُّ بَيْتٍ تَسْكُنُ؟»، وتقول في الحال: «أَيُّ حَالٍ تَأْتِي إِلَيَّ فِيهَا؟»، والعدد: «أَيُّ عَدَدٍ تَمْلِكُهُ مِنَ الْإِبْلِ؟»، والعاقل وغيره، حَسَبَ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ.

(٢) قال التَّخْوِيُّونَ الَّذِينَ يُعْرَبُونَ: إِنَّ ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ اسْتِفْهَامٌ، لَكِنَّهُ يُسَبِّكُ وَمَا بَعْدَهُ بِمُضَدَّرٍ، مَعَ أَنَّ الْهَمْزَةَ لَيْسَتْ حَرْفًا مُضَدَّرِيًّا، لَكِنْ هَذَا التَّرْكِيبُ يُسَبِّكُ مَا بَعْدَ الْهَمْزَةِ بِمُضَدَّرٍ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: «إِنْذَارُكَ وَعَدْمُهُ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ»، وَعَلَى هَذَا فَتَكُونُ ﴿سَوَاءٌ﴾ خَبْرًا مُقَدِّمًا، و﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ مَسْبُوكَةٌ بِمُضَدَّرٍ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ.

(٣) والدليل على أَنَّ الاسْتِفْهَامَ لِلنَّفْيِ هُنَا أَنَّهَا أَتَتْ «إِلَّا».

(٤) هَذَا لِلْإِنْكَارِ، وَلَكِنَّهُ إِنْكَارٌ بِمَعْنَى التَّوْيِيخِ.

(٥) أَمَا قَوْلُهُ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ فِي التَّمْثِيلِ بِهِ نَظْرًا؛ لِأَنَّ هَذَا الاسْتِفْهَامَ لِلتَّقْرِيرِ، يَعْنِي: إِنَّ اللَّهَ كَافٍ عَبْدَهُ، لَكِنْ وَجْهُ كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ أَنَّ إِنْكَارَ النَّفْيِ إِقْرَارٌ، إِذَا أَنْكَرْتَ =

٤- والأمر، نحو: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾^(١) [المائدة: ٩١]، ونحو: ﴿ءَأَسَلْتُمْ﴾^(٢) [آل عمران: ٢٠]، أي: انتهوا وأسلموا.

٥ - والنهي، نحو: ﴿أَتَخَشَوْنَهُمْ فَأَلَّ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾^(٣) [التوبة: ١٣].

٦ - والتشويق، نحو: ﴿هَلْ أَذُكُّوْا عَلَىٰ تَحْرِيفٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٤) [الصف: ١٠].

= النفي فهو إقرار، يعني المؤلف كأنه يقول: الهمزة هنا دخلت على النفي فهي لإنكار النفي، وإنكار النفي إقرار، هذا وجه كلام المؤلف، لكن غيره من المعربين يقولون: الاستفهام هنا للتقرير، مثل قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

(١) جاءت ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ في تحريم الخمر والميسر والأنصاب، فإن الله تعالى قال: ﴿يَجَسُّ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ إلى قوله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ أي: فبعد هذا التقرير هل أنتم مُنْهَوْنَ أو لستم بمُنْهَوِّين؟ قال الصحابة: «انتهينا انتهينا»^(*)، المؤلف رحمه الله يرى أن الاستفهام هنا بمعنى الأمر، أي: فأنتهوا.

(٢) ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلْتُمْ﴾ يقول المؤلف: «إنها بمعنى: أسلموا»، ولكن في هذا نظر، بل المعنى: أسألتم بعد هذا البيان أم لم تسلموا؟، أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] فهذه هي التي يصلح أن تقول: [إنها] بمعنى: «فأسلموا».

(٣) يعني: «لا تخشوهم»، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا الْكَاسَ وَأَخْسَبُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

(٤) ومثل ذلك أيضاً: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَلَسِيَّةِ﴾ [الغاشية: ١]، مع أن هذه الثانية يُحْتَمَلُ أن تكون للتعظيم، يعني: أنه حديث عظيم.

(*) لَمَّا نَزَلَ قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ دُعِيَ عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ففَرِثَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شَفَاءٍ، فَقَالَ: «انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا»، رواه أبو داود (١/٢٠)، والترمذي (٦/٤٨)، والنسائي (١/٥٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤١٦/٢).

٧- والتعظيم، نحو: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١)

[البقرة: ٢٥٥].

٨- والتحقير، نحو: «أهذا الذي مَدَحْتَهُ كَثِيرًا؟»^(٢).



(١) التعظيمُ هنا تعظيمُ المشفوعِ إليه، نعم، تعظيمُ اللهِ عزَّ وجلَّ، أنه لعظمته لا أحد يستطيع أن يشفعَ إلا بإذنِ اللهِ.

(٢) ومنه قوله تعالى عن المشركين: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، يعني: يَسُبُّهَا وَيَعْبِيهَا، يعني كأنهم يقولون: هو أحقر من أن يسبَّ آلِهَتهم وَيَعْبِيهَا.

[٤ - التَّمَنِّي]

وَأَمَّا التَّمَنِّي: فَهُوَ طَلَبُ شَيْءٍ مَحْبُوبٍ لَا يُزَجَى حَصُولُهُ لِكَوْنِهِ مُسْتَحِيلًا أَوْ بَعِيدَ الْوُقُوعِ، كَقَوْلِهِ [الوافر]:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ^(١)

وقول المُعْغِيبِ: «لَيْتَ لِي أَلْفَ دِينَارٍ»^(٢).

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ مُتَوَقَّعَ الْحَصُولِ فَإِنَّ تَرْقُبَهُ يُسَمَّى تَرْجِيًا، وَيُعْبَرُ عَنْهُ بِ«عَسَى» و«لَعَلَّ»، نَحْوُ: ﴿لَعَلَّ اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٣) [الطلاق: ١].

وللتَّمَنِّي أربعُ أدواتٍ:

- واحدةٌ أصليَّةٌ وهي: «لَيْتَ».

- وثلاثٌ غيرُ أصليَّةٍ وهي:

(١) يعني في الدنيا لا يمكن أن يعود الشباب، لكن لو فرض أن الإنسان فقد قوته - لضعف لا ليكبر سن - هل يمكن أن تعود القوة؟ نعم يمكن، بالشفاء من هذا المرض يمكن أن تعود.
(٢) [هل] هذا مستحيل؟ بعيد الوقوع، لكن قد يقع، ربّما يموت للمُعْغِيبِ ابنُ عمِّ عنده ملايين الدنانير، ولا يرثه إلا هذا الفقير، بين عَشِيَّةٍ وضحاها يكون عنده ملايين، أليس كذلك؟، إذا ليس بمستحيل أن يرزق الله عزَّ وجلَّ الفقيرَ ألفَ دينارٍ بين عَشِيَّةٍ وضحاها، لكنّه بعيدٌ.

(٣) إذا الفَرْقُ بين التَّرجِي والتَّمَنِّي أن:

- التَّرجِي فيما يترقَّبُ حصوله.

- والتَّمَنِّي عَكْسُ ذَلِكَ، فيما لا يترقَّبُ وقوعه، إمَّا لكونه مستحيلًا وإمَّا لكونه بعيدًا المنال.

١ - «هل»، نحو: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾^(١) [الأعراف: ٥٣].

٢ - «لَوْ»، نحو: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) [الشعراء: ١٠٢].

٣ - «لعل»، نحو قوله [الطويل]:

أَسْرَبَ الْقَطَا! هل مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ^(٣)

ولاستعمال هذه الأدوات في التمني يُنصَبُ المضارعُ الواقعُ في جوابِها^(٤).

* * *

(١) «هل» هنا للتمني، يعني: يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُمْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

(٢) يعني: يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُمْ رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا لِيَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

(٣) هذا إنسان مشتاق إلى أهله أو إلى معشوقته - الله أعلم - مرَّ به سِرْبٌ مِنَ الْقَطَا، فَقَالَ يُخَاطِبُ الْقَطَا:

أَسْرَبَ الْقَطَا! هل مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ

هذا تَمَنٍّ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَنْزِلَ قِطَاةٌ تَقُولُ: «خُذْ جَنَاحِي طِرْ بِهِ»، لَا يُمْكِنُ هَذَا.

(٤) كلُّ مضارعٍ يقع جواباً للتمني أو الترجي فإنه يكون منصوباً.

[٥ - النداء]

وأما النداء: فهو طلبُ الإقبالِ بحرفِ نائبِ مَنْابٍ «أذعو».

وأدواته ثمان: «يا»، والهمزة، و«أي»، و«آ»، و«آي»، و«أيا»، و«هيا» و«وا»^(١)، فالهمزة و«أي» للقريب، وغيرهما للبعيد.

وقد يُنزلُ البعيدُ منزلةَ القريبِ، فينادى بالهمزة و«أي» إشارةً إلى أنه لشيءٍ استحضاره في ذهنِ المتكلمِ صارَ كالحاضرِ معه، كقولِ الشاعرِ [الطويل]:

أَسْكَانَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ! تَيَقَّنُوا بَأَنكُمْ فِي رَبْعِ قَلْبِي سُكَّانُ^(٢)

وقد يُنزلُ القريبُ منزلةَ البعيدِ، فينادى بأحدِ الحروفِ الموضوعَةِ له إشارةً إلى أن المُنَادَى عَظِيمُ الشَّانِ، رَفِيعُ المَرْتَبَةِ، حَتَّى كَأَنَّ بَعْدَ دَرَجَتِهِ فِي العِظَمِ عَن دَرَجَةِ المَتَكَلِّمِ بَعْدَ فِي المَسَافَةِ، كقولك: «أيا مولاي!» وأنت معه، أو إشارةً إلى انحطاطِ دَرَجَتِهِ، كقولك: «أيا هذا!» لَمَنْ هُوَ مَعَكَ، أو إشارةً إلى أَنَّ السامِعَ غَافِلٌ لِنَحْوِ نَوْمٍ أو ذُهُولٍ كَأَنَّهُ غَيْرُ حَاضِرٍ فِي المَجْلِسِ، كقولك للساهي: «أيا فلان!»^(٣).



(١) لو قال المؤلف: «النداء: طلبُ الإقبالِ بـ «يا» أو إحدى أخواتها» لكان أوضح. أدواته ثمان، لكنَّ «وا» تأتي في التذبة، يعني: يندب الإنسان ميتاً أو ما أشبه ذلك، يأتي بـ«وا»، ثم فصل المؤلف.

(٢) هنا يخاطب أناساً بعيدين: «أَسْكَانَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ»، لكنَّه لشيءٍ استحضاره إيَّاهم ناداهم مُنَادَى القريبِ.

(٣) قد يُنزلُ القريبُ منزلةَ البعيدِ لأسبابٍ، إمَّا:

١- لِعُلُوِّ المَرْتَبَةِ.

[الإنشاء غير الطلبي]

وغيرُ الطَّلْبِيِّ يكون بالتعجُّبِ، والقَسَمِ، وصِيغِ العُقودِ كـ «بِغْتِ»
و«اشتريتِ»، ويكون بغير ذلك.

وأنواعُ الإنشاءِ غيرِ الطَّلْبِيِّ ليست من مباحثِ عِلْمِ المعاني؛ فلذا صَرَبْنَا
صَفْحاً عنها^(١).

* * *

٢ - أو لِدُنُو المرتبةِ .

٣ - أو لِغَفْلَتِهِ .

٤ - أو لِبِلَاهَتِهِ، أو ما أشبه ذلك .

ولهذا إذا فَهَمْتَ رَجُلًا مسألةً من المسائل وَعَجِزَ أَلَا يَفْهَمُ تقول: «يا رجل! هذا هو
المقصود، يا رجل! أفهم»، وهو عندك، لا تقل «أرْجُلُ» لا، [بل] تقول: «يا رَجُلُ»؛
لأنه لِبِلَاهَتِهِ صار كأنه بعيدٌ .

وقد يُنْزَلُ القريبُ مَنزِلَةَ البعيدِ، أو البعيدُ مَنزِلَةَ القريبِ؛ وذلك حَسَبَ السياقِ .

(١) الإنشاء غير الطَّلْبِيِّ يكون:

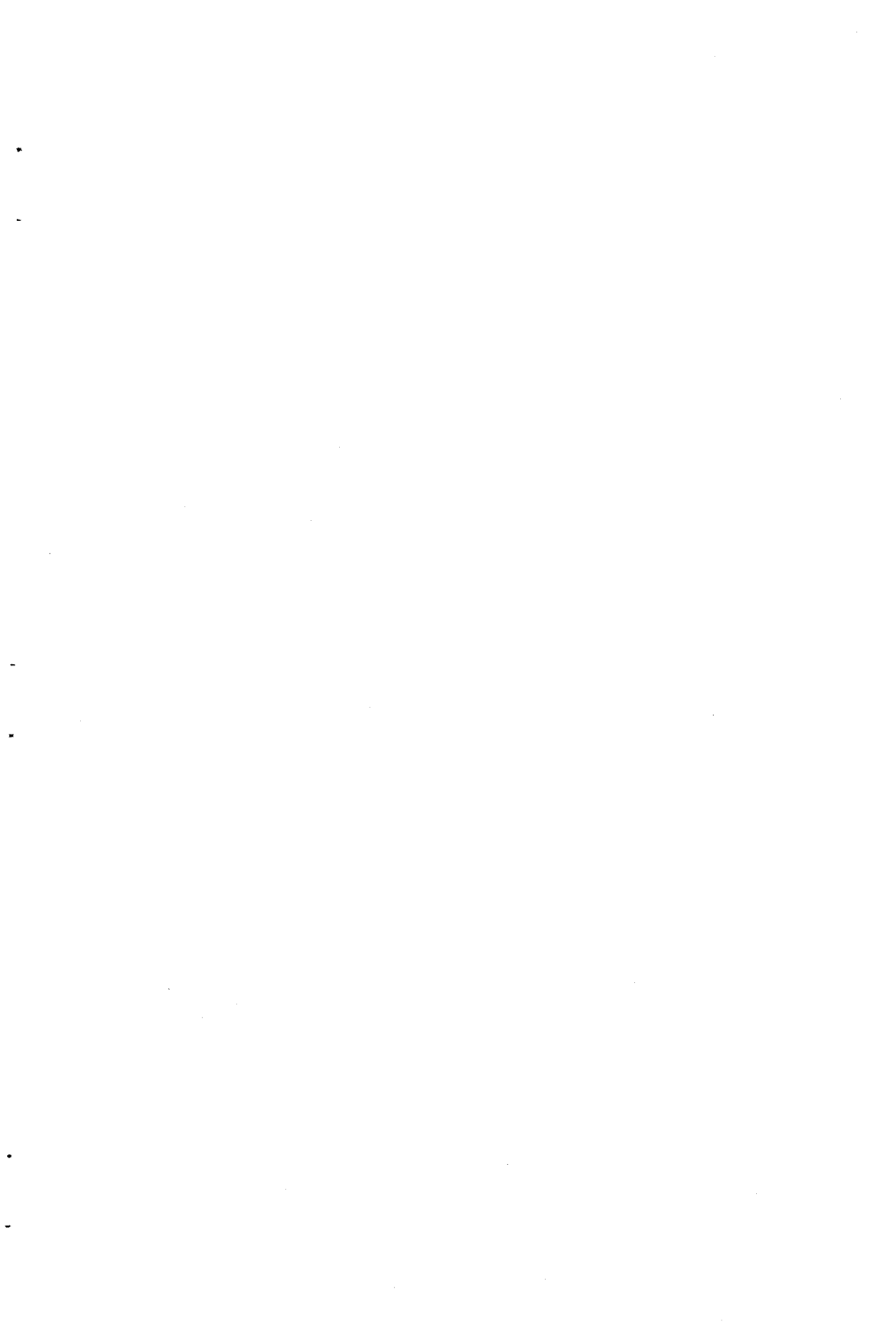
- بالتعجُّبِ، مثل: «ما أحسنَ زيداً»، ومثل قوله تعالى: «أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ» [مريم: ٣٨].

- بالقَسَمِ؛ لأنَّ القَسَمَ إنشاءٌ: «واللَّهِ لأفعلنَّ»، هذا إنشاءٌ قَسَمٍ، ليس خبراً عن قَسَمٍ، بل
هو إنشاءٌ قَسَمٍ .

- وصِيغِ العُقودِ كـ «بِغْتِ» «طَلَّقْتُ» «وَقَفْتُ» «رَهَنْتُ»، هذه ليست أخباراً، هذه إنشاءٌ؛
لأنَّهَا عَقْدٌ من الآن، لكنَّهَا في الواقعِ إخبارٌ عَمَّا في نَفْسِ العاقِدِ، فإذا قلت: «طَلَّقْتُ
زوجتي» هل تَطْلُقُ؟ إن كان خبراً عن الماضي نَظَرْنَا هل طَلَّقَ أو ما طَلَّقَ، وإن كان إنشاءً
للطلاقِ الآنَ طَلَّقْتُ .

كذلك لو قلت: «بِغْتِ بيتي عليك»، إذا كان إنشاءً عَقْدٍ من الآن فليس خبراً، بل هو
إنشاءٌ، ماذا يقول الثاني؟ «قَبِلْتُ»، إذا كان خبراً- يعني: بِغْتُهُ أَمْسٍ- ماذا يقول الثاني؟
«صَدَّقْتُ» أو «كَذَّبْتُ»، الأول يكون إنشاءً وعَقْداً إذا قَبِلَ المخاطَبُ تَمَّ البِيعُ، والثاني
يكون خبراً إن كان قد وقع أَمْسٌ فهو بِيعٌ وإلَّا فلا .

الباب الثاني
في
الذُّكْرِ وَالْحَذْفِ



الذَّكْر والحذف

إذا أُريدَ إفادةُ السامعِ حُكماً فأَيُّ لفظٍ يَدُلُّ على معنى فيه فالأصلُ ذِكرُه، وأيُّ لفظٍ عَلِمَ مِنَ الكلامِ لِدلالةٍ باقِيه عليه فالأصلُ حذفُه، وإذا تعارضَ هذانِ الأصلانِ فلا يُعدَلُ عن مُقتَضَى أحدهما إلى مُقتَضَى الآخرِ إلا لداعٍ^(١).

فَمِن دواعي الذَّكْرِ:

١- زيادةُ التقريرِ والإيضاحِ، نحو: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) [البقرة: ٥].

٢- والتسجيلُ على السامعِ حتى لا يَتَأْتِيَ له الإنكارُ، كما إذا قال الحاكمُ لشاهدٍ: «هل أَقرَّ زيدٌ هذا بأنَّ عليه كذا؟» فيقول الشاهدُ: «نعم، زيدٌ هذا أَقرَّ بأنَّ عليه كذا»^(٣).

(١) الأصلُ فيما يُراد إفهامُه: الذَّكْرُ؛ لأنَّ المحذوفَ الأصلُ فيه عدمُ العِلْمِ فالأصلُ الذَّكْرُ^(*)، وإذا كان ذِكرُ الشيءِ لا فائدةً منه فالأصلُ الحذفُ ولا يُذكرُ إلا لفائدةً، يعني: إذا كان معلوماً مِنَ السياقِ فالأصلُ حذفُه ولا يُذكرُ إلا لفائدةً؛ وذلك لأنَّ ذِكرَه مع العِلْمِ به تَطْوِيلٌ بلا فائدةً، إذا تعارضَ هذا وهذا فإنَّ الأصلَ ذِكرُ ما يحتاج إلى ذِكرٍ، وحذفُ ما يحتاج إلى حذفٍ.

(٢) الشاهدُ قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، لو قال: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ كفى؛ لأنَّ كلَّ مَنْ كان على هدى من ربه فهو مُفْلِحٌ، لكنَّ حَتَمَها بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(٣) لا يحتاج إلى «[زيدٌ هذا]» إلا من أجل أن يُسجَلَ على السامعِ حتى لا يُنكِرَ ويقول: «إنِّي أردتُ زيداَ غيرَ هذا».

(*) لأنعدام القرينة الدالة عليه عند حذفه.

وَمِنْ دَوَاعِي الْحَذْفِ:

١- إخفاء الأمر عن غير المُخاطَبِ، نحو: «أَقْبَلْ»، تريد «عَلِيًّا» مثلاً^(١).

٢- وَضِيقُ الْمَقَامِ:

أ - إِمَّا لِتَوْجُّعٍ، نحو [الخفيف]:

قال لي: «كيف أنت؟» قُلْتُ: «عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»^(٢)

ب - وَإِمَّا لِخَوْفِ فَوَاتِ فُرْصَةٍ، نحو قول الصَّيَّادِ: «غَزَالٌ!!»^(٣).

٣- والتعميمُ باختصارٍ، نحو: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥].

(١) صحيح، من دواعي الحذف هو ما ذكَّره: إخفاء الأمر، تقول: «أَقْبَلْ»، تقول: «سَرَقَ» ولا تذكر السارق، تقول: «سَرِقَ المتاع» ولا تذكر السارق.

(٢) هذا سُئِلَ: «كيف أنت؟» قال: «عليل مريض»، فسره بقوله: «سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»، اللهم أعِذْنَا من ذلك .

المحذوف: «قُلْتُ: أنا عليل، حالي سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»، فحذف المبتدأ في كلتا الجملتين:

- الأول التقدير: «أنا عليل»، لكن قال «عليل» لأجل أن يُبادِرَ المُتكلِّمَ بذِكْرِ الحال.

- وأيضاً «سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ» هذا مثله، والتقدير: «حالي سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»، فحذفها حتى يُبينَ سببَ عِلَّتِهِ مِنْ أَوَّلِ وَهَلَّةٍ.

(٣) الصَّيَّادُ يريد أن يصيد، فيقال له: «غزال غزال!!»، لا يقال: «انظر إلى الغزال يمشي على يمينك أو على يسارك»، لو كان يتكلَّم هذا الكلام تفوُّتَ الفرصة، أو مثلاً الصَّيَّادُ يريد أن يصيد والسلاحُ عنده، فيأتي مُسرِعاً ويقول: «غزال غزال!!» لا يقول: «رأيتُ غزالاً يمكن أن أرميه فأوثقه»، ما يحتاج، المُهمُّ إذا خاف فواتَ الفرصةِ فإنَّه يُحذف، «غزال» تقديرها: هذا غزال.

أي: جميع عبادِه؛ لأنَّ حَذَفَ المعمولِ يُؤذِنُ بالعموم^(١).

٤- وتنزيلُ المُتعدِّي مَنزِلَةَ اللَّازِمِ* لعدم تعلقِ الغَرَضِ بالمعمولِ، نحو:
﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) [الزُّمَر: ٩].

ويُعدُّ مِنَ الحذفِ إسنَادُ الفعلِ إلى نَائِبِ الفاعلِ، فيقال: حُذِفَ الفاعِلُ
للخَوْفِ منه أو عليه، أو للعِلْمِ به، أو الجهلِ، نحو: «سُرِقَ المتاعُ»، ﴿وَحُلِقَ
الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٣) [النساء: ٢٨].

* * *

(١) ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ مَنْ يدعو؟ جميع العبادِ، ولهذا في الهداية قال: ﴿وَيَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، الدعوة عامة، والهداية خاصة.

(٢) المُتعدِّي: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ و﴿يَعْلَمُونَ﴾: هل يستوي الذين يَعْلَمُونَ العِلْمَ أو يَعْلَمُونَ الشيء
والذين لا يَعْلَمُونَه، حُذِفَ لعدم تعلقِ الغَرَضِ بالمعمولِ؛ لأنَّ الغَرَضَ هو العِلْمُ إثباتاً أو
نفيًا.

(٣) «سُرِقَ المتاعُ» للخوفِ منه أو عليه؟ يحتملُ أنه أخفاه:

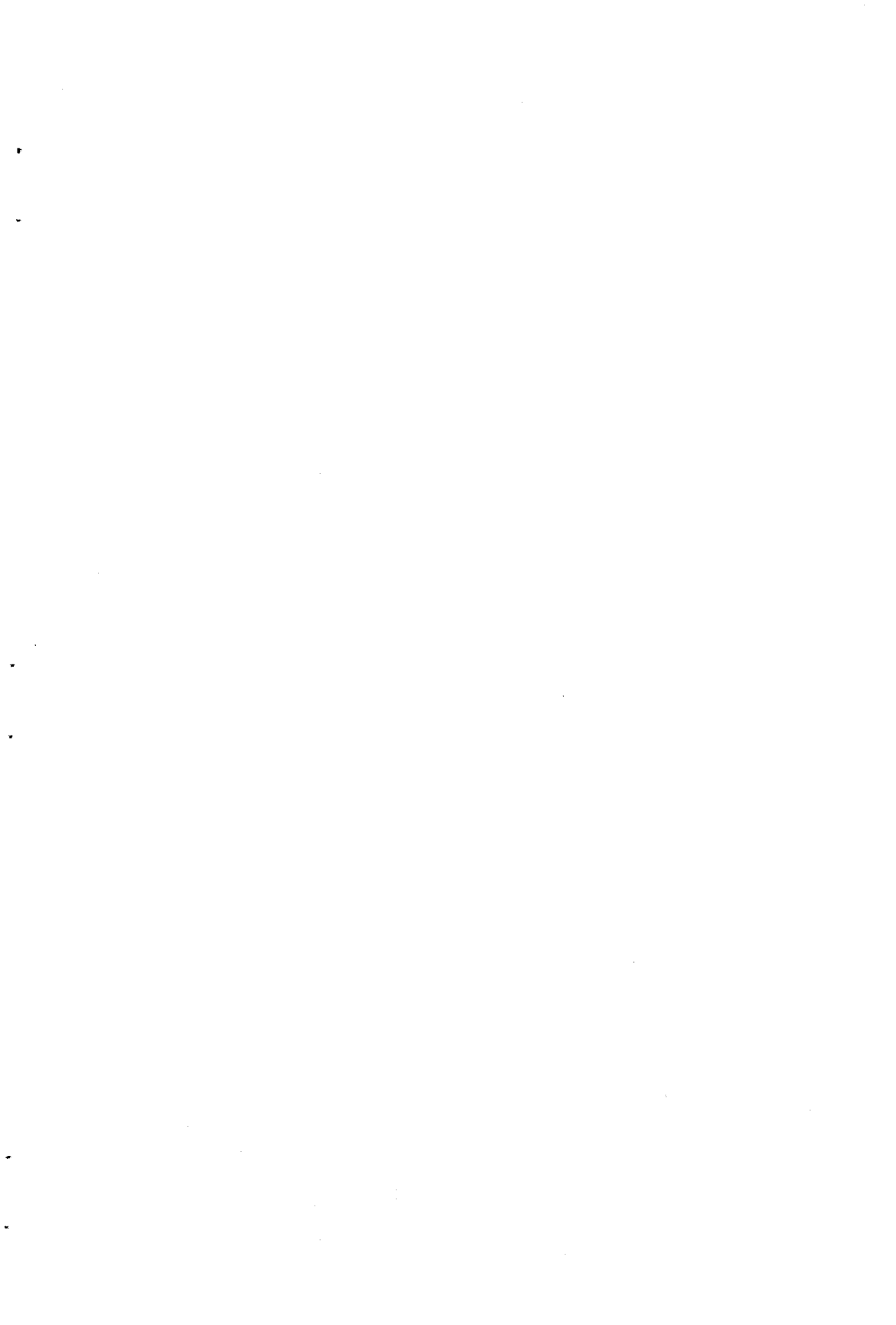
- للخوفِ عليه أنك تأخذه للصدقات وتُعزِّره.

- للخوفِ منه لو أعلَمَ بالسارق، خَشِيَ من السارق، هذا الخوفِ منه.

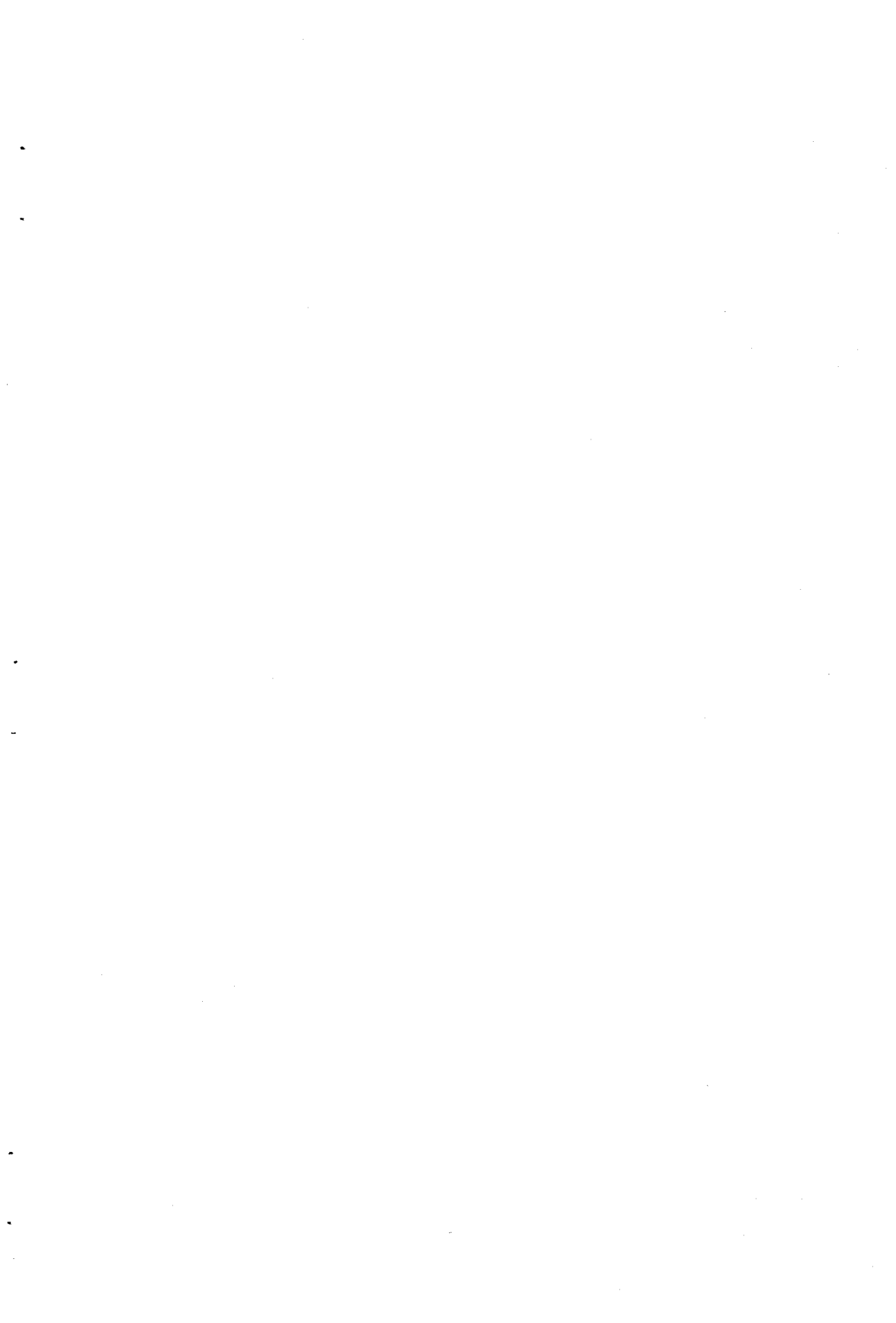
- للجهلِ إذا كان لا يدري.

- أما ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ فللعِلْمِ به؛ لأنه لا خالقَ إلا الله.

(*) وذلك بعدمِ ذِكْرِ المعمولِ.



الباب الثالث
في
التقديم والتأخير



التقديم والتأخير

من المعلوم أنه لا يُمكنُ التَّنطِقُ بأجزاء الكلام دَفْعَةً واحدةً، بل لا بُدَّ من تقديم بعض الأجزاء وتأخير البعض، وليس شيءٌ منها في نفسه أَوْلَى بالتقدُّم من الآخر؛ لأشتراك جميع الألفاظ - من حيث هي ألفاظٌ - في درجة الاعتبار، فلا بُدَّ لتقديم هذا على ذلك من داعٍ يُوجِبُه^(١)، فَمِن الدَّواعي:

١- التثويقُ إلى المُتأخِّرِ إذا كان المُتقدِّمُ مُشعِراً بَغَرَابَةٍ، نحو [الخفيف]:

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ^(٢)

٢- وتعجيلُ المَسْرَةِ أو المَسَاءَةِ، نحو: «العفوُ عنك صَدَرَ به الأمرُ»، أو:

«القصاصُ حَكَمَ به القاضي»^(٣).

(١) التقديم والتأخير - من حيث الكلمات - ليست هذه الكلمة بأولى بالتقديم من هذه الكلمة، هذا من حيث الكلمات نفسها، لكن من حيث التركيب لا شك أن بعضها أولى بالتقديم، فالمبتدأ والخبر ما الأولى بالتقديم؟ المبتدأ، الفعل والفاعل؟ الفعل، وهَلُمَّ جَزَاءً، الاستفهام له الصدارة، لكن كلاً منا على الكلمة من حيث هي.

(٢) ماذا يعني؟ يعني: الإنسان، الإنسان خُلِقَ من تراب، هو الآن جاء بهذا البيت الفخْم الذي يذهب الإنسان في تصوُّره كلَّ مَذْهَبٍ...^(*)

(٣) لو قال: «القصاص منك» كان أوضح، القصاص قد يكون لغیره، ورُبَّما يُسرُّ به لا يُساءُ به، لكن «القصاص منك حَكَمَ به القاضي» عَجَّلَتْ له المساءة.

«العفو عنك صَدَرَ به الأمرُ» الأصل أن يُقال: «صَدَرَ الأمرُ بالعفو عنك» هذا الأصل، لكن تعجيلاً لمَسْرَتِهِ قلت: «العفو عنك صَدَرَ به الأمرُ»، والحقيقة أن هذا =

(*) المراد - هنا - أن الشاعر قدَّم صفةً مُشعِرةً بالغرابة وأخَّر الموصوفَ؛ لِيَجْعَلَ السامِعَ مُشوقاً لِمعرفته، ثم ذَكَرَ أصل نشأته.

٣- وَكَوْنُ الْمُتَقَدِّمِ مَحَطَّ الْإِنْكَارِ وَالتَّعْجِبِ، نحو: «أَبْعَدَ طُولِ التَّجْرِبَةِ»^(١) تَنْخَدِعُ بِهِ الزَّخَارِفِ!؟»^(٢).

٤- وَالتَّصُّرُ عَلَى عُمُومِ السَّلْبِ، أَوْ سَلْبِ الْعُمُومِ:

فَالأَوَّلُ: يَكُونُ بِتَقْدِيمِ أَدَاةِ الْعُمُومِ^(*) عَلَى أَدَاةِ التَّنْفِي، نحو: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ

= الْكَلَامَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فِيهِ رِكَازَةٌ، لَكِنَّ الْمَقْصُودَ صَرْبُ الْمِثَالِ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُعَجِّلَ لَهُ الْبِشَارَةَ مَاذَا نَقُولُ؟: «أَبِشْرْ، فَقَدْ صَدَرَ الْأَمْرُ بِالْعَفْوِ عَنْكَ»، أَمَا «الْعَفْوُ عَنْكَ صَدَرَ بِهِ الْأَمْرُ» هَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ رَكِيكٌ، فَلَيْسَ بِبَلِيغٍ، لَكِنَّ الْمُؤَلِّفَ أَرَادَ بِذَلِكَ صَرْبَ الْمِثْلِ.

كَذَلِكَ «الْقِصَاصُ حَكَمَ بِهِ الْقَاضِي» يَعْنِي: الْقِصَاصُ عَلَيْكَ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَوَّلُ مَا يَسْمَعُ «الْقِصَاصُ» يَتَّقِرُ وَيَخَافُ وَيَرْتَعِدُ، لَكِنَّ لَوْ قَالَ: «حَكَمَ الْقَاضِي بِالْقِصَاصِ عَلَيْكَ» صَارَ - عِنْدَ قَوْلِ الْقَائِلِ: «حَكَمَ الْقَاضِي» - بَيْنَ هَلْ عَلَيَّ أَوْ لَا؟.

(١) [نَطَقَهَا مَنْ يقرأ عَلَى الشَّيْخِ بِضَمِّ الرَّاءِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ مُصَوِّبًا]:

هَذَا مِنَ الْخَطَأِ الشَّائِعِ، النَّاسُ يَقُولُونَ: «التَّجَارِبُ» وَ«التَّجْرِبَةُ» وَهَذَا غَلَطٌ، لَفْظٌ لَا يَسْتَقِيمُ، بَلْ هُوَ بِكسْرِ الرَّاءِ فِي الْمَفْرَدِ وَالْجَمْعِ: «تَجْرِبَةٌ وَتَجَارِبٌ»، قَالَ الشَّاعِرُ^(**) [الْبَسِيطُ]:

قَدْ جَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ

(٢) هَذَا مَحَلُّ الْإِنْكَارِ وَالتَّعْجِبِ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ طُولِ التَّجْرِبَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ حَذِرًا مُتَّيِبًا يَقِظًا، فَلَا يَكُونُ مُنْخَدِعًا، وَمِثْلُ قَوْلِ الْمُؤَلِّفِ^(***) رَحِمَهُ اللهُ [الطَّوِيلُ]:

أَبْعَدَ بِيَاضِ الشَّيْبِ أَعْمُرُ مَسْكَنًا سَوَى الْقَبْرِ، إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ لِأَحْمَقٍ
يُحَبِّرُنِي شَيْبِي بِأَنِّي مَيِّتٌ وَشَيْكًا وَيَنْعَانِي إِلَيَّ فَيَصْدُقُ

الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «أَبْعَدَ بِيَاضِ الشَّيْبِ أَعْمُرُ مَسْكَنًا سَوَى الْقَبْرِ».

(*) ٥: «كُلُّ»، وَ«جَمِيعٌ».

(**) هُوَ الْأَعْمَشِيُّ مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ، أَحَدُ أَصْحَابِ الْمَعْلَقَاتِ الْعَشْرِ، وَالْبَيْتُ كَمَا فِي تَاجِ الْعُرُوسِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ (جَرَبُ):

كَمْ جَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ أبا قُدَامَةَ إِلَّا الْمَجْدَ وَالْفَتَمَا

(***) هُوَ مُؤَلِّفُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، صَاحِبُ كِتَابِ (الْمَغْنِيِّ) الْمَرْجِعِ الْكَبِيرِ فِي الْفِقْهِ الْحَنْبَلِيِّ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٢٠ هـ.

يَكُنْ»، أي: لَمْ يَقَعِ هذا ولا ذلك.

والثاني: يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم، نحو: «لَمْ يَكُنْ كُلُّ ذلك»، أي: لَمْ يَقَعِ المَجْمُوعُ^(*)، فَيَحْتَمِلُ ثُبُوتَ البعضِ، وَيَحْتَمِلُ نَفْيَ كُلِّ فَرْدٍ^(١).

٥- والتخصيصُ، نحو: «ما أنا قُلْتُ»، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(٢) [الفاتحة: ٥].

ولَمْ يُدَكِّرْ لِكُلِّ مِنَ التَّقْدِيمِ والتَّأخِيرِ دَوَاعٍ خَاصَّةٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَقَدَّمَ أَحَدُ رُكْنَيْ الجُمْلَةِ تَأَخَّرَ الآخَرُ، فَهَمَا مُتَلَازِمَانِ^(٣).

* * *

(١) هذه مسألة مِهْمَةٌ، إِذَا قُلْتَ: «هَلْ كَلَّمْتَ فُلَانًا أَوْ فُلَانًا؟» فَقُلْتُ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ» هَذَا نَفْيُ عَمُومِ السَّلْبِ، يَعْنِي: أَنِّي لَمْ أَكَلِّمْ هَذَا وَلَا هَذَا، وَإِذَا قُلْتَ: «لَمْ يَكُنْ كُلُّ ذَلِكَ» فَفِيهِ اِحْتِمَالٌ أَنِّي لَمْ أَكَلِّمَهُمَا، أَوْ اِحْتِمَالٌ أَنِّي لَمْ أَكَلِّمَهُمَا جَمِيعًا بَلْ كَلَّمْتُ وَاحِدًا وَتَرَكْتُ الآخَرَ.

- عَمُومُ السَّلْبِ يَكُونُ إِذَا قَدَّمْتَ صِيغَةَ العَمُومِ عَلَى النَفْيِ.

- وَسَلْبُ العَمُومِ إِذَا قَدَّمْتَ النَفْيَ عَلَى صِيغَةَ العَمُومِ.

فِي بَعْضِ أَقْطَابِ حَدِيثِ ذِي اليَدَيْنِ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ ذُو اليَدَيْنِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَنْسَيْتَ أَمْ قُصِرَتْ الصَّلَاةُ؟» فَقَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ»^(**)، مِنْ أَيِّهِمَا؟ مِنْ عَمُومِ السَّلْبِ، يَعْنِي: مَا كَانَ هَذَا وَلَا هَذَا، لَكِنْ لَوْ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ كُلُّ ذَلِكَ» صَارَ مِنْ سَلْبِ العَمُومِ، وَالسَّلْبُ هُنَا بِمَعْنَى النَفْيِ.

(٢) هُنَا قَدَّمَ العَمُومَ، وَتَقْدِيمُ العَمُومِ يَدُلُّ عَلَى الإِخْتِصَاصِ.

(٣) إِذَا دَكَّرْتَ دَوَاعِيَ التَّقْدِيمِ عَرَفْتَ دَوَاعِيَ التَّأخِيرِ.

(*) النفي في عموم السلب يكون لكل فرد، أما في سلب العموم فيكون للمجموع غالباً.

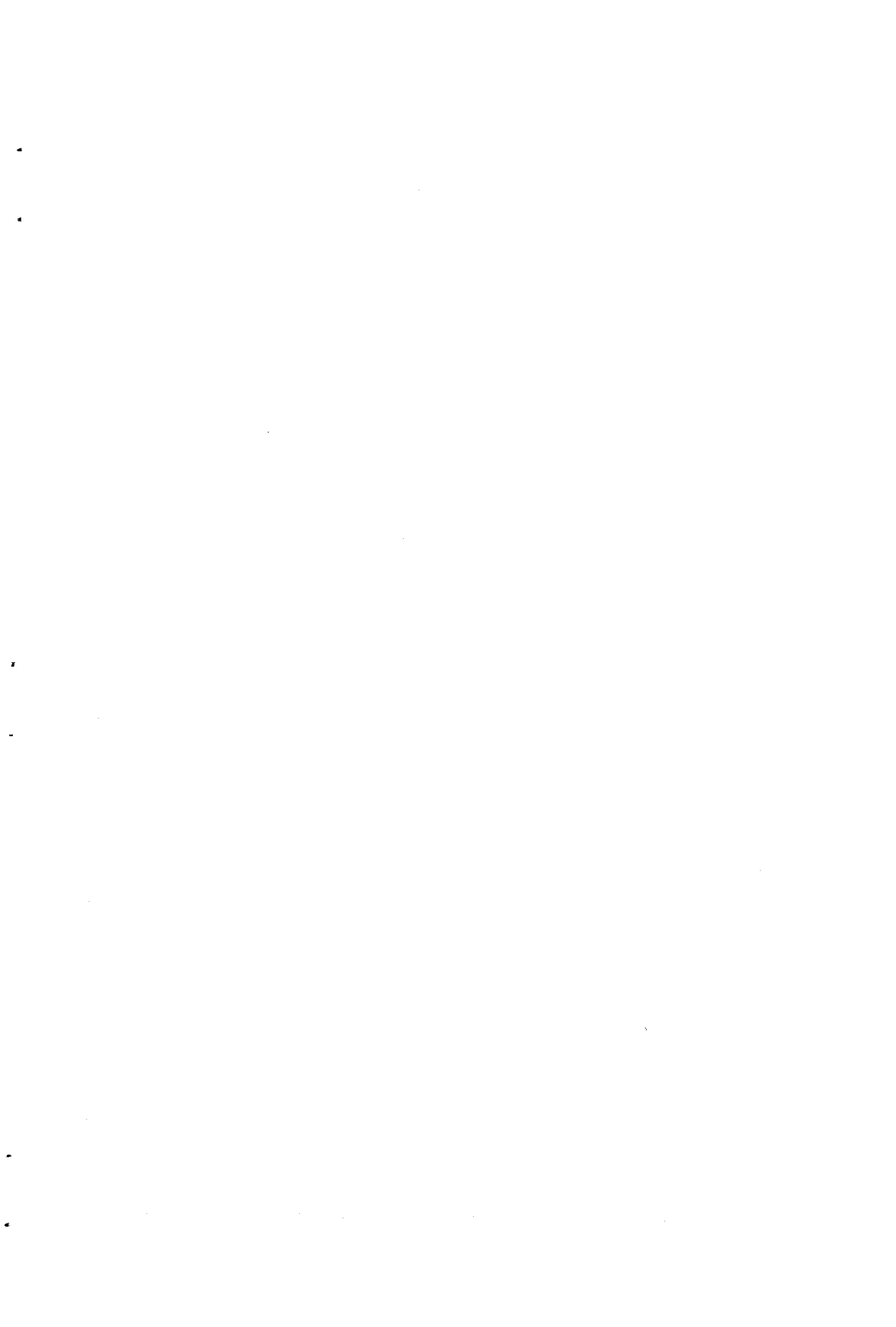
(**) رواه البخاري (٦٩/١٠)، ومسلم (٥/٩٩)، واللفظ له.



الباب الرابع

في

القصر



القُضْر

القُضْرُ: تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ^(١)، بطريقٍ مخصوصٍ.

وينقسم إلى: حقيقي، وإضافي.

١ - فالحقيقي: ما كان الاختصاصُ فيه بحسبِ الواقعِ والحقيقةِ، لا بحسبِ الإضافةِ إلى شيءٍ آخرَ، نحو: «لا كاتبٌ في المدينةِ إلا عليٌّ» إذا لم يكن غيره فيها من الكتابِ^(٢).

٢ - والإضافي: ما كان الاختصاصُ فيه بحسبِ الإضافةِ إلى شيءٍ مُعيَّنٍ، نحو: «ما عليٌّ إلا قائمٌ» أي أن له صفةَ القيامِ لا صفةَ القعودِ، وليس الغرضُ نفيَ جميعِ الصفاتِ عنه، ما عدا صفةَ القيامِ^(٣).

(١) ائْتَبَه إلى أن القُضْرَ يعني: الحضْر، فهو يُسَمَّى حَضْرًا وَيُسَمَّى قُضْرًا؛ لأنَّ الحَضْرَ: قُضْرُ شيءٍ على آخرَ، فهما بمعنى واحد.

(٢) القُضْرُ - وهو الحَضْرُ - : حقيقي وإضافي:

- فإذا قلت: «لا إله إلا الله» فالحَضْرُ حقيقي؛ لأنَّ المقصودَ: لا إله حقٌ إلا الله، وهذا حقيقي.

- وإذا قلت: «لا خالقٌ إلا الله» فهو أيضاً حقيقي.

- وإذا قلت: «لا مَلِكَ إلا فلان» وهو - حقيقةً - ليس هناك إلا مَلِكٌ واحد؛ هذا حقيقي.

- وإذا قلت: «لا مُعَلِّمَ إلا فلان» وليس في البلدِ سواه، و«لا كاتبَ إلا فلان» ولا كاتبَ سواه؛ حقيقي.

(٣) الإضافي: هو ما كان محصوراً بالنسبة إلى شيءٍ مُعيَّنٍ.

إذا قلت: «لا جوادَ إلا حاتمٌ» - حاتم الطائي المعروف - إضافي؛ لأنَّه يُوجدُ أجوادَ كثيرين، ولكن لا جوادَ مثلاً باعتبار المكان الذي هو فيه، باعتبار الزمان الذي هو فيه، باعتبار نوعِ من الجود، فالإضافي: ما كان الحَضْرُ فيه باعتبار شيءٍ مُعيَّنٍ.

وكلُّ منهما ينقسم [باعتبار طَرَفَيْهِ] إلى:

١- قَصْرُ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ، نحو: «لا فَارِسَ إِلَّا عَلِيٌّ».

٢- وَقَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ^(*)، نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فيجوزُ عليه الموتُ^(١).

وَالْقَصْرُ الْإِضَافِيُّ يَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ حَالِ الْمُخَاطَبِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١- قَصْرُ إِفْرَادٍ: إِذَا اعْتَقَدَ الْمُخَاطَبُ الشَّرِكَةَ.

= وإِثْمَا الْحَضْرُ الَّذِي يُقْصَدُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ؟ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يُحْمَلُ عَلَى الْحَقِيقِيِّ، فَإِذَا تَعَدَّرَ الْحَمْلُ عَلَى الْحَقِيقِيِّ قُلْنَا: هَذَا إِضَافِي.

حَسَنًا، «مَا عَلِيٌّ إِلَّا قَائِمٌ» هَذَا إِضَافِي؛ لِأَنَّهُ ضَاحِكٌ جَائِعٌ عَطْشَانٌ بَاكٍ لَهُ صِفَاتٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُ «قَائِمٍ»، لَكِنِ هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الصِّفَةِ الْمُعَيَّنَةِ، يَعْنِي أَنَّهُ قَائِمٌ وَلَيْسَ بِقَاعِدٍ، هَذَا مَا نُسَمِّيهِ حَضْرًا إِضَافِيًّا، فَمَا كَانَ الْحَضْرُ فِيهِ بِاعْتِبَارِ الْوَاقِعِ فَهُوَ حَقِيقِيٌّ، وَمَا كَانَ الْحَضْرُ بِهِ بِاعْتِبَارِ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ فَهُوَ إِضَافِيٌّ.

(١) إِذَا كَانَتْ الصِّفَةُ مُخْتَصَّةً بِمَوْصُوفِهَا فَهُوَ قَصْرُ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ، وَإِنْ كَانَ الْمَوْصُوفُ مَقْصُورًا عَلَى الصِّفَةِ فَهُوَ قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ.

- «لا فَارِسَ إِلَّا عَلِيٌّ» قَصْرُنَا صِفَةَ الْفَرُوسِيَّةِ عَلَى عَلِيٍّ، أَمَّا كَوْنُهُ حَقِيقِيًّا أَوْ إِضَافِيًّا فَتَنْظُرُ، إِنْ كَانَ فِي الْبَلَدِ فَارِسٌ سِوَاهُ فَهُوَ إِضَافِيٌّ، وَإِلَّا فَهُوَ حَقِيقِيٌّ.

- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ هَذَا قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ، يَعْنِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ رَسُولٌ لَا أَنَّهُ رَبٌّ، وَلَا أَنَّهُ مَلَكٌ، وَلَا أَنَّهُ سَيُّحُلْدٌ؛ لِأَنَّ آخِرَ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: ﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

- «لا قَائِمٌ إِلَّا مُحَمَّدٌ»: صِفَةٌ عَلَى مَوْصُوفٍ.

- «مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا قَائِمٌ»: مَوْصُوفٌ عَلَى صِفَةٍ.

(*) الْغَالِبُ فِي الْقَصْرِ الْحَقِيقِيُّ قَصْرُ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ، وَيَنْدَرُ فِيهِ قَصْرُ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ، أَمَّا الْقَصْرُ الْإِضَافِيُّ فَيَرِدُ فِيهِ النَّوْعَانِ بِكَثْرَةٍ.

٢- وَقَصْرِ قَلْبٍ: إِذَا اعْتَقَدَ الْعَكْسَ.

٣- وَقَصْرٍ تَعْيِينٍ: إِذَا اعْتَقَدَ وَاحِدًا غَيْرَ مُعَيَّنٍ^(١).

وَلِلْقَصْرِ طُرُقٌ:

١ - منها: التَّفْيِي وَالِاسْتِثْنَاءُ، نَحْوُ: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:

[٣١].

٢ - ومنها: «إِنَّمَا»، نَحْوُ: «إِنَّمَا الْفَاهِمُ عَلِيٌّ».

٣ - ومنها: الْعَطْفُ بِ«لَا» أَوْ «بَل» أَوْ «لَكِنْ»، نَحْوُ: «أَنَا نَائِرٌ لَا نَاطِمٌ»،

و«مَا أَنَا حَاسِبٌ بَلْ كَاتِبٌ»^(٢).

(١) الْقَصْرُ الْإِضَافِيُّ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١- قَصْرُ إِفْرَادٍ: إِذَا اعْتَقَدَ الْمَخَاطَبَ الشَّرِكَةَ، فَإِذَا قُلْتَ: «لَا قَائِمٌ إِلَّا مُحَمَّدٌ» تُخَاطَبُ رَجُلًا يَعْتَقِدُ أَنَّ الْقَائِمَ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ؛ هَذَا قَصْرٌ إِفْرَادٍ، يَعْنِي بَعْدَمَا كَانَ الْمَخَاطَبُ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْقَائِمَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ؛ صَارَ الْآنَ لَا يَتَصَوَّرُ إِلَّا وَاحِدًا.

٢- قَصْرُ قَلْبٍ: إِنْسَانٌ يَعْتَقِدُ أَنَّ عَمْرًا هُوَ الْكَاتِبُ، فَقُلْتَ: «لَا كَاتِبَ إِلَّا عَلِيٌّ»، هَذَا قَصْرٌ قَلْبٍ؛ لِأَنَّ الْمَخَاطَبَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا كَاتِبَ إِلَّا عَمْرُو، الْآنَ قَلَبْتَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ وَقُلْتَ: «لَا كَاتِبَ إِلَّا عَلِيٌّ أَوْ مُحَمَّدٌ»، الْمَهْمُ أَنَّنِي خَاطَبْتُهُ بِغَيْرِ مَا كَانَ يَعْتَقِدُ، هَذَا يُسَمَّى قَصْرَ قَلْبٍ؛ لِأَنِّي قَلَبْتُ مَفْهُومَ الْمَخَاطَبِ إِلَى ضِدِّهِ.

٣- قَصْرُ تَعْيِينٍ: مِثْلُ أَنْ يَسْأَلَكَ سَائِلٌ: «يَا فُلَانُ! هَلْ عَمْرُو هُوَ الْكَاتِبُ أَوْ خَالِدٌ؟» فَقُلْتَ: «لَا كَاتِبَ إِلَّا خَالِدٌ»، هَذَا تَعْيِينٌ.

(٢) مَا أَتَى بِمِثَالِ «لَكِنْ!»، انْتَرَعُ «بَل» وَضَعْتُ بَدَلَهَا «لَكِنْ»؛ يَسْتَقِيمُ، تَقُولُ: «مَا أَنَا حَاسِبٌ لَكِنْ كَاتِبٌ».

٤ - ومنها: تقديم ما حقه التأخير، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(١) [الفاتحة: ٥].

* * *

(١) الآن ذَكَرَ الطَّرُقَ:

- ١ - النفي والاستثناء، وهو أعلاها، مثل: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ما هذا إلا ملك كريم، وهذا الحَضْرُ إضافي، يعني أَنَّ السُّنُوَةَ قُلْنَ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.
- ٢ - «إنما»، والفرق بين «إلا» و«إنما» أَنَّ «إلا» يليها المحصور فيه، و«إنما» يليها المحصور، اثْبَتَهُ للفرق، مثاله: «إنما الفاهم علي»، الآن حَصَرْتَ الفَهْمَ بعلي؛ لأنَّ «إنما» يليها المحصور.
- ٣ - «لا»، تقول: «القائمُ علي لا بَكْرٌ».
- ٤ - «بل»: «ما القائمُ فلانٌ بل فلانٌ».
- ٥ - «لكن»: «ما القائمُ فلانٌ لكن فلانٌ».
- ٦ - تقديم ما حقه التأخير: هذه عامَّة، كلُّ «تقديم ما حقه التأخير» فهو مُفِيدٌ للحَضْر، سواء كان مفعولاً به أو كان خبراً أو غير ذلك (*).

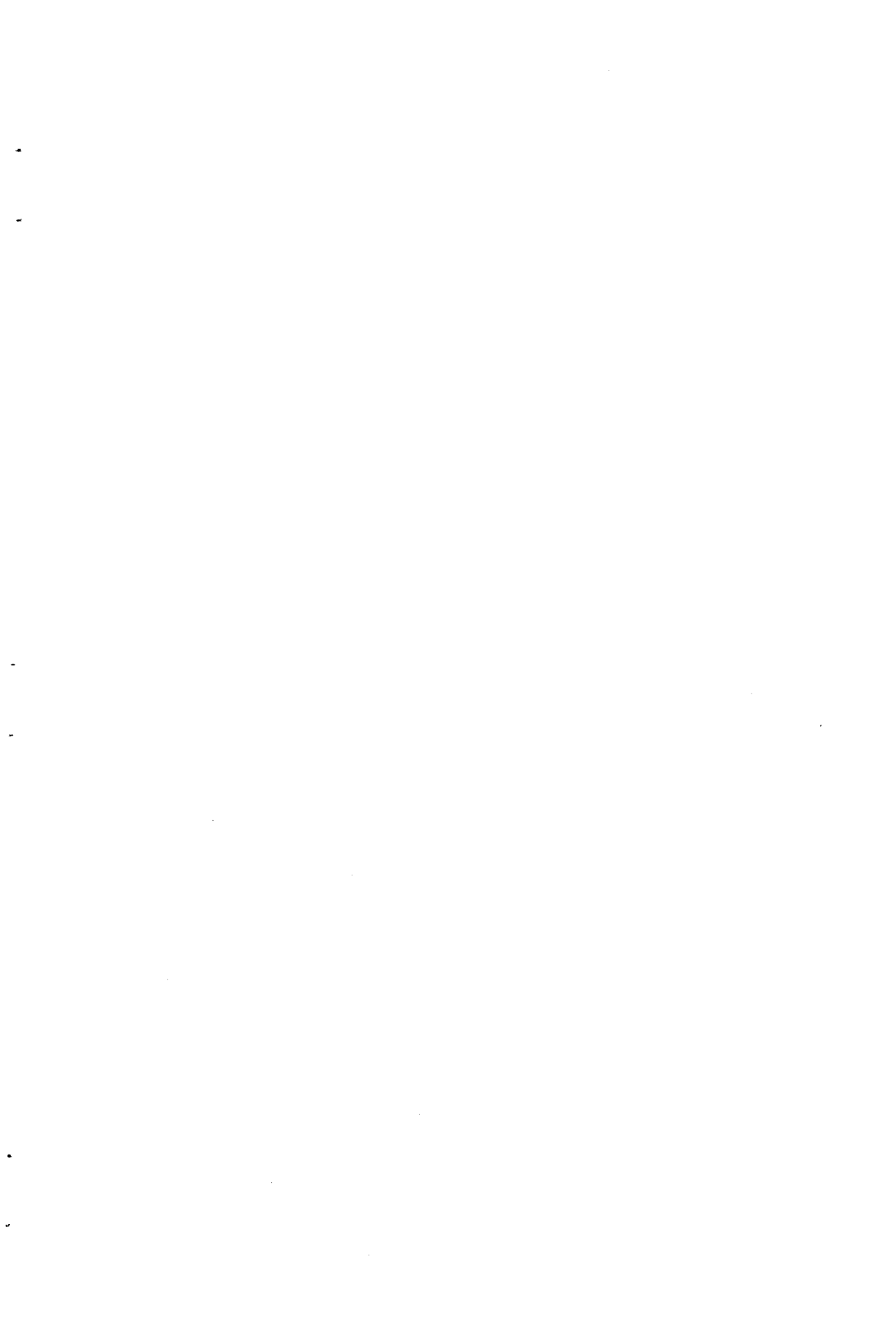
(*) وهذا توضيح هيكلي لمواضع المقصور والمقصور عليه في الطَّرُق السابقة:

- ١- النفي والاستثناء: (نفي + مقصور + استثناء + مقصور عليه).
- ٢- إنما: (إنما + مقصور + مقصور عليه).
- ٣- لا: (مقصور + مقصور عليه + لا + المقابل).
- ٤- بل، لكن: (نفي أو نهي + مبتدأ أو فعل + مقصور + بل أو لكن + مقصور عليه).
- ٥- تقديم ما حقه التأخير: (مقصور عليه + مقصور).

الباب الخامس

في

الفصل والوصل



الفصل والوصل

الْوَصْلُ: عَطْفُ جُمْلَةٍ عَلَى أُخْرَى.

وَالْفَصْلُ: تَرْكُهُ.

وَالكَلَامُ هُنَا قَاصِرٌ عَلَى الْعَطْفِ بِالْوَاوِ؛ لِأَنَّ الْعَطْفَ بغيرِهَا لَا يَقَعُ فِيهِ اشْتِيَاءٌ.

وَلِكُلِّ مِنَ الْوَصْلِ بِهَا وَالْفَصْلِ مَوَاضِعٌ^(١).

* * *

(١) الوصل: عَطْفُ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ بِالْوَاوِ.

والفصل: تَرْكُ عَطْفِهِ بِالْوَاوِ.

هَذَا الضَّابِطُ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مَوَاضِعٌ يَذْكُرُهَا الْمُؤَلِّفُ.

مواضع الوصل بالواو

يَجِبُ الْوَصْلُ فِي مَوْضِعَيْنِ:

الأول: إذا اتَّفَقَتِ الْجُمْلَتَانِ خَبْرًا أَوْ إِنْشَاءً وَكَانَ بَيْنَهُمَا جِهَةٌ جَامِعَةٌ، أَيْ: مَنَاسِبَةٌ تَامَّةٌ، وَلَمْ يَكُنْ مَانِعٌ مِنَ الْعَطْفِ، نَحْوُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^(١) [الانفطار: ١٣-١٤]، وَنَحْوُ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(٢) [التوبة: ٨٢].

الثاني: إِذَا أَوْهَمَ تَرْكُ الْعَطْفِ خِلَافَ الْمَقْصُودِ، كَمَا إِذَا قُلْتَ: «لا، وَشَفَاهِ اللَّهُ» جَوَابًا لِمَنْ يَسْأَلُكَ: «هَلْ بَرِيءٌ عَلَيَّ مِنَ الْمَرَضِ»؟، فَتَرْكُ الْوَاوِ يُؤْهِمُ الدَّعَاءَ عَلَيْهِ، وَغَرَضُكَ الدَّعَاءَ لَهُ^(٣).

(١) الْآنَ [لَوْ] فُصِّلَ وَقُلْتَ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ تَنَافَرَتِ الْجُمْلَتَانِ، فَإِذَا قُلْتَ ﴿وَإِنَّ الْفَجَارَ﴾ صَارَتِ الْمَنَاسِبَةُ بَيْنَهُمَا أَظْهَرَ، فَهِنَا وَصَلْ؛ لِأَنَّآ عَطَفْنَا إِحْدَى الْجُمْلَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى بِالْوَاوِ.

(٢) كَذَلِكَ أَيْضًا ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ لَوْ حَذَفْتَ الْوَاوِ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا لِيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ تَنَاسُبٌ، لَكِنْ لَوْ قُلْنَا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ قَرَنَتِ الْوَاوِ بَيْنَهُمَا وَصَارَ بَيْنَهُمَا مَنَاسِبَةٌ^(*).
(٣) هَذِهِ كَثِيرًا مَا تَقَعُ، وَيُخْطِئُ فِيهَا النَّاسُ، دَائِمًا يَقُولُونَ: «لا هَذَاكَ اللَّهُ» «لا رَحِمَكَ اللَّهُ»، =

(*) سئِلَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ فِيمَا بَعْدَ هَذَا السُّؤَالِ:

الطَّلَبُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوْءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، وَهَنَّاك آيَةٌ [أُخْرَى وَهِيَ]: ﴿وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]، [فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا]؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ أَفَادَتْ مَعْنَى أُخْرَى، وَهِيَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ ثُمَّ أَضَافَ إِلَيْهِ الْعُقُوبَةَ الثَّانِيَةَ وَهِيَ التَّدْبِيحُ، وَالْأُولَى أَعْجَلُ - [مِنْ الْإِجْمَالِ] - قَالَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ فَفَسَّرَهُ بِالتَّدْبِيحِ.

مواضع الفصل

يَجِبُ الْفَصْلُ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ:

الأول: أن يكونَ بينَ الجُمْلَتَيْنِ اتِّحَادٌ تَامٌّ بِأَنْ تَكُونَ الثَّانِيَةُ:

- بَدَلًا مِنَ الْأُولَى، نَحْوُ: ﴿أَمَدُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدُّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنِ﴾^(١)
[الشعراء: ١٣٢-١٣٣].

- أَوْ بِأَنْ تَكُونَ بَيَانًا لَهَا، نَحْوُ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى سَجَرَةٍ خَالِدٍ﴾^(٢) [طه: ١٢٠].

= تَسْأَلُهُ: «هَلْ قَدِمَ زَيْدٌ؟» يَقُولُ: «لَا رَحِمَكَ اللَّهُ»، «هَلْ شَفِيَ مِنَ الْمَرَضِ؟» [فيقول: «لا شفاه الله»، وما أشبه ذلك، هنا يَتَّعَيْنُ العطفُ بالواو وهو الوصل، فتقول: «لا، وشفاه الله».

لو قلتَ لِمَنْ سَأَلْتُ «هَلْ بَرِيَءٌ مِنَ الْمَرَضِ؟»: «لا شفاه الله»؛ سيقول لك: «ما الذي بينك وبينه؟»، لماذا تدعو له بعدم الشفاء؟»، لكن إذا قلت: «لا، وشفاه الله» قَطَعْتَ هَذَا الاحتمالَ، وصار الوصلُ هنا واجباً.

أَكْثَرُ مُخَاطَبَتِنَا بِعَدَمِ الْوَائِ، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي ذِهْنِكَ أَنْ تَأْتِيَ بِالْوَصْلِ.
(١) ﴿وَأَنْتَقُوا الَّذِي أَمَدُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ بماذا أمدنا؟ أمدكم بأنعام وبنين؛ لأنك هنا لو وصلتَ وقلت «وَأَمَدُّكُمْ» صارت الثانيةُ غيرَ الأولى، والمقصود أنَّ الثانيةُ هي الأولى، لو كانت الآيةُ الكريمةُ: «أمدكم بما تعلمون وأمدكم بأنعام وبنين»؛ صارت الثانيةُ غيرَ الأولى، والمقصودُ بيانُ أنَّ الثانيةُ هي الأولى، فيكون ﴿أَمَدُّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنِ﴾ بدلاً من الأولى.

(٢) القائلُ إبليسُ، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ يعني: ألقى إليه الوسواسَ، ولم يقل: «فَوَسْوَسَ له»، بل أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ، كَلِمَةٌ ﴿قَالَ يَتَّادِمُ﴾ بيانٌ للوسوسة التي ألقاها إليه الشيطانُ، لو قال: «فوسوس إليه الشيطان وقال يا آدم» لكان ﴿قَالَ يَتَّادِمُ﴾ غيرَ الوسوسة، لكن وَسْوَسَ إِلَيْهِ بشيءٍ غيرِ مذكور.

- أو بأن تكونَ مُؤَكَّدَةٌ لها، نحو: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤْيَا﴾^(١) [الطارق: ١٧].

ويقال في هذا الموضع: إنَّ بين الجملتين كمالَ الاتِّصَالِ^(٢).

الثاني: أن يكونَ بين الجملتين تبايُنٌ تامٌّ:

- بأن يَخْتَلِفَا خبراً وإنشاءً^(٣)، كقوله [المُنسَرِح]:

لا تَسْأَلِ المَرْءَ عن خَلَاتِقِهِ في وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الخَبَرِ^(٤)

(١) «مَهْلٌ» و«أَمْهَلٌ» معانها واحد، ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ هذا مُطْلَقٌ ما يُدْرَى هل أَمْهَلُهُمْ قليلاً أو كثيراً؟، فَيَذْهَبُ الذَّهْنُ كُلُّ مَذْهَبٍ، فقال: ﴿أَمْهَلُهُمْ رُؤْيَا﴾.

فإن قال قائلٌ: لماذا قال «مَهْلٌ» و«أَمْهَلٌ»؟

قلنا: هذا اختلاف الفعلين لِئَلَّا يقع التكرارُ، وهو ما يُسمَّى عندهم بـ «التَّقْنينِ في العبارة».

إذاً لو كان في غير القرآن وقلت: ﴿أَمْهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُؤْيَا﴾ يجوز، و - هو في غير

القرآن - أيضاً: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ مَهْلُهُمْ رُؤْيَا﴾ يجوز^(*).

(٢) لأنَّ الثانية هي الأولى أو بَدَلٌ منها أو بيانٌ لها، فبينهما كمالُ الاتِّصَالِ.

(٣) هذا عكس الأولى، والتبايُنُ فسره: بأن يَخْتَلِفَا خبراً وإنشاءً، يعني: بأن تكون إحداهما

خبراً والأخرى إنشاءً.

(٤) يعني لا تسأله: ما الذي بك؟ ما الذي أغضبك؟ ما الذي سَرَكَ؟ لا تسأله؛ لأنَّ في وَجْهِهِ

شاهداً من الخَبَرِ، الإنسان يَعْرِفُ الشخصَ إذا رأى وَجْهَهُ، يَعْرِفُ أَنَّهُ مسرور أو مغموم،

يَعْرِفُ أَنَّهُ عَدُوٌّ أو صديق، فَالوجوهُ في الحقيقة صَفْحَاتُ القلوبِ.

هاتان الجملتان^(**) اختلفتا خبراً وإنشاءً: الأولى: إنشاءً، والثانية: خبر.

(*) قُرئ شاذاً: ﴿فَأَمْهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُؤْيَا﴾، انظر: «إعراب القراءات الشواذ: ٦٩٩/٢» للعكبري، وقرأ ابن

عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ مَهْلُهُمْ رُؤْيَا﴾، انظر: «البحر المحيط: ٤٥٦/٨» لأبي حيان الأندلسي،

«المحرر: ٤٠٤/١٥» لابن عطية، «الدر المصون: ٥٠٨/٦» للسمين الحلبي.

(**) أي: سَطَّرَا البيتِ.

وكقولِ الآخرِ [البسيط]:

وقال رائدُهُم: أَرَسُوا نَزَاوِلَهَا فَحَتَّفُ كُلُّ امْرِئٍ يَجْرِي بِمِقْدَارِ^(١)

- أو بأن لا يكون بينهما مُنَاسَبَةٌ في المعنى، كقولك: «عليّ كَاتِبٌ، الْحَمَامُ طَائِرٌ»، فَإِنَّهُ لَا مُنَاسَبَةَ فِي الْمَعْنَى بَيْنَ كِتَابَةِ عَلِيٍّ وَطَيْرَانِ الْحَمَامِ.

ويقال في هذا الموضوع: إِنَّ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ كَمَالَ الْإِنْقِطَاعِ^(٢).

الثالث: كَوْنُ الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ جَوَابًا عَنِ سَوَالٍ نَشَأَ مِنَ الْجُمْلَةِ الْأُولَى، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٣) [يوسف: ٥٣].

ويقال: بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ شِبْهُ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ.

الرابع: أَنْ تُسَبَّقَ جُمْلَةٌ بِجُمْلَتَيْنِ يَصِحُّ عَطْفُهَا عَلَى إِحْدَاهُمَا؛ لِوُجُودِ الْمُنَاسَبَةِ، وَفِي عَطْفِهَا عَلَى الْأُخْرَى فِسَادٌ، فَيُتْرَكُ الْعَطْفُ؛ دَفْعًا لِلْوَهْمِ، كقوله [الكامل]:

وَتَظُنُّ سَلَمَى أَنِّي أَبْغِي بِهَا بَدَلًا، أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمٌ

فجملته «أراها» يَصِحُّ عَطْفُهَا عَلَى «تَظُنُّ»، لَكِنْ يَمْنَعُ مِنْ هَذَا تَوَهُّمُ الْعَطْفِ عَلَى جُمْلَةِ «أَبْغِي بِهَا»، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ الثَّلَاثَةُ مِنْ مَظْنُونَاتِ سَلَمَى، مَعَ أَنَّهُ

(١) بينهما تباين، الأولى: إنشاء، والثانية: خبر، هل بين الجملتين انفصال؟ هناك عطف: «فَحَتَّفُ»، ولكن بغير الواو، العطف بغير الواو فصل.

(٢) الآن لو قال قائل: «عليّ كَاتِبٌ، وَالْحَمَامُ طَائِرٌ»؛ كَانَ النَّاسُ يَتَقَدُّونَ عَلَيْهِ، مَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ «عَلِيٍّ كَاتِبٌ» وَ«الْحَمَامُ طَائِرٌ»؟! مَا الْعَلَاقَةُ؟!، إِذَا قَالَ: «عَلِيٌّ كَاتِبٌ، الْحَمَامُ طَائِرٌ» فَصَلَّهْمَا وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُمَا عِلَاقَةً، فَبَيْنَهُمَا إِذَا تَبَايَنَ تَأْمٌ لِعَدَمِ الْمُنَاسَبَةِ.

(٣) كِلْتَا الْجُمْلَتَيْنِ خَبَرٌ، لَكِنَّ الثَّانِيَةَ تَعْلِيلٌ لِلأُولَى، فَالْجُمْلَةُ التَّعْلِيلِيَّةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأُولَى فَضْلٌ، يَجِبُ الْفَصْلُ لِأَنَّهَا تَعْلِيلٌ لَهَا.

ليس مُراداً^(١).

ويُقال: بين الجملتين في هذا الموضع شبهة كمال الانقطاع.

الخامس: أن لا يُقصدَ تشريك الجملتين في الحُكم لقيام مانع^(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ ۗ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، فجملة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ﴾ لا يصحُّ عطفها على ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؛ لافتِضائه أنه من مَقولهم، ولا على جملة ﴿قَالُوا﴾؛ لافتِضائه أن استهزاء الله بهم مُقيَّد بحالِ خُلُوهم إلى شياطينهم.

ويُقال^(٣): بين الجملتين في هذا الموضع تَوَسُّطٌ بين الكمالين.

* * *

(١) لو قال: «وأراها» لكان يحتمل أن تكون عطفاً على «تظنُّ»، وأن تكون عطفاً على «أبغى»، والمعنى يختلف اختلافاً عظيماً، لذلك نقول: اقطع العطف لتكون جملةً مستقلةً: «أراها في الضلال تهبم».

(٢) إذا لم يُقصدَ تشريك الجملتين في الحُكم لقيام مانع فإنه يجب الفصل؛ لئلا يتوهّم واهمُّ أن الجملتين مشتركتان في الحُكم.

إذا قال قائلٌ: هذه المعاني التي قالها المؤلفُ بماذا تُدرِك؟

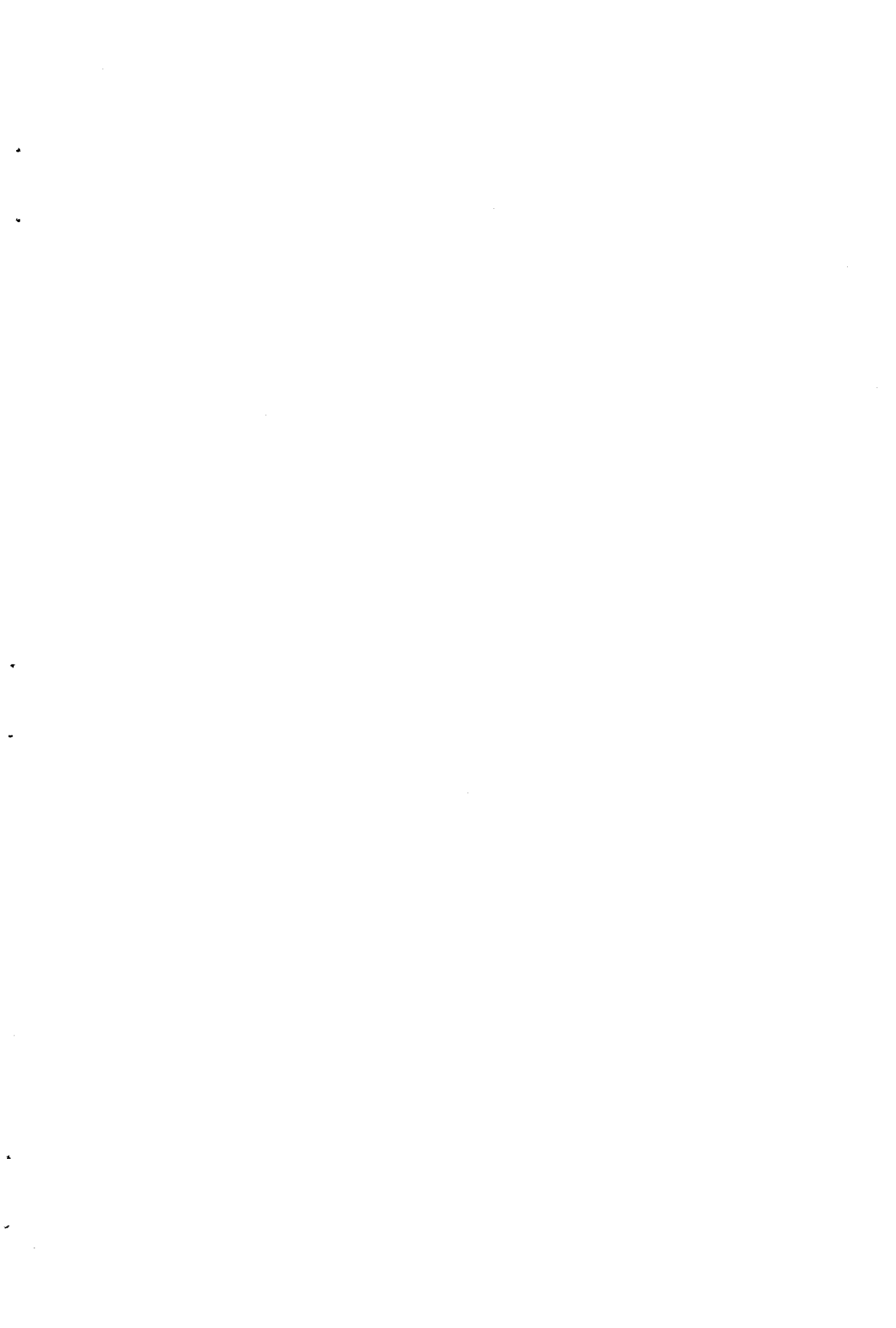
فالجواب: أنها تُدرِك بسياق الكلام وما يحتمله من المعاني، ولذلك رُبما يفهم بعض الناس أن الأولى الفصل، وآخرُ يرى أن الأولى الوصل؛ لأنَّ الأفهام تختلف، فالشيء الذي يرجع إلى القرائن هذا لا بُدَّ أن يختلف الناس فيه، لكن أنت إذا عرفت الضابطَ نُزِّل كلامك الذي تتكلّم به على هذا الضابط.

(٣) أمّا قولُ المؤلفِ: «ويُقال ويُقال» فهذا تعريفُ الاصطلاح: اصطلاحِ البلاغيين، بمعنى أنت إن شئت لا تقلّ بهذا، لكن الاصطلاح لا مشاحة فيه.

الباب السادس

في

الإيجاز والإطناب والمساواة



الإيجاز والإطناب والمساواة^(١)

كُلُّ ما يَجُولُ فِي الصَّدْرِ مِنَ المَعَانِي يُمَكِّنُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِثَلَاثِ طُرُقٍ:

١- المَسَاوَاةُ: وَهِيَ تَأْدِيَةُ المَعْنَى المُرَادِ بِعِبَارَةٍ مُسَاوِيَةٍ لَهُ، بِأَنْ تَكُونَ عَلَى الحَدِّ الَّذِي جَرَى بِهِ عُرْفُ أَوْسَاطِ النِّاسِ: وَهَمُ الَّذِينَ لَمْ يَزْتَقُوا إِلَى دَرَجَةِ البَلَاغَةِ، وَلَمْ يَنْحَطُّوا إِلَى دَرَجَةِ الفَهَاهَةِ^(٢)، نَحْوُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٢- والإِيجَازُ: وَهُوَ تَأْدِيَةُ المَعْنَى بِعِبَارَةٍ نَاقِصَةٍ عَنْهُ مَعَ وَفَائِهَا بِالغَرَضِ^(٣)، نَحْوُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٤)، فَإِذَا لَمْ تَفِ بِالغَرَضِ سُمِّيَ إِخْلَافًا، كَقَوْلِهِ

(١) هَذَا أَيْضًا مِنَ المِهْمِ: هَلِ الأَوَّلَى فِي الكَلَامِ الإِطْنَابُ، أَوِ الأَوَّلَى القَصْرُ وَالإِخْتِصَارُ، أَوِ الأَوَّلَى التَّسْوِيَةُ؟، هَذَا يَرْجِعُ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ الحَالُ.
(٢) هَذَا مِنْ جِنْسِ اللُّقْطَةِ، تَتَّبَعُهُ هِمَّةُ أَوْسَاطِ النِّاسِ.
(٣) الإِيجَازُ ذَكَرَ المَوْئَلُفُ أَنَّهُ: «أَنْ يُؤْتَى بِعِبَارَةٍ نَاقِصَةٍ مَعَ وَفَائِهَا بِالغَرَضِ»، النِّقْصُ قَدْ يَكُونُ نِقْصًا فِي الجَمَلِ، وَقَدْ يَكُونُ نِقْصًا بِالحِذْفِ وَهَذَا أَكْثَرُ مَا يَكُونُ فِي القِصَصِ، فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ تَأَمَّلْ أَنَّ القِصَصَ - قِصَّةَ يوسُفَ وَقِصَّةَ موسَى - يَكُونُ فِيهَا حِذْفٌ كَثِيرًا، هَذَا الَّذِي نُسِّمِيهِ إِيجَازًا.

(٤) «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» هَذَا إِيجَازٌ، لَكِنَّهُ وَاضِحٌ أَوْ غَيْرُ وَاضِحٍ؟ وَاضِحٌ.
«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(**) إِيجَازٌ.

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكَلِّمِ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(***) هَذَا إِيجَازٌ مَعَ وَضُوحِ المَعْنَى.
الإِيجَازُ لَهُ مَحَلَّاتٌ وَمَوَاضِعٌ، وَالإِطْنَابُ لَهُ مَحَلَّاتٌ وَمَوَاضِعٌ.

(*) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١/١)، وَمُسْلِمٌ (٣٣/١٥٥).

(**) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٠/١٨).

(***) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣١/٧٨)، وَمُسْلِمٌ (١/٧٤).

[مجزوء الكامل]:

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّهِ لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَذِبًا

مُرَادُهُ: أَنَّ الْعَيْشَ الرَّغْدَ فِي ظِلِّهِ الْحُمُقِ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الشَّقِيقِ فِي ظِلِّهِ الْعَقْلِ^(١).

٣- والإطناب: وهو تأديئة المعنى بعبارة زائدة عنه مع الفائدة، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، أي: كَبُرَتْ.

فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سُمِّيَ تطويلاً إن كانت الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ، وَحَشْوًا إِنْ تَعَيَّنَتْ.

فالتطويلُ نحو [الوافر]:

وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا

والحشْوُ نحو [الطويل]:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ^(٢)

(١) هذا مُخِلٌّ ولا يفهم معناه أحدٌ، مع أنه غير مُسَلَّم، نحن نرى أَنَّ الْعَيْشَ فِي ظِلِّهِ الْعَقْلُ وَإِنْ كَانَ شَاقًّا خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ فِي ظِلِّهِ النَّوْكِ (يعني: التَّرَفُ والتَّعْنَمُ)، لكن أكثر الناس بهائم يريد أن يعيش في تَرَفٍ وِرْحَاءٍ وَإِنْ كَانَ عَيْشُهُ لَيْسَ مَبْنِيًّا عَلَى الْعَقْلِ.

(٢) الإطناب: هو تأديئة المعنى بعبارة زائدة عنه- أي: عن المعنى- مع الفائدة، فإن لم يكن فائدة سُمِّيَ تطويلاً إن كانت الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ، وَحَشْوًا إِنْ تَعَيَّنَتْ، مثلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ هذا كناية عن كِبَرِ السِّنِّ، لو قال: «رَبِّ إِنِّي كَبُرْتُ» صَحَّ الْكَلَامُ، يعني حَصَلَ الْمَقْصُودُ، لكن أراد أن يُبَيِّنَ الدَّلَالََةَ الْوَاضِحَةَ عَلَى كِبَرِهِ وَهُوَ الْجَمْعُ بين هذين الأمرين:

ومن دواعي الإيجاز: تسهيل الحفظ، وتقريب الفهم، وضيق المقام،

١ - وَهْنُ الْعَظْمِ .

٢ - واشتعال الرأس شيئاً .

لو أن أحدهما تخلف فليس دليلاً على الكبر؛ لأنه رُبُّمَا يَهْنُ الْعَظْمُ من مرضٍ مع صغره، ورُبُّمَا يَشْتَعِلُ رَأْسُهُ شيئاً مع صغره، وهذا واقع، لكن إذا اجتمعا كان ذلك دليلاً على الكبر .

إذا لم يكن في الزيادة فائدة فإن كانت الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ فهو تطويل، وإن كانت مُتَعَيِّنَةً فهو حشو، مثال ذلك: «وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْناً»، الآن «كَذِباً وَمَيْناً» معناهما: «كَذِبٌ»، أيُّهما الزائد؟
الطلبة: المين .

الشيخ رحمته: لا، الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ، لا ندري هي الأولى أو الثانية، لو قال: «وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً» صحَّ، و«أَلْفَى قَوْلَهَا مَيْناً» صحَّ، فلا ندري أيُّهما الزائد.
قد يقول قائلٌ كما قلتم: «إنَّ الزائد هو الثاني؛ لأنه لو اقتصَرَ على «كَذِباً» استغنى عن الثاني» .

فيقال: إنَّ الواو- التي هي حرف العطف- تقتضي الاشتراك، وإذا كانت تقتضي التشريك صارت الكلمتان كأنهما كلمة واحدة، فأحدهما يُستغنى عنه ولا يُعلم أيُّهما. وأما «وأعلمَ علمَ اليوم والأمسِ قبله» فالثانية زائدة قطعاً؛ لأنَّ كلمة «أمس» تُغني عن «قبله»، وليس بينهما عطفٌ بالواو حتى نقول إنَّ هناك اشتراكاً.
بقيَّة البيت: «ولكنني عن علمٍ ما في غدٍ عمٍ» يعني: لا أعلم .

الخلاصة:

- إن زاد اللفظ على المعنى فهو إطناب .

- وإن كان المعنى أكثر فهو إيجاز .

- وإن تساوى اللفظ والمعنى فهو مساواة، قولك: «قام زيدٌ مساواةً»، وأكثر الكلام مساواةً .

- الإطناب إن لم يكن فائدةً في الزيادة فهو تطويل، فإن تَعَيَّنَتِ الزيادة فهو حشو .

والإخفاء، وسأمة المحادثة^(١).

ومن دواعي الإطناب: تثبيت المعنى، وتوضيح المراد، والتوكيد، ودفع الإيهام^(٢).

* * *

(١) صحيح، أو الإنسان له شغل مثلاً، فأسباب الإطناب كثيرة:

- تسهيل الحفظ، ولذلك صار العلماء رحمهم الله يختصرون الكتب المطولة.
- تقريب الفهم، أيضاً ربّما إذا طال الكلام يُنسي آخِرُه أوْلُه، فإذا صار قصيراً ففهمه الإنسان.
- ضيق المقام، يكون الإنسان عَجَلًا لا يستطيع أن يطول؛ لأنَّ المقام لا يقتضي.
- الإخفاء، يعني أنه يحذف بعض الأمور إخفاء لها.

- سآمة المحادثة، يعني أن الذي تخاطبه سئم منك، وتشعر هذا إذا قلت «خلاص» وهو يقول: «كيف حالك، كيف العيال، كيف الحرُّ عندكم...؟»، نُفَصِّلُ كُلَّ شَيْءٍ؟!، تقول له: «خلاص» ويظَلُّ يسأل!، هنا يحسُنُ الإيجاز.

ولذلك ينبغي إذا خاطبنا الناس الذين عندهم أشغال كثيرة ألا نُطَوِّلَ عليهم، نُقْتَصِرُ على «السلام عليكم، كيف حالكم، ما تقول في كذا وكذا؟»، أو تسأل حاجتك التي تريد.

(٢) هذه من الدواعي، ومن الدواعي: بلاغة المخاطب، إذا كان المخاطب أبله يحتاج أن نُطَوِّلَ له وتأتي بالمرادف وبالتوكيد حتى يفهم، ولعلّه داخل في قول المؤلف: «توضيح المراد».

أقسام الإيجاز

الإيجازُ إمَّا أن يكونَ بتضمينِ العبارةِ القصيرةِ معانيَ كثيرةً، وهو مَرَكزُ عنايةِ البلغاءِ، وبه تتفاوتُ أقدارُهم، ويُسمَّى: إيجازَ قِصْرٍ، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(١) [البقرة: ١٧٩].

(١) النوع الأول وهو إيجاز القِصْر، هذا يَخْتَلِفُ فيه الناسُ اختلافاً عظيماً، قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ هذه عبارةٌ مُخْتَصِرَةٌ لَكُنْهَا جَمَعَتْ بين الحُكْمِ وكيفيةِ تنفيذِهِ والغايةِ منه، الحُكْمُ: القِصَاصُ، الغاية منه: الحياة، الحُكْمُ أن يُفَعَلَ بالجاني كما فَعَلَ. اشتهَرَ عند الجاهليين عبارةٌ يتناقلونها وَيَرَوْنَ أَنَّها من أبلغ العبارات، وهي قولهم: «القتلُ أنفى للقتل»^(*)، لكن لو قارنْتَ بينها وبين هذه الآية لَوَجَدْتَ الفَرْقَ العظيمَ؛ لأنَّ «القتلُ أنفى للقتل» كُلُّها قَتْلٌ ليس فيها حياة، ولأنَّها ليس فيها دليلٌ على أَنَّها مُقَاصَّةٌ. ودَكَرُوا عشرةً أَوْجِهَ في الفَرْقِ بينهما^(**)، مع أَنَّنا لا نُحَبِّدُ هذا؛ لِأَنَّهُ لا شَكَّ أَنَّهُ لا سواءَ ولا مُقَارَبَةً بين صفاتِ الخالقِ والمخلوقِ، والقرآنُ صِفَةُ الخالقِ عَزَّ وَجَلَّ.

إذا هذه فيها إيجازٌ قِصْرٍ؛ لِأَنَّها تَصَمَّنَتْ معانيَ كثيرةً مع أن كلماتها قليلةٌ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾.

- (*) قاتلها كِسْرَى الفرسِ أزدشير بن شيرويه، تُوفِّي سنة ١٢هـ قبل فتح بلاد فارس.
- (**) أَجْمَلَ القزويني في ثماني نقاط الفروق التي فاقت بها هذه الآية الكريمة قولهم: «القتلُ أنفى للقتل»، فقال: «- أحدها: أن عدَّة حروفٍ ما يناظره منه وهو في «الْقِصَاصِ حَيَوةٌ» عشرةٌ في التلفظ، وعدَّة حروفه أربعة عشر. - وثانيها: ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها، فيكون أوجز عن القتل بغير حق؛ لكونه أدعى إلى الاقتصاص.
- وثالثها: ما يفيد تنكيرُ «حَيَوةٌ» من التعظيم أو النوعية.
- ورابعها: أطراؤه، بخلاف قولهم، فإنَّ القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره.
- وخامسها: سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام، بخلاف قولهم.
- وسادسها: استغناؤه عن تقدير محذوف، بخلاف قولهم، فإنَّ تقديره: القتل أنفى للقتل من تزكيه.
- وسابعها: أن القصاص ضدَّ الحياة، فالجمع بينهما طباق.
- وثمانها: جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال (في) عليه.
- انظر: «الإيضاح في علوم البلاغة» ص ١٠٦.

وإمّا أن يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تُعَيِّنُ المحذوف،
ويُسمَّى: إيجازَ حَذْفٍ.

- فَحَذَفُ الكَلِمَةِ، كحذف «لا» في قول امرئ القيس [الطويل]:

فَقُلْتُ: يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ولو قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي^(١)

- وَحَذَفُ الجُمْلَةِ، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾
[آل عمران: ١٨٤] أي: فَتَأَسَّ وَأَضْبِرْ.

- وَحَذَفُ الأَكْثَرِ، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ ۝٤٥﴾ يُوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴿
[يوسف: ٤٥-٤٦]، أي: أَرْسِلُونِي إِلَى يُوْسُفَ لِأَسْتَعْبِرَهُ الرُّؤْيَا، فَفَعَلُوا، فَآتَاهُ،
وقال له: يَا يُوْسُفُ^(٢).

* * *

(١) التقدير: «لا أبرح»؛ لأنَّ «أبرح» و«أزال» و«فتى» و«أنفك» لا تعمل عمل «كان» إلا إذا
سبقت بنفي أو معناه.

(٢) بدلاً من كلام المؤلف الطويل هذا نقول: حَذَفُ الأَكْثَرِ قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾،
فَأَرْسَلُوهُ، فَاتَى يُوْسُفَ، وقال له: ﴿يُوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾، فَتَجَدَّ فِيهَا حَذْفًا، وكما قلتُ
لكم قبلُ: الغالبُ في القِصص أن يكون فيها إيجازُ حَذْفٍ.

أقسام الإطناب

الإطنابُ يكونُ بأمرٍ كثيرة:

١- منها: ذِكْرُ الخاصِّ بعد العامِّ، نحو: «اجتهدوا في دروسكم واللُّغة العربية»^(١)، وفائدته: التنبية على فضل الخاصِّ، كأنه ليرفعته جنس آخر مغاير لما قبله.

٢- ومنها: ذِكْرُ العامِّ بعد الخاصِّ، كقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٢) [نوح: ٢٨].

٣- ومنها: الإيضاح بعد الإبهام، نحو: ﴿أَمْدُكُم بِمَا تَعْمُونَ ﴿١٣٧﴾ أَمْدُكُمْ بِأَنْعَمِ رَبِّينَ﴾ [الشعراء: ١٣٢-١٣٣].

(١) الشاهد قوله: «واللُّغة العربية»؛ لأنها من دروسهم، لكن نصَّ عليها لما سيأتي، ومثله قوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، ف«الروح» بعض الملائكة، فهو من باب ذِكْرِ الخاصِّ بعد العامِّ.

(٢) قوله: ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ هذا خاصٌّ، ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ أعمُّ لكنَّه خاصٌّ بالنسبة لقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، فصارت الآية فيها ترقُّ من العامِّ إلى ما هو أعمُّ، ﴿اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ ووالداه يدخلان بيته، ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، والفائدة: إرادة العموم بعد التخصيص.

في هذه الآية دليل على أنَّ أبوي نوح كانا مؤمنين؛ لأنه استغفرَ لهما ولم يثنه عن ذلك، بخلاف إبراهيم عليه السلام، فإنه استغفرَ لأبويه ولكنَّه نهي عن الاستغفار لأبيه، قال الله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبِّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]*.

(*) ثم نهي عن الاستغفار لأبيه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوَدِعَةٍ وَعَدَّهَا حَتَّىٰ أَتَاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

٤- ومنها: التكريرُ لِعَرَضٍ:

كطولِ الفِضْلِ في قوله- [الطويل]:

وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٌ^(١)

وكزيادةِ الترغيبِ في العَفْوِ، في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)
[التغابن: ١٤].

وكتأكيدِ الإنذارِ، في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ثُمَّ كَلَّا
سَوْفَ تَعْلَمُونَ^(٣) [التكاثر: ٣-٤].

٥- ومنها: الاعتراضُ: وهو تَوَسُّطُ لَفْظٍ بَيْنَ أَجْزَاءِ جُمْلَةٍ أَوْ بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ
مُرْتَبِطَتَيْنِ مَعْنَى لِعَرَضٍ، نحو [السريع]:

(١) الشاهد قوله: «إنه لكريم»، لو حَذَفَ «إنه» وقال:

وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا لَكَرِيمٌ

يستقيم الكلامُ، لكن لطول الفصل أعاد فقال: «إنه لكريم».

(٢) قوله: ﴿وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾، ﴿تَعَفَوْا﴾: هذا العفو، لكن العافي قد لا يَصْفَحُ،
قد يتكلم فيمن جنى عليه، لكن إذا صَفَحَ - يعني: أَعْرَضَ عنه وولاه صَفْحَةَ عُنُقِهِ - صار
أَبْلَغَ من مجرد العفو، ﴿وَتَغْفِرُوا﴾: هذا أبلغ، بأن تَسْتُرُوا عليهم، ولا يَبْقَى في قلوبكم
شيءٌ، فهو من باب التَّرْقِي من الأدنى إلى الأعلى (*).

(٣) وكذلك في سورة النبأ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾^(٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ^(٤) [الآيتان: ٤-٥].

(* سئل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ فيما بعد هذا السؤال:

الطالب: ما الفرق بين العفو والصفح؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: العفو: عدم المواخِذَة، والصفح: الإعراض عن المعاقبة إعراضاً تاماً كأن شيئاً لم يكن،
لأنه زُبماً يعفو ولا يُعَاقِب لكن يبقى في قلبه شيءٌ، هذا عفا ولم يَصْفَح، أيهما أكمل؟ الصَّفَح.

إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلِّغْتَهَا - قَدْ أَخْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ^(١)

ونحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ - سُبْحَانَهُ^٢ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(٣)

[النحل: ٥٧].

٦- ومنها: التَّذْيِيلُ: وهو تَعْقِيبُ الجُمْلَةِ بِأُخْرَى تَشْتَمِلُ عَلَى معناها تَأْكِيداً

لها، وهو:

إِذَا كَانَ يَكُونُ جَارِيًا مَجْرَى الْمَثَلِ؛ لِاسْتِقْلَالِ معناه واستغنائِهِ عَمَّا قَبْلَهُ، كقوله

تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وإِذَا كَانَ يَكُونُ غَيْرَ جَارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ؛ لِعَدَمِ استغنائِهِ عَمَّا قَبْلَهُ، كقوله

تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾^(٣) [سبأ: ١٧].

(١) هذا توسط لفظ بين أجزاء جملة، الجملة: «الثمانين» و«قد أخوجت»، و«بُلِّغْتَهَا» جملة معترضة، يُخَاطَبُ الْمَلِكُ يَقُولُ: «وَبُلِّغْتَهَا أَنْتَ»، فَجُمْلَةُ «وَبُلِّغْتَهَا» دُعَائِيَّةٌ يَدْعُو لَهَا بِأَنْ يَبْلُغَ الثَّمَانِينَ، «قَدْ أَخْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ» يَعْنِي أَنَّهُ ثَقُلَ سَمْعُهُ لَمَّا بَلَغَ الثَّمَانِينَ، وَاحْتِيَاجٌ إِلَى تَرْجُمَانٍ يَعْنِي: أَحَدٌ يُبْلِغُ؛ لِأَنَّ الْمُبْلَغَ مُتَرْجِمٌ.

(٢) هذا بين جملتين ﴿سُبْحَانَهُ﴾، وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا جَعَلُوهُ لَهُ مِنَ الْبَنَاتِ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ ﴿سُبْحَانَهُ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مَوْضِعًا، كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١]، فَالاحْتِرَازُ هُنَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ.

(٣) الشاهد في الآية الأولى قوله: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، فَهَذَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ مَثَلًا، كَلِمًا قِيلَ لَكَ: «إِنَّ الْبَاطِلَ خَذِلٌ صَاحِبُهُ» تَقُولُ: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

الثاني: ﴿وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَجْعَلَهَا مَثَلًا؛ لِأَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِمَا قَبْلَهَا: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ هَذَا يُسَمَّى التَّذْيِيلَ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ وَقَعَتْ ذَيْلًا لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى.

٧- ومنها: الاحتراسُ: وهو أن يُؤْتَى في كلامٍ يُوهِمُ خِلافَ المقصودِ بما يَدْفَعُهُ، نحو [الكامل]:

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي^(١)

= وهنا: التذييل، والحاشية، والهامش، بينها فَرْقٌ:

١- الهامش يكون عن اليمين أو اليسار أو فوق.

٢- والحاشية أسفل.

٣- والتذييل أن يُؤْتَى بجملة بعد جملة لكن لها اتصال بها ونوع من التكميل.

(١) الشاهد قوله: «غَيْرَ مُفْسِدِهَا»، لأنه لو قال: «فسقى ديارك صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي»؛ لَأَوْهَمَ أَنَّهُ إِذَا كَثُرَ الْمَطْرُ يُفْسِدُ الدِّيَارَ، فقال: «غَيْرَ مُفْسِدِهَا»، هذا احتراس.

وبهذا انتهى عِلْمُ المعاني، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تكونوا انْتَفَعْتُمْ ولو ببعض الشيء، لأننا قَصَدْنَا أَلَّا نَطْوِلَ خَوْفًا مِنْ أَلَّا نُكْمَلَ.

(أستلة الطلبة للشيخ رَحِمَهُ اللهُ)

س ١:

الطالب: في الدعاء، هل الأفضل الإطناب أو المساواة^(*)؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: لا، الأفضل الإطناب، الغالبُ في الدعاءِ الإطنابُ، وقد يكون إيجازاً مثل: «رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ» [البقرة: ٢٠١] هذا إيجازٌ يشمل ما لا يُحْصَى، لكن: «اللهم اغفر لي جدِّي، وهزلي، وحطَّي، وعمدي»، «اللهم اغفر لي ما قَدَّمْتُ، وما أَخَّرْتُ، وما أعلنتُ، وما أسررتُ»؛ هذه كلها إطنابٌ.

س ٢:

الطالب: هناك نوع من الإطناب من البعض^(**) يقول: «اللهم اغفر لي ولأبي وعمِّي وخالي...؟»

=

(*) لعلَّ الطالِبَ أَرَادَ بِالمُساوَةِ الإيجازَ.

(**) في الأصل: «بعض الأئمة».

= فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: هذا إطنابٌ غيرٌ محمودٍ، يقول: «اللهم اغفر لي ولأبي وأمي وخالي وعمي وجدِّي وجاري وصدريقي...!!»، الإطنابُ فيما يتعلَّقُ بنفسِ الإنسان.
س ٣:

الطالب: ما الفرق بين الزيادة المتعيّنة والزيادة غير المتعيّنة؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: الفرق بينهما أنّه إذا كان العطف بالواو فالزيادة غير متعيّنة؛ لأنّ الواو تقتضي التشريك، فلا يُدْرَى أيُّهما المقصود، أمّا إذا كان ليس بينهما عطف فالزيادة هي الأخيرة.
س ٤:

الطالب: ما الفرق بين البدل والبيان؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: البدل: مساواة الشيء للشيء، مثل «زيد أخوك»، «قام زيد أخوك»، أمّا البيان فهو لا بُدَّ أن يكون فيه زيادةٌ معنىً تَوْضُحُ.
س ٥:

الطالب: الله سبحانه وتعالى يَسْمَعُ من العبد كلامه، وَيَعْرِفُ معنى ما يَقْصِدُ، وَيَفْهَمُ ما يريد...

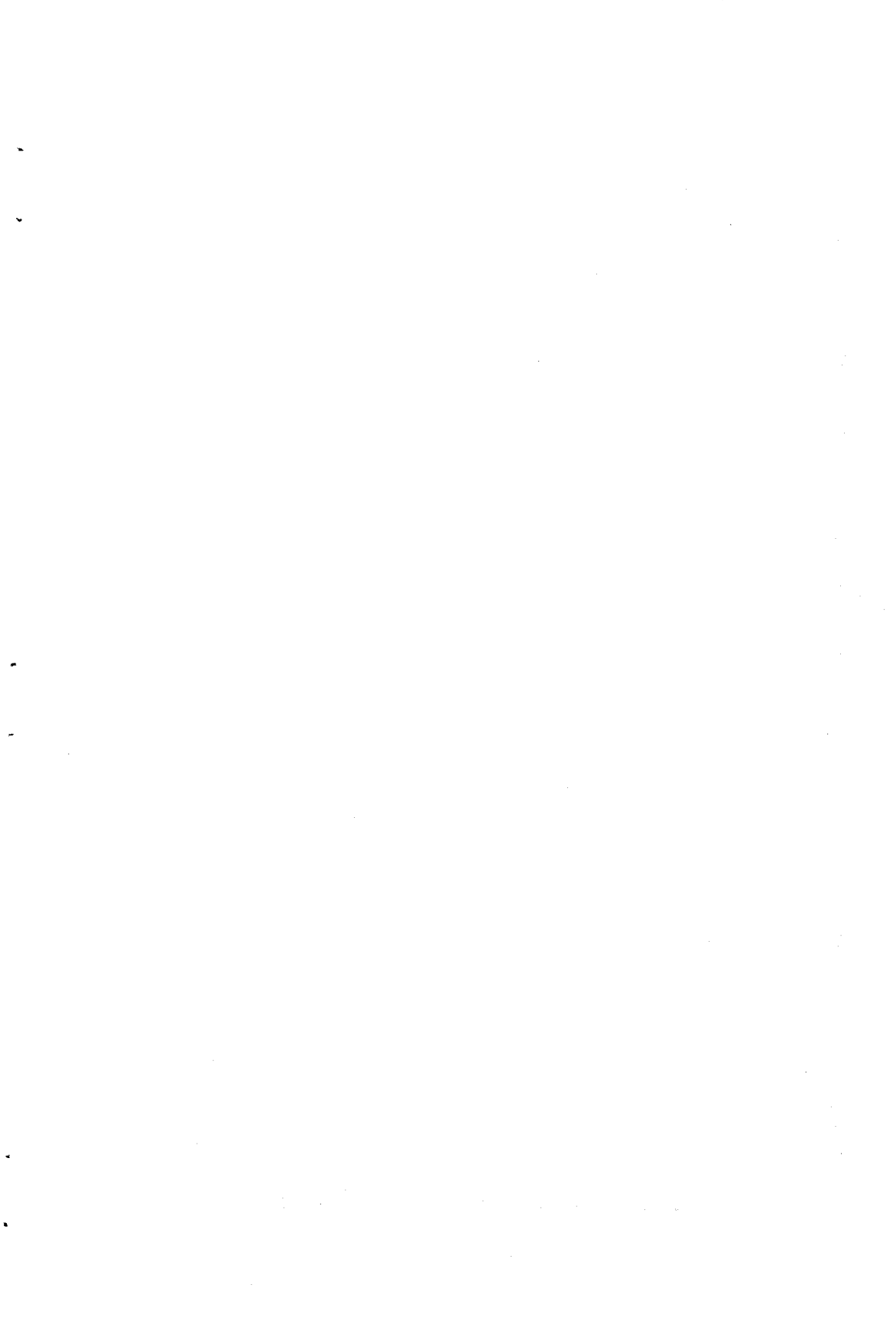
الشيخ مُصَوِّباً: قل: «يَعْلَمُ» أحسن من «يَفْهَمُ»؛ الله لا يُوصَفُ بالفهم (*).

الطالب مُكْمِلاً: لكن الرسول ﷺ والسلف الصالح إذا دَعَا الله سبحانه وتعالى بَسَطُوا الدعاء، والله يَعْلَمُ كلَّ شيءٍ يا شيخ!، لا بُدَّ أن هذا فيه فائدة، لا أدري ما فائدته؟
فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: الفائدة هو إظهار الفقر إلى الله عزَّ وجلَّ، كلُّما كَثُرَ الدعاء فهذا يُكَبِّرُ إظهار الحاجة والفقر إلى الله عزَّ وجلَّ، ثانياً: جَرَّتِ العادةُ أَنَّ الحبيبَ مع حبيبه يحب التبسُّطَ معه والزيادة في المناجاة، ثالثاً: استحضار كلِّ واحدٍ، يعني مثلاً: «اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله»، تستحضر جميع أنواع الذنوب: الدقيق، والجليل، والذي أسرَّته، والذي أعلَّته.

(*) من عقيدة أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث أن صفات الله سبحانه وتعالى توقيفية، فلا يُوصَفُ اللهُ عزَّ وجلَّ إلا بما وَصَفَ به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلم يَرِدْ في نصوص الكتاب والسنة وصف الله عزَّ وجلَّ بالفهم، خلافاً لصفة العلم التي اتَّصَفَ بها كثيراً كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلْمُوكَ أَنْ أَلَّهَ يَلْمُكَ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنْ أَلَّهَ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [التوبة: ٧٨]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الأنعام: ٣٨].



عِلْمُ الْبَيَانِ

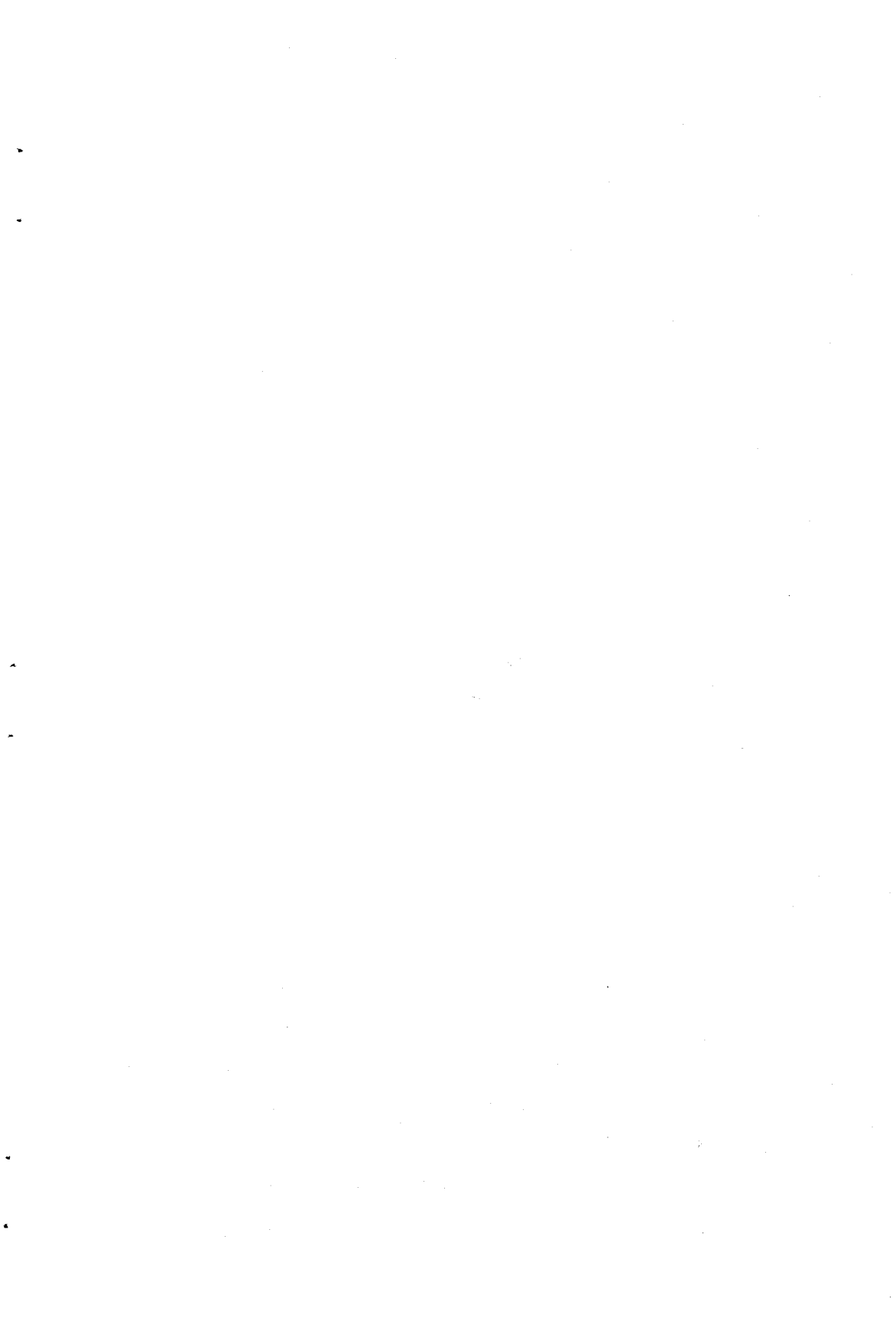


عِلْمُ الْبَيَانِ

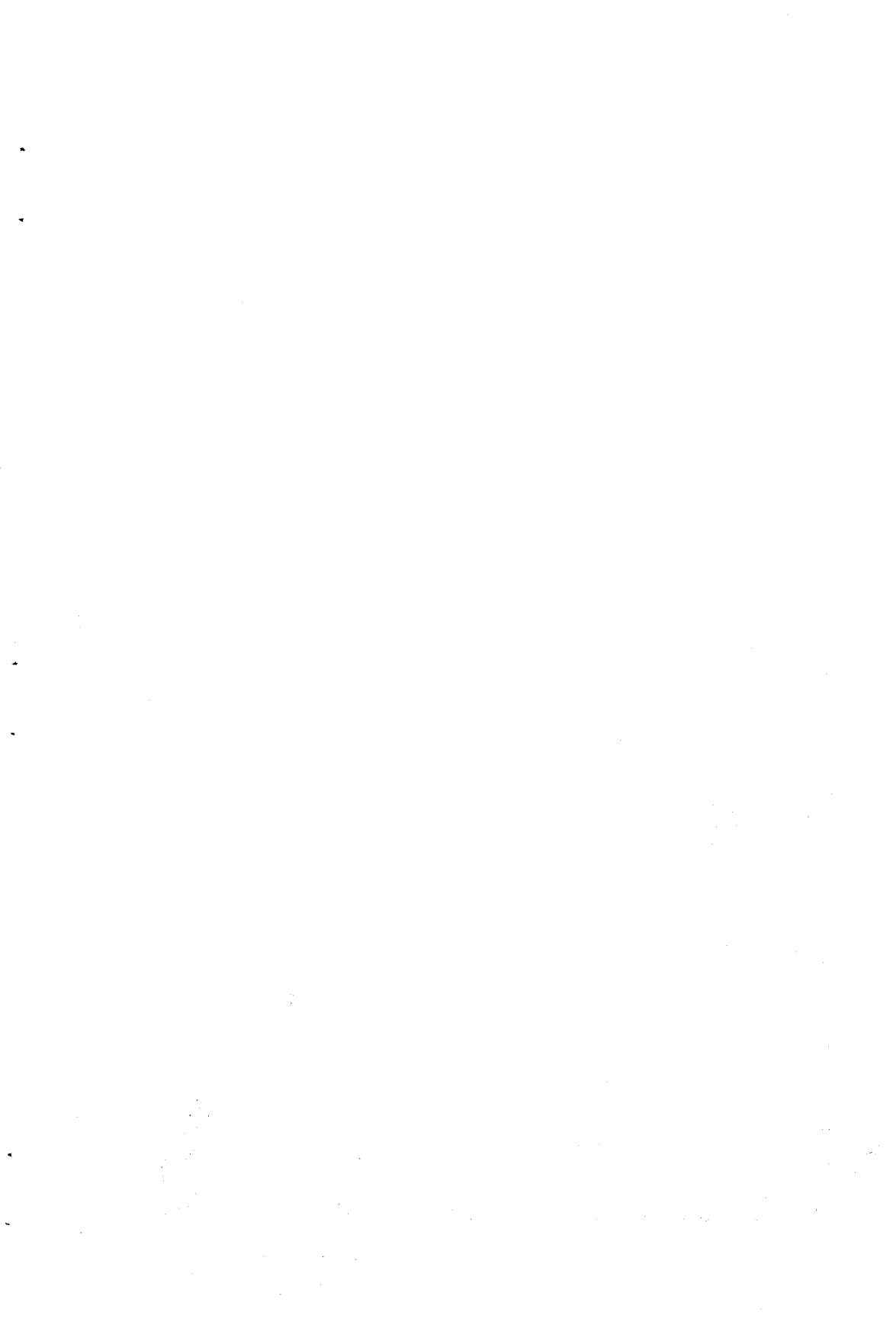
البيان: عِلْمٌ يُنَحِّثُ فِيهِ عَنِ التَّشْبِيهِ، وَالْمَجَازِ^(١)، وَالْكِنَايَةِ^(٢).

* * *

- (١) معلومٌ أنَّ المؤلَّفَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ [الَّذِينَ] يُثَبِّتُونَ الْمَجَازَ، وَالْمَسْأَلَةُ خِلَافِيَّةٌ: هَلْ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَجَازٌ، أَوْ كُلُّهَا حَقِيقَةٌ، أَوْ كُلُّهَا مَجَازٌ؟
- بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ- عُلَمَاءُ اللُّغَةِ-: «كُلُّ أَلْفَاظِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلُّهَا مَجَازٌ، حَتَّى قَوْلَ الْإِنْسَانِ «قَامَ زَيْدٌ» مَجَازٌ»، وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَى هَذَا ابْنُ الْقَيْمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ «الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ»، وَقَرَأْتُ هَذَا فِي مَخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ، وَبَيَّنَّ أَقْوَالَ النَّاسِ فِي هَذَا.
- (٢) الكِنَايَةُ نَوْعٌ مِنَ الْمَجَازِ كَمَا سَيَأْتِي.



التشبيه



التشبيه

التشبيه: إلحاق أمرٍ بأمرٍ في وَصْفِ أداةٍ لِعَرَضٍ^(١).

والأمرُ الأوَّلُ يُسَمَّى: المُشَبَّه، والثاني: المُشَبِّه به، والوصْفُ: وَجْهَ الشَّبهِ، والأداةُ: الكافُ أو نحوها، نحو: «العِلْمُ كالنُّورِ في الهدايةِ»؛ ف:

- «العِلْمُ»: مُشَبَّه.

- و«النُّورُ»: مُشَبِّه به.

- و«الهدايةِ»: وَجْهَ الشَّبهِ.

- والكافُ: أداةُ التشبيهِ^(٢).

ويَتَعَلَّقُ بالتشبيهِ ثلاثةٌ مباحثَ: الأوَّلُ في أركانه، والثاني في أقسامه، والثالثُ في العَرَضِ منه.

* * *

(١) إلحاقُ أمرٍ بأمرٍ: هناك مُلْحَقٌ ومُلْحَقٌ به.

في وَصْفِ: لا بُدَّ أن يكون هناك وَصْفٌ جامعٌ.

بأداةٍ: وهي أداةُ التشبيهِ كـ «الكافِ» و«مِثْلِ» و«كأنَّ» وما أشبه ذلك.

لِعَرَضٍ: أي: لِعَرَضٍ من أغراضِ التشبيهِ، فإذا قلت: «فلانٌ كالبحرِ» ما الغرضُ؟ كثرةُ الكَرَمِ، وَسَعَةُ الكَرَمِ، فلا بُدَّ من عَرَضٍ، وستأتي - إن شاء الله - أغراضُ التشبيهِ.

(٢) إذا أربعةُ أركانٍ: مُشَبَّه، مُشَبِّه به، أداةُ تشبيهِ، وَجْهَ شَبِّهِ، أضعفُ أنواعِ التشبيهِ هو الذي ذَكَرَ فيه جميعُ أركانِ التشبيهِ.

المبحث الأول في : أركان التشبيه

أركان التشبيه أربعة: المُشَبَّه، والمُشَبِّه به- وِسْمَيَانِ طَرْفِي التشبيه-، ووجهُ الشَّبهِ، والأداة.

ووجهُ الشَّبهِ: هو الوصفُ الخاصُّ الذي قُصِدَ اشتراكُ الطَّرَفَيْنِ^(١) فيه، كـ «الهداية» في «العِلْم» و«الثور»^(٢).

وأداة التشبيه: هي اللَّفْظُ الذي يَدُلُّ على معنى المُشَابَهَةِ، كـ «الكاف» و«كَأَنَّ» وما في معناهما^(*).

والكاف يليها المُشَبَّه به، بخلاف «كَأَنَّ» فإليها المُشَبِّه، نحو [الطويل]:

كَأَنَّ الثَّرِيًّا رَاحَةً تَشْبُرُ الدُّجَى لَتَنْظُرَ طَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَدْ تَعَرَّضَا

و«كَأَنَّ» تُفِيدُ التشبيهَ إذا كان خبرها جامداً، والشكُّ إذا كان خبرها مُشْتَقًّا^(**)، نحو: «كَأَنَّكَ فَاهِمٌ»^(٣).

(١) «الطرفين» يعني: المُشَبَّه والمُشَبِّه به.

(٢) أين المثال الذي ذَكَرْ؟: «العِلْمُ كالثور في الهداية».

(٣) هذه فائدة:

- إذا كان خَبَرُ «كَأَنَّ» جامداً فهي للتشبيه، تقول: «كَأَنَّكَ أَسَدٌ»، أسد: جامد، «كَأَنَّكَ =

(*) أداة التشبيه إما أن تكون:

١- اسماً: مِثْلُ، شِبْه، نحو...

٢- فعلاً: يَحْكِي، يُشَابِه، يُضَاهِي، يُضَارِع، يُمَائِل... (واسم الفاعل منها يفيد التشبيه).

٣- حرفاً: الكاف، كَأَنَّ.

(**) وقد تفيد التشبيه مع كون خبرها مشتقاً، نحو: كَأَنَّكَ قَائِدٌ شَجَاعٌ.

وقد يُذَكَّرُ فِعْلٌ يُنْبِئُ عَنِ التَّشْبِيهِ، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَثُورًا﴾^(١) [الإنسان: ١٩].

وإذا حُدِفَتْ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ وَوَجْهُهُ سُمِّيَ تَشْبِيهًا بَلِيغًا، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا أَلْتَلَّ لِيَاسًا﴾ [النبا: ١٠]، أي: كاللباس في السَّتْرِ^(٢).

* * *

= بَحْرٌ جامد، هذه للتشبيه.

- إذا كان مُشْتَقًّا (سواءً كان فعلاً أو اسمَ فاعل) فإنه يكون للظنِّ، يقول المؤلف: «الشك»، والمراد: الظنُّ، مثاله: «كَأَنَّكَ تَفْهَمُ» يعني: أَطُنُّكَ فَاهِمًا، وتقول: «كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ هَذَا الشَّيْءَ»، هذا أيضاً للظنِّ.

(١) ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ يعني: «ظَنَنْتَهُمْ».

﴿لُؤْلُؤًا مَثُورًا﴾؛ لَأْتَمُّ يُشَابِهُونَ اللَّوْلُؤَ المَثُورَ.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ الضمير في «هم» يعود على الولدان.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَثُورًا﴾ يعني: بكَثْرَتِهِمْ وَحُسْنِهِمْ وَبِهَائِهِمْ.

المهم أفهموا التشبيه، إذا اجتمعت أركان التشبيه الأربعة: المُشَبَّه، المُشَبَّه به، أداة التشبيه، وجه الشبّه؛ فالذي يليه المُشَبَّه: «كَأَنَّ»، والذي يليه المُشَبَّه به: الكاف.

«كَأَنَّ» تكون للتشبيه إذا كان خَبَرُهَا جامداً، تتعيَّن أن تكون للتشبيه، وتكون للظنِّ إذا كان خَبَرُهَا مُشْتَقًّا، سواءً اسمَ فاعلٍ أو اسمَ مفعولٍ أو فعلاً مضارعاً أو فعلاً ماضياً، المهم أن يكون مُشْتَقًّا.

(٢) التشبيه البليغ: هو الذي حُدِفَتْ فِيهِ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ وَوَجْهُ الشَّبَّهِ، تقول: «محمدٌ كالبحر في الكرم»، كيف نجعله بليغاً؟: «محمدٌ بحراً»، هذا بليغٌ؛ لأنك بالَغْتَ في التشبيه حتى جعلت المُشَبَّه نَفْسَ المُشَبَّه به.

وستأتينا- إن شاء الله تعالى- أقسامَ أخرى، لكن المؤلف أراد أن يشير إشارة.

المبحث الثاني في: أقسام التشبيه

ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى تمثيل وغير تمثيل^(١):

- فالتمثيل: ما كان وجهه مُتَّزِعاً من مُتَّعِدِّ، كتشبيه الثريا بعنقود العنب المنور^(٢).

- وغير التمثيل: ما ليس كذلك، كتشبيه النجم بالذرهَم^(٣).

وينقسم أيضاً- بهذا الاعتبار- إلى مُفَصَّلٍ ومُجْمَلٍ:

- فالأول: ما ذُكِرَ فيه وجه الشبه، نحو [المُجْتَث]:

وَتَنَرُهُ فِي صَفَاءٍ وَأَذْمُعِي كَاللَّالِي^(٤)

- والثاني: ما ليس كذلك، نحو: «النَّحْوُ فِي الْكَلَامِ كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ»^(٥).

(١) - فإن كان مفرداً بمفرد فغير تمثيل.

- إذا كان جمعاً بمفرد فغير تمثيل.

- إذا كان مفرداً بجمع فتمثيل.

- أو جمعاً بجمع فتمثيل.

(٢) هذا تمثيل؛ لأنه مُرَكَّبٌ من الهيئة ومن الحَبَابِ التي في الهيئة، الهيئة: جُزْمٌ مُنْضَمٌّ بعضه إلى بعض، الحَبَابُ مُتَّعِدَّةٌ، فيسمى هذا تشبيه تمثيل.

(٣) كتشبيه حصا الجمار بحب الباقلاء، هذا يكون غير تمثيل.

(٤) قوله: «في صفاء» هذا وجه الشبه، «وأذمعي كاللالي» هذا المشبه به.

(٥) النحو في الكلام كالمح في الطعام في تقويمه وتهذيبه وطعمه، فوجه الشبه محذوف.

وينقسم باعتبارِ أداتِهِ إلى:

- مُؤَكِّد: وهو ما حُدِّفَتْ أداتُهُ، نحو: «هو بَخْرٌ في الجُودِ».

- ومُرْسَلٍ: وهو ما ليس كذلك، نحو: «هو كالبحرِ كَرَمًا»^(١).

وَمِنَ الْمُؤَكِّدِ ما أُضِيفَ فِيهِ المُشَبَّهُ بهِ إلى المُشَبِّهِ، نحو [الكامل]:

والرَّيْحُ تَغَبَّتْ بِالْفُصُونِ، وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ^(٢)

* * *

(١) الآن:

- إذا وُجِدَ الطرفانِ فقط فهو بليغ.

- إذا حُدِّفَ وَجْهَ الشَّبِّهِ وَبَقِيَتِ الأداةُ فهو مُجْمَلٌ مُرْسَلٌ.

- إذا حُدِّفَتْ الأداةُ وَوَجْهَ الشَّبِّهِ فهو مُؤَكِّدٌ مُفْضَلٌ.

- وإن وُجِدَ الجَمِيعُ فهو ضعيفٌ، يُقال له: مُرْسَلٌ مُفْضَلٌ.

(٢) «ذَهَبُ الْأَصِيلِ» لأنَّ الْأَصِيلَ - وهو آخِرُ النَّهارِ - يكونُ أَصْفَرَ كالذَّهَبِ، المُشَبَّهُ بهِ:

الذَّهَبِ، وَالْأَصِيلُ: مُشَبَّهٌ؛ لأنَّ الْأَصِيلَ تَضْفَرُ بهِ الشَّمْسُ فتكونُ كالذَّهَبِ، «على لُجَيْنِ

الماءِ» اللَّجَيْنِ: الفِضَّةُ، والمعنى: على ماءٍ كَاللُّجَيْنِ.

المبحث الثالث في: أغراض التشبيه

الغَرَضُ مِنَ التَّشْبِيهِ:

١- إِمَّا بَيَانُ إِمْكَانِ الْمُشَبَّهِ، نَحْوُ [الوافر]:

فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامَ- وَأَنْتَ مِنْهُمْ- فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

فَإِنَّهُ لَمَّا أَدْعَى أَنَّ الْمَمْدُوحَ مُبَايِنٌ لِأَصْلِهِ بِخَصَائِصٍ جَعَلَتْهُ حَقِيقَةً مُنْفَرِدَةً؛
اِحْتِجَّ عَلَى إِمْكَانِ دَعْوَاهُ بِتَشْبِيهِهِ بِالْمِسْكِ الَّذِي أَصْلُهُ دَمُ الْغَزَالِ^(١).

٢- وَإِمَّا بَيَانُ حَالِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ [الطويل]:

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ^(٢)

(١) يُسَمَّى هَذَا النُّوعُ مِنَ التَّشْبِيهِ «التَّشْبِيهُ الضَّمْنِي»؛ لِأَنَّهُ خِلا مِنْ أَدْوَاتِ التَّشْبِيهِ.

يُخَاطَبُ الْمَمْدُوحُ يَقُولُ: «إِنْ كُنْتُ أَعْلَى مِنَ الْأَنَامِ- وَأَنْتَ مِنْهُمْ مِنْ مَادَّتِهِمْ مِنْ تَرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ- فَإِنَّ ذَلِكَ مُمَكِّنٌ، وَدَلِيلُ الْإِمْكَانِ أَنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ»،
وَمَعْلُومُ الْفَرْقِ بَيْنَ الدَّمِ وَبَيْنَ الْمِسْكِ مَعَهُ أَنَّهُ أَصْلُهُ^(*)، يَقُولُ: «أَنْتَ أَيْضاً أَيُّهَا الْمَخَاطَبُ
أَنْتَ مِنَ الْأَنَامِ، مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ، وَلَكِنَّكَ تَفُوقُهُمْ كَمَا يَفُوقُ الْمِسْكَ دَمُ الْغَزَالِ».

(٢) هَذَا يَبِينُ حَالَهُ مَعَ الْمَلُوكِ، يَقُولُ: «إِنَّكَ أَنْتَ تَفُوقُ الْمَلُوكَ، وَحَالُكَ مَعَهُمْ كَحَالِ الشَّمْسِ
مَعَ الْكَوَاكِبِ، الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَخْتَفِي النُّجُومَ، فَهَذَا الْمَلِكُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَلُوكِ =

(*) هُنَا أَخَذَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ يَشْرَحُ لِلطَّلِبَةِ عَمَلِيَّةَ اسْتِخْرَاجِ الْمِسْكِ، فَقَالَ: «يُقَالُ: إِنَّ هُنَاكَ غَزْلَانًا مَعِينَةً تُسَمَّى
غَزَالِ الْمِسْكِ، يُمَرَّنُونَهَا عَلَى رِيَاضَاتٍ مَعِينَةٍ ثُمَّ يَنْفَتِحُ فِي بَطْنِهَا سُرَّةً، وَيُحَكِّمُونَ غَزْلَ هَذِهِ السُّرَّةِ عَنْ بَقِيَّةِ
الْبَدَنِ بِخَيْطٍ يَرْطُبُونَهَا جَيِّدًا حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهَا الدَّمُ، وَبَعْدَ مَدَّةٍ تَبَيَّنَ وَتَفَصَّلَ، هَذَا الدَّمُ الَّذِي فِيهَا هُوَ
الْمِسْكَ، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ أَنْوَاعِ الطَّيِّبِ، أَصْلُ هَذَا الْمِسْكِ مَا هُوَ؟ الدَّمُ، وَمَعَ ذَلِكَ صَارَ طَيِّبًا لَا نَظِيرَ لَهُ».

٣- وإمّا بيان مقدار حاله، نحو [الكامل]:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم
شبه الثوق السود بخافية الغراب؛ بياناً لمقدار سوادها^(١).

٤- وإمّا تقرير حاله، نحو [الكامل]:

إنّ القلوب إذا تناقر وُدّها مثل الزجاجة كسرّها لا يُجبرُ
شبه تناقر القلوب بكسر الزجاجة؛ تشبيهاً لتعذّر عودتها إلى ما كانت عليه من
المودة^(٢).

= الآخرين كالشمس مع الكواكب، تختفي معه الملوك في كل شيء: في الشجاعة، في الكرم، في السماحة، في الحدق، في كل شيء.

(١) كثيراً ما يأتي التشبيه لبيان مقدار الشبه، السواد معلوم أنه قد يكون فاتحاً، وقد يكون شديد السواد، فهنا عرفنا أن هذه الثوق الأربعين شديدة السواد.

(٢) هذا البيت ليس بصحيح؛ لأنّ القلوب قد يتناقر وُدّها ثم يرجع الرود وهذا كثيراً، ودليله قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَبُيُوتٌ حَمِيمَةٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، و[أيضاً]^(*): «أخيب حبيبك هوناً ما؛ فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما؛ فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما، وهذا يزوي حديثاً ولكنه ضعيف.

الشاهد من هذا البيت غير صحيح، لكن على ما يريده الشاعر به نقول: هذا المقصود به تقرير الحال.

(*) قال الشيخ رحمته الله بعدما تلا الآية: «وقال الشاعر» ثم ذكر الحديث، ولعله رحمته الله أراد قول النمر بن توبل رحمته الله [المقارب]:

أخيب حبيبك هوناً زوئداً فقد لا يعولك أن تصرماً
وأبغض بغيضك هوناً زوئداً إذا أنت حاولت أن تحكماً

والحديث رواه الترمذي (٦٠/٢٨) وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ١٧٨).

٥- وإمّا تزيينُهُ، نحو [مجزوء الكامل]:

سَوْدَاءُ وَاضِحَةُ الْجَبِيْبِ نِ كَمُقْلَةٍ الظَّنْبِي الْغَرِيْرِ
شَبَّهَ سَوَادَهَا بِسَوَادِ مُقْلَةِ الظَّنْبِي؛ تحسیناً لها^(١).

٦- وإمّا تفتيحُهُ، نحو [الكامل]:

وإذا أشار مُحدِّثاً فكأنهُ قِرْدٌ يُقَهِّقُهُ أو عَجُوزٌ تَلْطِمُ^(٢)
وقد يعودُ الغَرَضُ إلى المُشَبَّهِ به إذا عكسَ طرفاً التشبيهِ، نحو [الكامل]:

(١) هذا يخاف أن يهجوهُ الناسُ باختيار السَّوداءِ، فبيّنَ أنَّ سوادها كمُقْلَةِ الظَّنْبِي الْغَرِيْرِ، وهذا لا شكَّ أنَّه تحسِينٌ.

(٢) هو إذا قام يتحدّث صار مثلاً القردِ الذي يضحك، وإذا قام يشير بحديثه صار كأنه عجوزٌ تَلْطِمُ على رأسها، عندما يسمع الإنسانُ عن هذا الخطيبِ أنه بهذه الحال؛ [فهل] يَزْغَبُ في سماعه؟ لا؛ لأنَّه قَبَّحَهُ عنده.

يقول الشاعر^(*) في العَسَلِ [البيسط]:

تقول: «هذا مُجَاجُ النحلِ»، تَمْدَحُهُ وإن تَشَأْ قلت: «ذا قَيْءُ الرُّنَابِيْرِ»

مَدْحاً وَدَمّاً وما جاوزتَ وَصَفَهُمَا والحقُّ قد يَنْغَتِرِيهِ سوءُ تعبيرِ

وهذا صحيح، ولهذا قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسُخْرَاءً»^(**)، أحياناً يتكلّم الإنسانُ

(وعنده فصاحة) عن شيءٍ كنتَ راغباً فيه، فإذا به يَنْزِلُهُ إلى أسفلَ من القَدَمَيْنِ، أو

بالعكس.

(*) هو ابن الرومي، أمّا رواية الأبيات كما في «ديوانه/١٥٢»:

في زخرفِ القولِ ترجيحُ لقائله والحقُّ قد يعتريه بعضُ تغييرِ

تقول: «هذا مُجَاجُ النحلِ» تَمْدَحُهُ وإن تَعِبْ قلت: «ذا قَيْءُ الرُّنَابِيْرِ»

مَدْحاً وَدَمّاً وما جاوزتَ وَصَفَهُمَا سِخْرُ الْبَيَانِ يُرِي الظُّلْمَاءَ كالنورِ

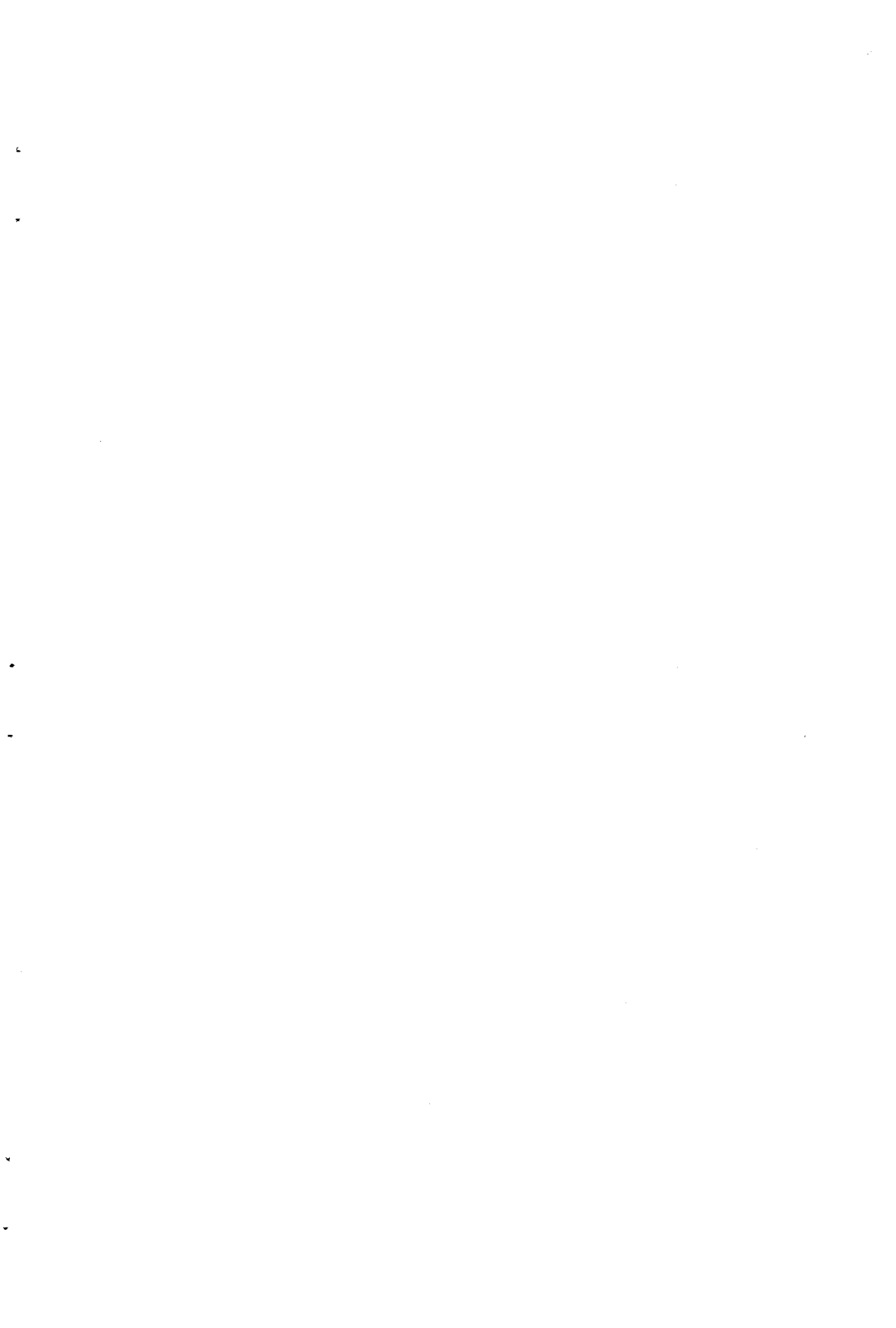
(**) رواه البخاري (٥١/٧٦) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ومسلم (٧/٤٧) عن عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

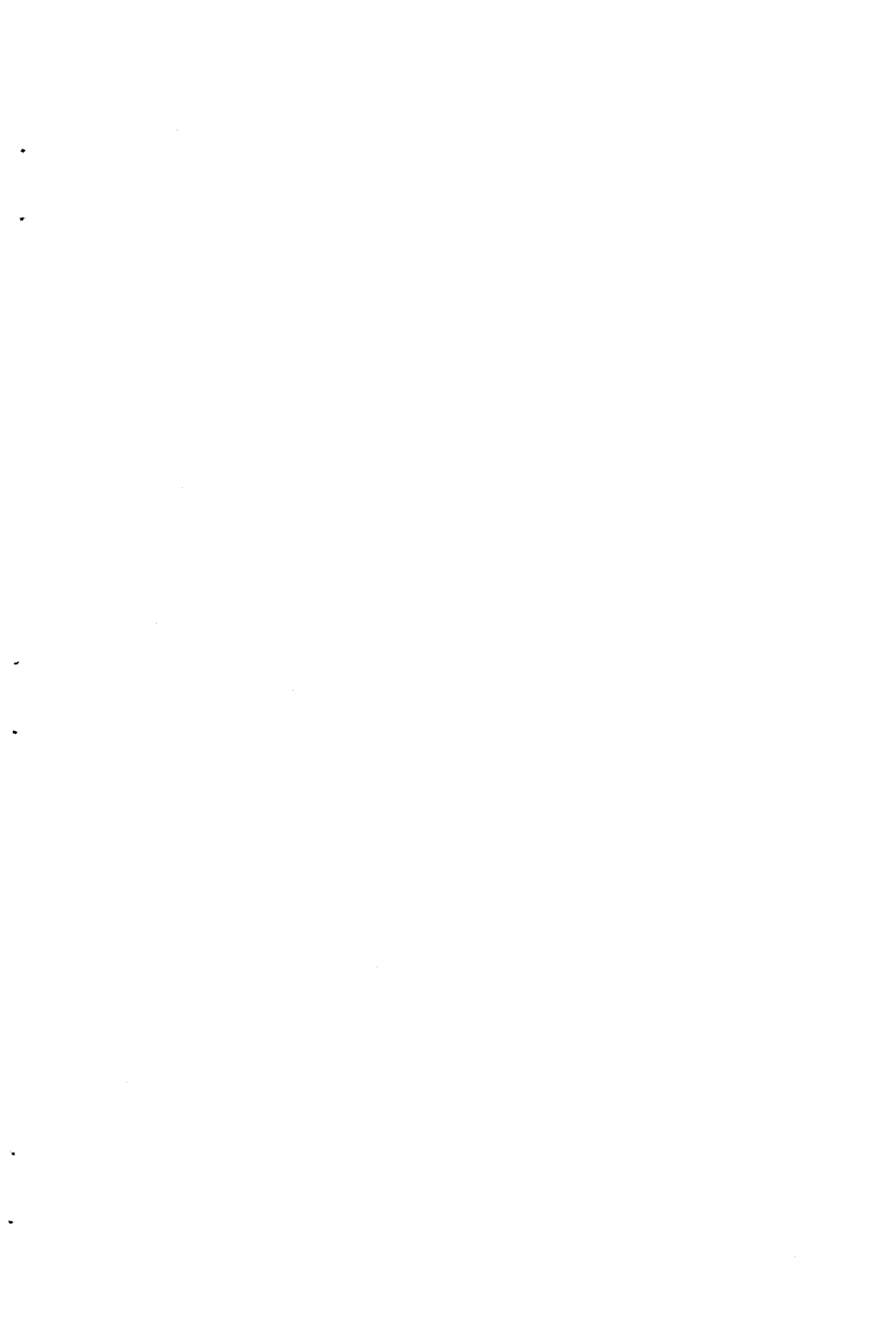
وَمِثْلُ هَذَا يُسَمَّى بِالتَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ^(١).

* * *

(١) «بدا الصَّبَاحُ» والصَّبَاحُ إذا بدا بدا مُسْفَرًا، «كَأَنَّ غُرَّتَهُ» يعني: بياضه «وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ»، وكان الأولى أن يقول: «كَأَنَّ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ غُرَّةَ الصَّبَاحِ»، لكنه عَكَسَ، فيكون هنا الغرضُ تحسينَ المُشَبَّهِ بِهِ.



المَجَاز



المَجَاز^(١)

هو اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ لِعِلَاقَةٍ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ

(١) المَجَازُ هل هو موجودٌ في اللُّغة أو لا؟

من العلماء مَنْ أنكر أن يكون موجوداً في اللُّغة، وَحُجَّتُهُ أَنَّ المعنى إِنَّمَا يُعَيَّنُهُ السِّياقُ وقِرائِنُ الأحوالِ، وَأَنَّ الكَلِماتِ نَفْسَها ليس لها معنى ذاتي بل هي بِحَسَبِ التركيبِ، وإِذا كانت بِحَسَبِ التركيبِ صار الذي يُعَيَّنُ المعنى هو السِّياقُ، وإِذا تَعَيَّنَ المعنى فهذا هو الحَقِيقَةُ، فإذا قلت: «رأيتُ أسداً يحمل سيفاً» هل يمكن لأبي واحدٍ يسمع هذا الكلامَ أن يَشْتَبِهَ عليه الأسدُ الحَقِيقِيُّ بالأسدِ الشجاعِ، أو لا يمكن؟: لا يمكن، إِذا هو حَقِيقَةُ، هذا اللَّفْظُ مُسْتَعْمَلٌ حَقِيقَةً في موضعه بقِرينَةِ الحالِ، لكن لو قلت: «رأيتُ أسداً» فهنا لا يمكن أن يُراد به الرَّجُلُ الشجاعُ؛ لأنَّ الكَلِمَةَ موضوعَةً في الأصلِ للحيوانِ المُفْتَرَسِ المعروفِ، فَتُحْمَلُ عند عدم القِرينَةِ على ما وُضِعَتْ له أولاً، وهذا الذي حَقَّقَهُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ وَأَطالَ فِيهِ في كتابِ «الإيمان»^(*)، وَلَخَصَّهُ تلميذُهُ ابنُ القِيَمِ وَقَرَّبَهُ إلى الأَفْهَامِ بكتابه «الصواعقُ المرسلةُ على الجَهَمِيَّةِ والمُعْطَلَةِ».

على كُلِّ حالٍ يرى هؤلاء العلماءُ أَنَّهُ لا مَجَازَ في اللُّغة مُطْلَقاً، حُجَّتُهُم أَنَّ المعنى يُعَيَّنُهُ السِّياقُ، وَأَنَّ الكَلِمَةَ بسِياقِها لا يمكن أن يُراد بها إلا ما سَبَقَتْ له وهذا هو الحَقِيقَةُ.

ومنهم مَنْ يرى أَنَّ المَجَازَ في اللُّغة واقعٌ وفي القرآنِ ممنوعٌ، كالشيخِ الشنقيطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: محمد الأمين، فَإِنَّهُ أَلْفَ رسالةً^(**) تدلُّ على أَنَّ المَجَازَ ممنوعٌ في القرآنِ لَكِنَّهُ موجودٌ في اللُّغة العربيةِ، حُجَّتُهُ في ذلك يقول: إنَّ من علاماتِ المَجَازِ جِوازَ نَفْيِهِ، ولا شيءٍ في القرآنِ يجوزُ نَفْيُهُ، فَبَطَلَ أن يكون في القرآنِ مَجَازٌ، مثال ذلك لو قلت: «رأيتُ أسداً يحمل سيفاً» يجوزُ لأبي واحدٍ أن يُعارضَكَ ويقول: «هذا ليس بأسدٍ، هذا رَجُلٌ شجاعٌ»، فمن علاماتِ المَجَازِ صِحَّةُ نَفْيِهِ، وليس في القرآنِ ما يصحُّ نَفْيُهُ. =

(*) وانظر «مجموع الفتاوى»: (٢٢ - ٢١/٦) (٨٧/٧ - ٩٠) (١١٢/٧ - ١١٤) (١٣/٣٧٩ - ٣٨٠).
(٩٠ - ٨٩/١٧) (٢٠/٤٠٣ - ٤٠٤) (٢٠/٤٥٤ - ٤٥٨) (٢٠/٤٦٤ - ٤٨٨) (٢٠/٤٩٠ - ٤٩٣).

(**) وهي بعنوان: «مَنعُ جِوازِ المَجَازِ في المُتَرَلِّ للتعبُّدِ والإعْجَازِ».

المعنى السابق^(١)، كـ «الدَّرَر» المُسْتَعْمَلَة فِي الكَلِمَاتِ الفَصِيحَةِ فِي قَوْلِكَ: «فَلَانٌ

= لَكُنْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ، مَا ذُمْنَا نَقُولُ: «إِنَّ المَعْنَى تَابِعٌ لِلسِّيَاقِ وَقَرَائِنِ الأَحْوَالِ»؛ فَإِنَّهُ لَا مَجَازَ فِيهِ، وَلِهَذَا نَجِدُ الفَرْقَ حَتَّى فِي نَبْرَاتِ الصَّوْتِ، لَوْ قُلْتَ لِوَاحِدٍ: «اسْكُتْ» [قَالَهَا الشَّيْخُ بِهَدْوٍ]، وَآخَرَ: «اسْكُتْ» [قَالَهَا بِشِدَّةٍ]؛ يُفْهَمُ مِنَ الأَوَّلِ: الأَمْرُ بِالسَّكُوتِ بِطَمَأنِينَةٍ، وَمِنَ الثَّانِي: الزَّجْرُ بِشِدَّةٍ، مَعَ أَنَّ الإِخْتِلَافَ فِي الأَدَاءِ فَقَطْ، فَالْمَعَانِي تُعَيِّنُهَا السِّيَاقَاتُ وَالقَرَائِنُ.

لَكِنِ الجُمهُورُ عَلَى ثُبُوتِ المَجَازِ فِي القُرْآنِ وَفِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، فَلَنَنْظُرُ مَا هُوَ المَجَازُ عِنْدَهُمْ؟.

(١) يَقُولُ:

«هُوَ اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ»، فَخَرَجَ بِهِ: اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ فِيمَا وُضِعَ لَهُ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَ «أَسَدًا» فِي الحَيَوَانَ المَفْتَرَسِ فَهُوَ غَيْرُ مَجَازٍ، وَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ فِي الرَّجُلِ الشَّجَاعِ فَهُوَ مَجَازٌ، لَكِنِ لَا بُدَّ مِنْ قِيُودٍ.

«لِعَلاَقَةٍ» يَعْنِي: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ المَعْنَى الحَقِيقِي وَالْمَعْنَى المَجَازِي عَلاَقَةٌ، وَلِهَذَا لَا نَسْتَعْمَلُ الخُبْزَ بَدَلَ الثِّيَابِ، لَوْ قُلْتُ: «اشْتَرِ لِي ثِيَابًا»، فَذَهَبَتْ وَاشْتَرَيْتَ بِهَا خُبْزًا وَأَتَيْتَ إِلَيَّ بِكَيْسِ خُبْزٍ؛ أَنَا قُلْتُ لَكَ: ثِيَابٌ!!، قُلْتُ: هَذِهِ مَجَازٌ، نَقُولُ: لَا يَصِحُّ المَجَازُ هَذَا، لِمَاذَا؟ لَا عَلاَقَةَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا.

«مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ المَعْنَى الحَقِيقِي»، فَإِنْ لَمْ تُوجَدْ قَرِينَةٌ تَمْنَعُ مِنْ إِرَادَةِ المَعْنَى الحَقِيقِي فَلَيْسَ بِمَجَازٍ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى المَجَازِ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَرِينَةٌ، وَلِهَذَا نَقُولُ لِلَّذِينَ حَرَفُوا آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا: «لَيْسَ عِنْدَكُمْ قَرِينَةٌ تَمْنَعُ مِنْ إِرَادَةِ المَعْنَى الحَقِيقِي»، فَإِذَا قَالُوا: «الْيَدُ بِمَعْنَى النُّعْمَةِ»، قُلْنَا: «لِمَاذَا؟» قَالُوا: «لَأَنَّ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُ إِرَادَةَ المَعْنَى الحَقِيقِي- وَهُوَ عِنْدَهُمْ: العَقْلُ-، مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ يَدٌ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَأَنْ يَكُونَ مُمَازِلًا لِلْمَخْلُوقَاتِ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ»، وَلِذَلِكَ صَارَ ارْتِكَابُ المَجَازِ رَكِيزَةً يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا المُعْطَلَّةُ وَمَشَّوَا عَلَى هَذَا.

الشُّرُوطُ:

- ١- أَنْ يَكُونَ مُسْتَعْمَلًا فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ.
- ٢- أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ عَلاَقَةٌ بَيْنَ المَعْنَى الحَقِيقِي وَالْمَعْنَى المَجَازِي.
- ٣- أَنْ تُوجَدْ قَرِينَةٌ تَمْنَعُ مِنْ إِرَادَةِ المَعْنَى الحَقِيقِي.

يتكلم بالدرر»، فإنها مُستعملة في غير ما وُضعت له، إذ قد وُضعت في الأصل لِلأليءِ الحقيقية، ثم نُقلت إلى الكلمات الفصيحة لِعلاقة المُشابهة بينهما في الحُسن، والذي يَمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينه «يتكلم»^(١).

وك «الأصابع» المُستعملة في «الأنامل» في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]، فإنها مُستعملة في غير ما وُضعت له لِعلاقة أن الأئمة جزء من الإصبع، فاستعمل الكل في الجزء، وقرينه ذلك أنه لا يُمكن جعل الأصابع بتمامها في الآذان^(٢).

والمجاز إن كانت علاقته المُشابهة بين المعنى المجازي والمعنى

(١) العلاقة هنا: الحُسن، ولذلك إذا قلنا: «فلان يتكلم بكلام كالدرر» وسئلنا: «أين وجهُ الشبه»؟؛ قلنا: «الحُسن»، والذي يمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينه وهي «يتكلم»؛ لأنه لا يمكن أن الدرر - التي هي اللآليء - تخرج من فيه إذا قام يتكلم، فصار «يتكلم» قرينه مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

(٢) ومن المعلوم أنه لا يمكن أن يجعل الإنسان كل الإصبع في الأذن، إذ أن المعروف أن ثقب الأذن لا يدخل فيه الإصبع، لا من جهة السعة ولا من جهة العمق، فعندنا الآن قرينه مانعة وهي: أن الأصابع لا يمكن أن تدخل كلها في الآذان، والمقصود: يجعلون أناملهم في آذانهم، فاستعمل الأصابع في الجزء من الأصابع، العلاقة: أن الأئمة التي عبر عنها بالإصبع جزء من الإصبع، فاستعمل الكل في الجزء، وقرينه ذلك: أنه لا يمكن جعل الأصابع بتمامها في الآذان.

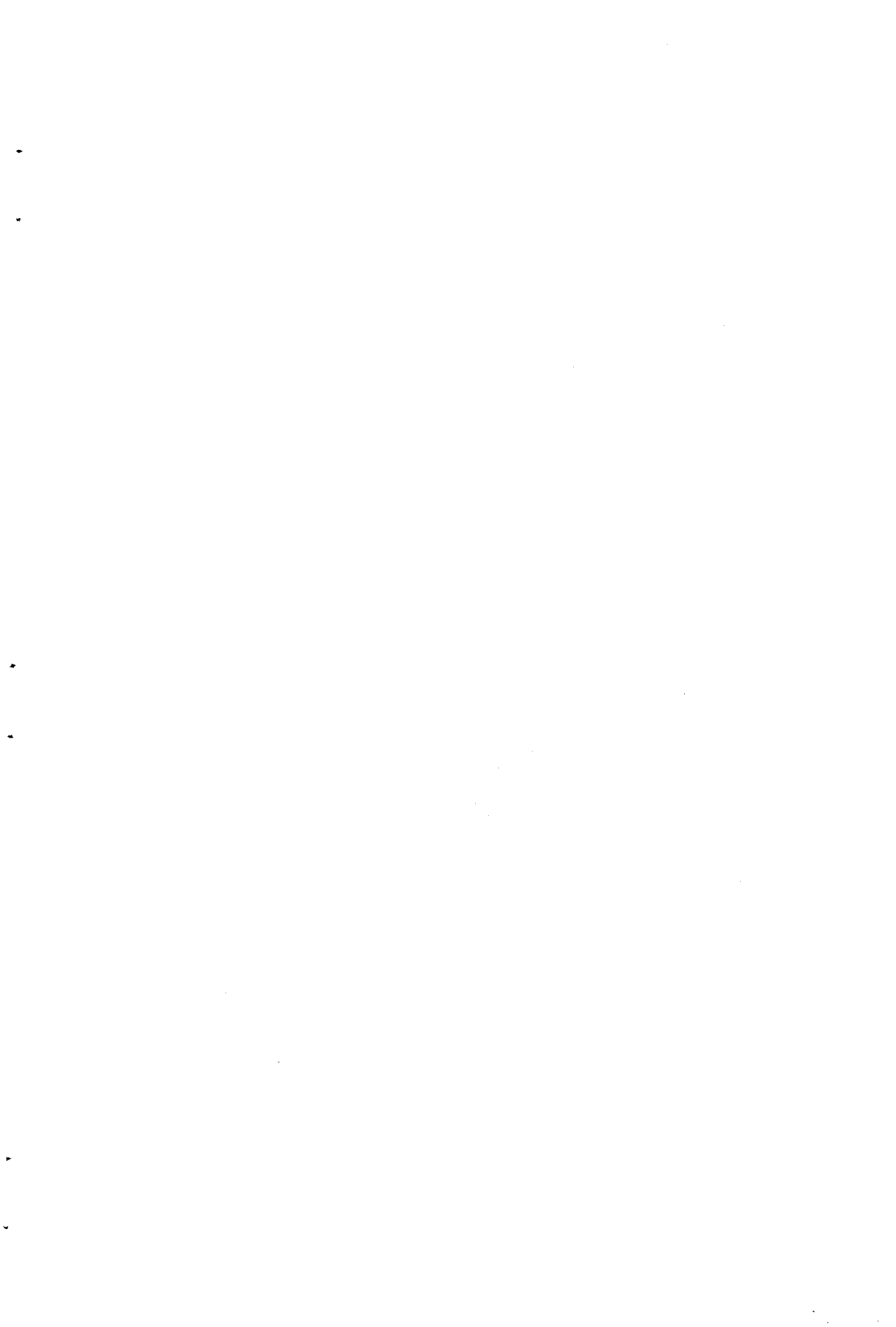
أما الذين يمنعون المجاز فيقولون: من المعلوم عند كل مخاطب أنك إذا قلت: «فلان جعل إصبعه في أذنه» فالمراد: جعل جزءاً منه، ليس المراد أنه أدخل إصبعه كله، لكن أحياناً يُقصد بذلك المبالغة.

الحقيقي - كما في المثال الأول - يُسَمَّى استعارة، وإلا فَمَجَازٌ مُرْسَلٌ كما في المثال الثاني^(١).



(١) إذا كانت العَلاقةُ هي المِشَابَهَةُ فهو استعارة، وهذا هو الأكثر في المجاز، وإن كانت العَلاقةُ غيرَ المِشَابَهَةِ سُمِّيَ مَجَازاً مُرْسَلاً، مثل: إطلاق الكل على البعض، أو البعض على الكل، أو السبب على المُسَبَّب، أو المُسَبَّب على السبب.
الضابط: أن الاستعارة تكون عَلاقَتُها المِشَابَهَةُ، وما كان عَلاقَتُه غيرَ المِشَابَهَةِ فهو مَجَازٌ مُرْسَلٌ.

الأسْتِعَارَة



الاستعارة

الاستعارة: هي مجازُ علاقتهُ المُشابهةُ، كقوله تعالى: ﴿كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، أي: من الضلالِ إلى الهدى، فقد استعملتِ «الظلماتُ» و«النورُ» في غيرِ معانِهما الحقيقي، والعلاقةُ: المُشابهةُ بين «الضلالِ» و«الظلامِ»، و«الهدى» و«النورِ»، والقريئةُ: ما قبلَ ذلك^(١).

(*) [ويقال في إجرائها: شُبِّهَتِ «الضلالةُ» بـ «الظلمةِ» بجامع عدم الاهتداء في كلِّ، واستعيرَ اللفظُ الدالُّ على المُشَبَّهِ به وهو «الظلمةُ» للمُشَبَّهِ وهو «الضلالةُ»

(١) ﴿كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ الكتاب هو القرآن، والخطاب للنبي ﷺ، وأضيف الإخراجُ إليه؛ لأنه هو السبب، ولألا فالمُخرِجُ حقيقةً هو الله عزَّ وجلَّ، ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: من ظلمات الجهل، ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي: إلى نور العلم. لو أنا أخذنا ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ على إطلاقها لكان المعنى: أن الرسول ﷺ يُخرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلالِ - يعني: الظل - إلى الشمس مثلاً، أو من الحُجْرَةِ إلى فِنَائِهَا، لكن هل هذا المراد؟ لا، المراد ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: من الجهل الذي هو الضلال ﴿إِلَى النُّورِ﴾ يعني: إلى العلم والهدى.

القريئة المانعة من إرادة الظلمة الحسيَّة: ﴿كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾، فالقرآن لا يُخرِجُ به النَّاسُ مِنَ الظُّلُمَاتِ الحسيَّةِ إلى النور الحسي، بل من الظُّلُمَاتِ المعنوية إلى النور المعنوي.

العلاقة: المُشابهة؛ لأنَّ الجهل يُشَبِّهُ الظلمة، إذ أنَّ الجاهل لا يهتدي، لا يدري، حيران، والعلم يُشَبِّهُ النور في الاهتداء.

(*) ما بين المعكوفتين حاشيةٌ للمؤلفين على قولهم «إلى الهدى»، وقد علق عليها الشيخ رحمه الله.

على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية^(١).

وأصلُ الاستعارة تشبيه حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ وَوَجْهُ شَبَهِهِ وَأَدَاتُهُ^(٢).

(١) ويقال أيضاً في «الثور» كذلك: شَبَّهَ الْعِلْمُ بِالثُورِ بِجَامِعِ الْإِهْتِدَاءِ فِي كُلِّ، ثم استعير لفظُ

«الثور»- لفظُ المُشَبَّهِ به- للمُشَبَّهِ على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

- التصريحية: هي التي يُستعار فيها المُشَبَّهُ به للمُشَبَّهِ.

- الأصلية: هي التي ليست مُشْتَقَّةً، أَمَّا المُشْتَقَّةُ فَإِنَّهَا تَكُونُ تَبْعِيَّةً، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّكَ

استعرت المعنى أولاً ثم حوَّلْتَهُ إِلَى مُشْتَقِّهِ: اسمِ الْفَاعِلِ، أو اسمِ الْمَفْعُولِ، أو الْفِعْلِ

المبني للفاعل، أو المبني لِمَا لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ.

(٢) نَعَمْ، هذا أصل الاستعارة، أصلها التشبيه، مثال ذلك: «محمدٌ كالبحر في العطاء»:

- إْحَذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ: محمدٌ كالبحر.

- إْحَذِفِ الْأَدَاةَ: محمدٌ بحرٌ.

- إْحَذِفْ أَحَدَ الطَّرْفَيْنِ، تقول: «رأيتُ بحراً يُنْفِقُ الْمَالَ عَلَى النَّاسِ بِلَا حِسَابٍ»، الْآنَ مَا

بَقِيَ مَعْنَى مِنْ أَرْكَانِ التَّشْبِيهِ إِلَّا طَرَفٌ وَاحِدٌ وَهُوَ المُشَبَّهُ بِهِ.

وعلى هذا فإذا أردت أن تأخذ استعارة كَوْنٍ أَوْلاً تشبيهاً تاماً ثم قَصَصْتَهُ:

١- إْحَذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ.

٢- ثم أداة التشبيه.

٣- ثم المُشَبَّهُ.

٤- ثم كَوْنٌ جَمَلَةٌ يَتِمُّ بِهَا الْكَلَامُ.

حَسَنًا، أردت أن تمدح شخصاً بِالْعِلْمِ، فنقول: «عليٌّ كالبحر في السَّعَةِ»، ماذا تعمل؟

١- إْحَذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ: عليٌّ كالبحر.

٢- إْحَذِفْ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ: عليٌّ بحرٌ.

٣- إْحَذِفِ المُشَبَّهَ وَهُوَ «عليٌّ».

٤- ما الذي يبقى معك؟ «بحرٌ»، «بحرٌ» كلمة مُفْرَدَةٌ، اجْعَلْهَا فِي جَمَلَةٍ مَفِيدَةٍ: «رأيتُ بحراً

والمُشَبَّه يُسَمَّى مُسْتَعَاراً له، والمُشَبَّهُ به يُسَمَّى مُسْتَعَاراً منه، ففي هذا المثال: المستعارُ له هو «الضَّالُّ» و«الهُدَى»، والمُستعارُ منه هو معنى «الظَّلام» و«النُّور»، ولَفْظُ «الظُّلُمَاتِ» و«النُّورِ» يُسَمَّى مُسْتَعَاراً.

أ - وتنقسم الاستعارة [باعتبار ما يُذكَر من الطرفين]:

١- إلى مُصْرَحَةٍ: وهي ما صُرِّحَ فيها بلفظ المُشَبَّه به، كما في قوله [البسيط]:

فَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ، وَسَقَّتْ وَزْدًا، وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

فقد استعار اللؤلؤ والنرجس والوزد والعناب والبرد للدموع والعيون والحدود والأنامل والأسنان^(١).

= حَسَنًا، تريد أن تستعير أسداً لرجل شجاع، ماذا تقول؟: «فلان كالأسد في الشجاعة»:

١- إْحْدِيفَ وَجْهَ الشَّبِيهِ: فلان كالأسد.

٢- إْحْدِيفَ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ: فلان أسد.

٣- إْحْدِيفَ المُشَبَّه: أسد.

٤- «أسد» لا بُدَّ أن تجعلها في جملة مفيدة، فتقول: «رايتُ أسداً يحمل سيفاً».

ولذلك المؤلفُ قَرَّبَهَا [بقوله]: «أصلُ الاستعارة تشبیه حُدِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ وَوَجْهَ شَبِيهِ وَأَدَاتُهُ».

(١) هذا البيت غريب، هل هو فصيح؟ نَعَمْ، لكن فصيحٌ تشدَّد في الاستعارة؛ استعار اللؤلؤ للدموع، والنرجس للعيون، والوزد للحدود، والعناب للأنامل، والبرد للأسنان، معناه: أنها بكت وحصلت من بكائها ما دُكِرَ.

لو قال قائل: ذكرتُ أن المجاز- سواء علاقتُه المشابهة أو غير المشابهة- لا بُدَّ فيه من قرينة وعلاقة، فما هي القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي؟، [القرينة:] أنه لا =

٢- وإلى مَكْنِيَّة: وهي ما حُدِفَ فيها المُشَبَّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لَوَازِمِهِ، كقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، فقد استعار الطائر للذَّلِّ، ثم حَذَفَهُ، ودَلَّ عليه بشيءٍ من لَوَازِمِهِ وهو الجَنَاحُ.

وإثبات الجَنَاحِ للذَّلِّ يُسَمُّوهُ استِعَارَةً تَخْيِيلِيَّةً^(١).

= يمكن أن تُمَطَّرَ لؤلؤاً، وكذلك يقال في الباقي، أما العلاقة في كلِّ الكلمات هذه فهي المشابَهَةُ، شَبَّهَ دموعها باللؤلؤ، والغرض من ذلك التحسين، وكذلك يقال في البواقي. حَسَنًا، ما العلاقة بين «العُنَاب» و«الأنامل»؟ [العلاقة: اللَوْنُ؛ لأنَّ العُنَابَ لَوْنُهُ أحمرٌ، وهذه قد صَبَعَتْ أناملها بالِحِئَاءِ، فصارت تُشَبِّهُ العُنَابَ.

(١) نَعَم؛ لأنَّ الذَّلَّ - حقيقةً - ليس له جناح، لكن تَخْيَلَهُ كأنه طائرٌ له جناح، فحَذَفَهُ ورَمَزَ إليه بشيءٍ من لَوَازِمِهِ، مثال ذلك أيضاً قوله: ﴿أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٦]، إذا جَعَلْنَا الاستِعَارَةَ في كلمة ﴿الضَّلَالَةَ﴾ نقول: شَبَّهتِ الضَّلَالَةُ بالمتاع-؛ لأنَّ المتاع هو الذي يُشْتَرَى-، وحَذَفَ المتاعَ ورَمِزَ إليه بشيءٍ من لَوَازِمِهِ وهو الشُّرَاءُ، فهذه استِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ، وقال الشاعر^(*) [الكامل]:

وَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

هل للمَيِّتَةِ أَظْفَارٌ تنشب؟ لا، لكنَّه شَبَّهَ الْمَيِّتَةَ بِالْوَحْشِ أَنْشَبَ ظُفْرَهُ، وحَذَفَ الْوَحْشَ، ورَمَزَ إليه بشيءٍ من لَوَازِمِهِ وهي الأظفار.

صار:

- إذا وُجِدَ المُشَبَّه به فهي تصريحية.

- وإذا وُجِدَ المُشَبَّه وحُدِفَ المُشَبَّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لَوَازِمِهِ فهي مَكْنِيَّةٌ.

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، إذا قلنا: «إنَّ في القرآن مجازاً» فتخريجها واضحٌ كما قال المؤلف، لكن إذا قلنا: «ليس فيه مجازاً» فكيف نُخْرِجُ الآية؟، نُخْرِجُ الآيةَ على أنَّ من المعروف أنَّ الذَّلَّ ليس له جناح، لكن لَمَّا كان الإنسان إذا استعلَى على غيره وتكَبَّرَ عليه وارتَفَعَ صار كأنه طائرٌ، فأَمَرَ أَنْ يَخْفِضَ الجَنَاحَ الذي يكون به الطيرَانُ حتى =

(*) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: «ديوانه»: ص ١٤٧.

ب - وتنقسم الاستعارة [باعتبار اللفظ المستعار] (*) :

١- إلى أصليّة: وهي ما كان فيها المستعار اسماً غير مُشْتَقٍّ، كأستعارة «الظلام» لـ «الضلال»، و«النور» لـ «الهدى».

٢- وإلى تبعيّة: وهي ما كان فيها المستعار فِعْلاً أو حَرْفاً أو اسماً مُشْتَقّاً^(١)، نحو: «رَكِبَ فلانٌ كَتَفِي غريمه»، أي: لآزَمَهُ مُلازِمَةً شديدة^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، أي: تَمَكَّنُوا مِنَ الحُصُولِ عَلَى الهداية التامة^(٣)، ونحو قوله [الكامل]:

= يَنْزِلُ ويكون بالنسبة لوالديه ذليلاً، وحيثُ نقول: إنَّ السياقَ يَمْنَعُ تماماً أن يكون المرادُ أنَّ الدُّلَّ طائرُ له أجنحةٌ، وأنَّ اللهَ أَمَرَ أن يَخْفِضَ له الجناحَ، فهذا شيءٌ معروفٌ أنَّه لا يمكن.

(١) إذا كانت الاستعارة في فعل أو حرف أو مُشْتَقٍّ فهي تَبَعِيَّةٌ، وإذا كانت في اسم جامد فهي أصليّةٌ، وذلك واضح؛ لأنَّ أصلَ الأفعالِ والمُشْتَقَّاتِ مَصَادِرُ اشْتَقَّ منها كذا وكذا، فإذا قلت: «رايتُ أسداً يحملُ حقيبةً» فهي أصليّةٌ؛ لأنَّها جَرَتْ في اسم جامد غير مُشْتَقٍّ.

(٢) شَبَّهَ المِلازِمَةَ بالركوب، فهنا «رَكِبَ» فِعْلٌ، فتكون تَبَعِيَّةٌ، أيضاً: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْعَبْلَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٦] كُنَّا أَجْرَيْنَاهَا قَبْلَ قَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُا مَكْنِيَّةٌ لا تصرِيحِيَّةٌ، يُمكن أن تُجْرِيها تصرِيحِيَّةً ونجعلها في كلمة ﴿اشْتَرَوْا﴾، ﴿اشْتَرَوْا﴾ بمعنى: اخْتَارُوا الضَّلالةَ على الهدى، فَشَبَّهَ اخْتِيَارَهُم الضَّلالةَ على الهدى بالشراء بجامع الرغبة في كلِّ منهما، ثم استعارَ لفظَ الاشتراء للاختيار، ثم اشتقَّ من الاشتراء ﴿اشْتَرَوْا﴾، إذا التَّبَعِيَّةُ أطولُ إجراءً من الأصليّة؛ لأنَّ التَّبَعِيَّةَ لا بُدَّ أن تُجْرِيها في أصل المعنى ثم تقول: «واشتقُّ منه كذا وكذا»، ولهذا سُمِّيَتْ تَبَعِيَّةً.

(٣) هل الهدى شيءٌ يُرَكَّبُ؟ لا، لكن كلمة «الهدى» استُعيرت استعارةً مَكْنِيَّةً؛ وذلك لأنَّ الهدى- الذي هو المعنى وهو العِلْمُ- لا يمكن أن يُرَكَّبَ، لكن شَبَّهَ مُلازِمَتَهُ للهدى بالركوب عليه (**).

(*) سواء كانت الاستعارة تصرِيحِيَّةً أو مَكْنِيَّةً.

(**) أفاد الشيخُ كَلِمَةً فيما بعد هذه المسألة قائلًا: «كلُّ استعارةٍ تبعيةٍ فإنَّ قريبتها مَكْنِيَّةٌ، بمعنى أنك إذا =

وَلَيْنَ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بَرِّكَ مُفْصِحاً فَلِسَانُ حَالِي بِالشُّكَايَةِ أَنْطَقُ
أي: أدلُّ.

ج - وتنقسم الاستعارة [باعتبار ذِكْرِ المُلَائِمِ]:

١- إلى مُرَشَّحَةٍ: وهي ما ذُكِرَ فيها مُلَائِمُ المُشَبَّهِ به، نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِمِحْرَتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٦]، فالاشتراء مُستعارٌ للاستبدال، وذُكِرَ الرِّبْحُ والتَّجَارَةُ ترشيحاً^(١).

٢- وإلى مُجَرَّدَةٍ: وهي التي ذُكِرَ فيها مُلَائِمُ المُشَبَّهِ، نحو: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَّاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]، استُعيرَ اللَّيَّاسُ لِمَا عَشِيَ الإنسانُ عند الجوع والخوف، والإذاقَةُ تجريدٌ لذلك.

٣- وإلى مُطْلَقَةٍ: وهي التي لَمْ يُذَكَّرْ معها مُلَائِمٌ، نحو: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾^(٢) [البقرة: ٢٧].

(١) المُرَشَّحَةُ: المُقَوَّاةُ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ الاستعارة انتهت إلى هذا الحد، ﴿فَمَا رَبِحَت بِمِحْرَتِهِمْ﴾ هذه جملة تُقَوِّي الاستعارة التي ذُكِرْنَا أَنَّهَا في الشُّرَاءِ، التجارة تُنَاسِبُ الشُّرَاءَ؛ لأنَّ الرَّجُلَ يشتري الشيءَ ليربِحَ فيه أو ليستعمله في بيته مثلاً، فهذا نُسمِّيه ترشيحاً، يعني: إذا ذُكِرَ في الاستعارة ما يلائمُ المُشَبَّهِ به سُمِّيَ ذلك ترشيحاً.

(٢) الآن قَسَمَهَا رَحِمَهُ اللهُ إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما ذُكِرَ فيه مُلَائِمُ المُشَبَّهِ به، وهذا ترشيح.

والثاني: ما ذُكِرَ فيها مُلَائِمُ المُشَبَّهِ، وهذه مُجَرَّدَةٌ.

= رأيت استعارةً تبعيةً فَلَمَّا أن تُجْرِيهَا في نفس اللفظ، ولك أن تُجْرِيهَا في القرينة، لكن إذا أُجْرِيَتْها مكنيةً فلا تُجْرِيهَا تبعيةً في آنٍ واحدٍ؛ لأنَّ هذا تناقضٌ، القاعدة: «كلُّ تبعيةٍ فقريتها مكنيةٌ»، وإذا أُجْرِيَتْها في إحداها امتنع إجراؤها في الأخرى؛ لئلا يلزم أن تكون العبارةً مستعارةً من وجهين.

ولا يُعْتَبَرُ التَّرْشِيحُ والتَّجْرِيدُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الاستعارةِ بالقَريِنَةِ^(١).

* * *

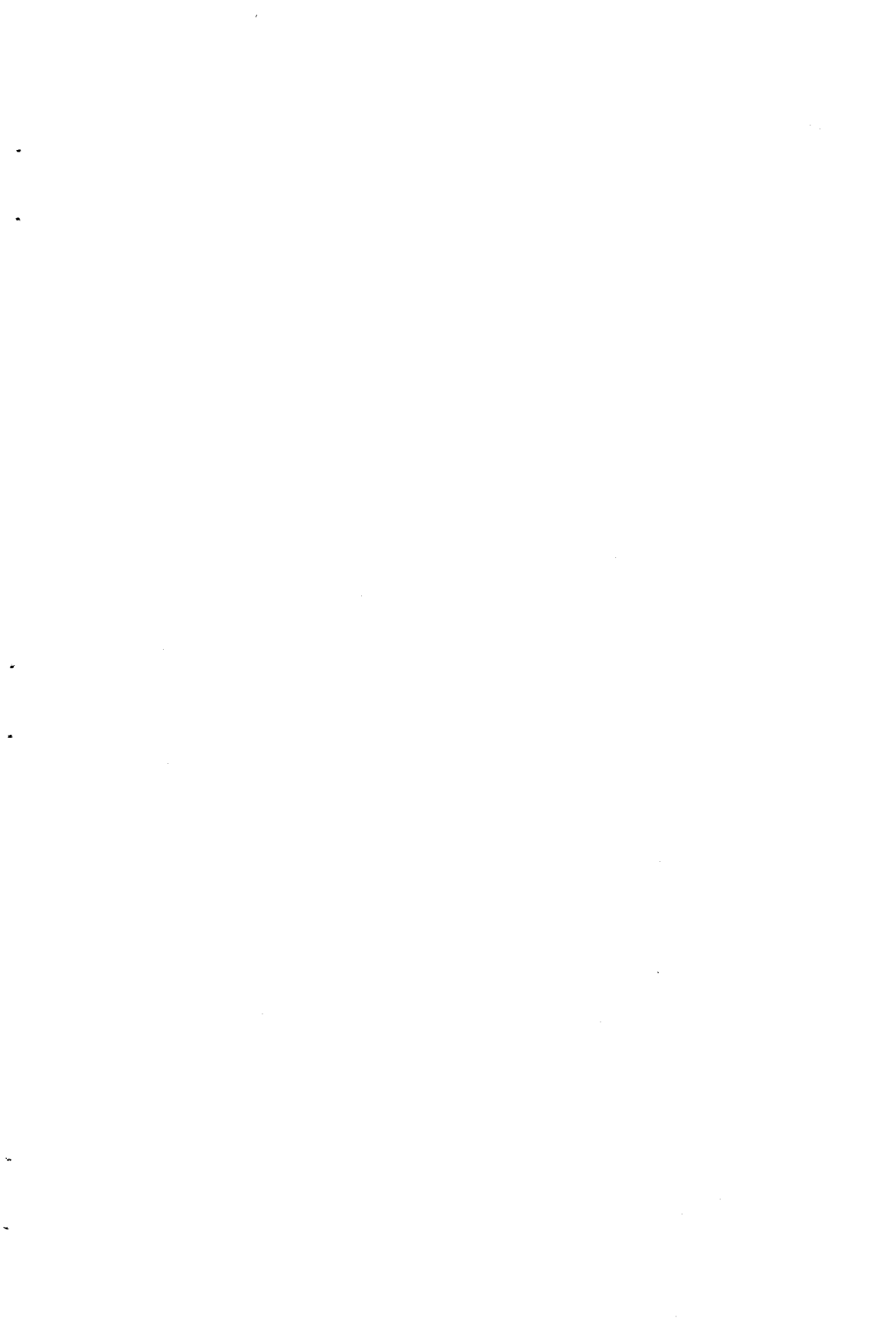
= والثالث: ما حَلَّتْ عن مُلائِمِ هذا وهذا، فهذه مُطْلَقَةٌ، وكذلك ما ذُكِرَ فيها مُلائِمُ هذا وهذا فإنَّها تُسَمَّى مُطْلَقَةٌ.

طبعاً هذه اصطلاحات، ليس شيئاً مَبْنِيّاً على دليل، هذا مُضْطَلَحٌ من جنس المصطلح في عِلْمِ الحديث.
حَسَناً:

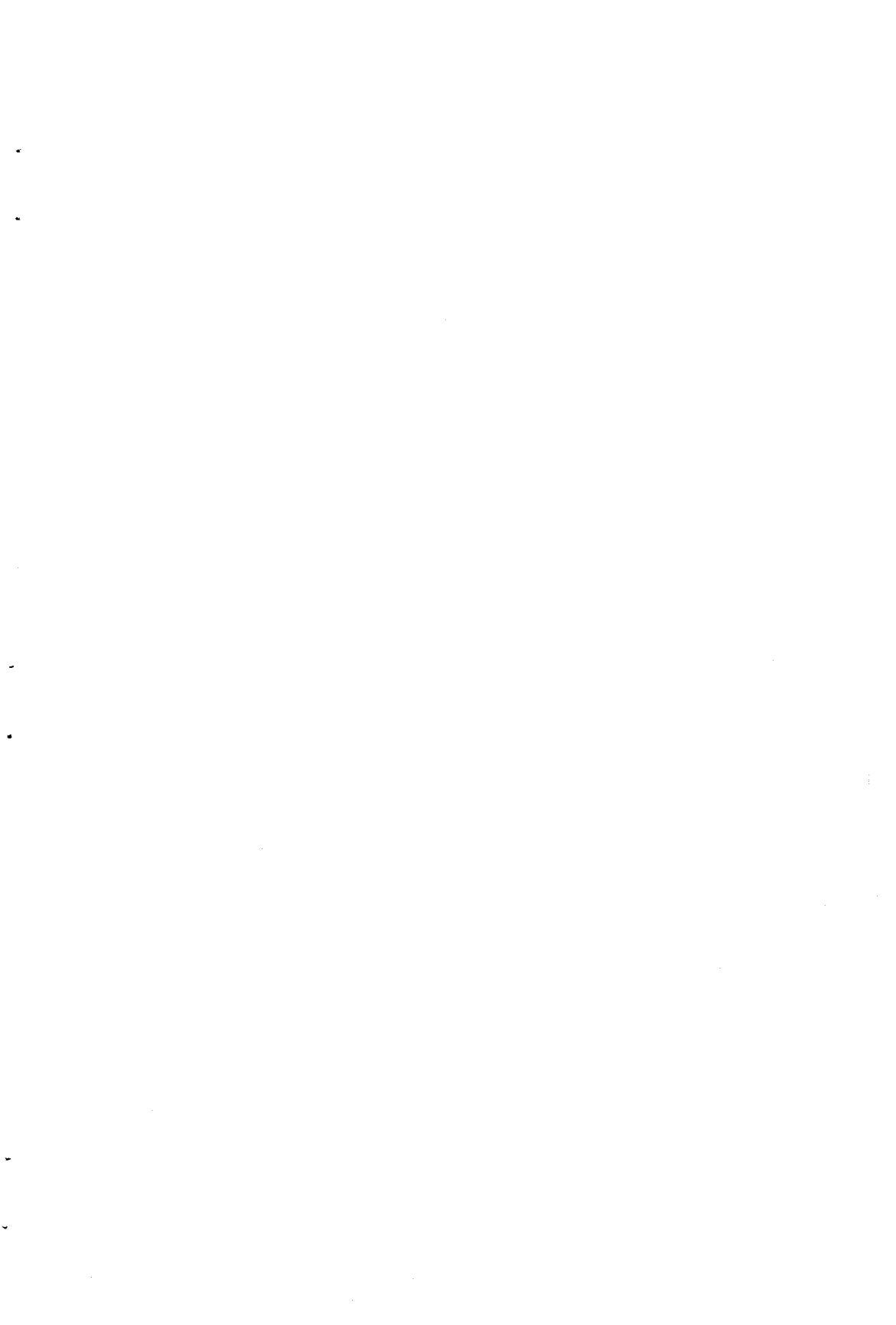
- إذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبةً ويكتب بقلم»، الآن «ويكتب بقلم» هل يُنَاسِبُ المُشَبَّهَ أو المُشَبَّهَ به؟ المُشَبَّهَ، إذا مُجَرَّدَةٌ.
 - وإذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبةً يفترس أقرانه» هذا ترشيح؛ لأنَّه يُلَاقِمُ المُشَبَّهَ به.
 - إذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبةً» هذه مُطْلَقَةٌ.
- الْخُلَاصَةُ أَنَّهُ:

- ١- إذا ذُكِرَ في الاستعارة ما يُلَاقِمُ المُشَبَّهَ به فهو ترشيح، والترشيح يعني: التقوية.
- ٢- إذا ذُكِرَ ما يُلَاقِمُ المُشَبَّهَ فهو تجريد، يعني: كأنك بعد أن ادَّعَيْتَ أَنَّ هذا المستعار له هو المستعارُ جَرَّدْتَهُ بِذِكْرِ ما يُلَاقِمُ المستعارَ له.
- ٣- إذا لم يُذَكَّرْ هذا ولا هذا فهي مُطْلَقَةٌ.

(١) صحيح، هذا ضروري، لا يُعْتَبَرُ التَّرْشِيحُ والتَّجْرِيدُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَمَّ الاستعارة، انظُرْ إلى قولك: «رأيت أسداً يحمل حقيبةً»، استعزته للرجل الشجاع، كلمة «يحمل حقيبةً» تُلَاقِمُ المُشَبَّهَ، لكننا لا نجعلها هنا مُجَرَّدَةٌ؛ لأنَّ هذه هي القريِنَةُ المانِعَةُ، إذا التَّجْرِيدُ والتَّرْشِيحُ لا يُعْتَبَرُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الاستعارة بقرينتها.



المَجَازُ المُرْسَلُ



المَجَازُ المُرْسَلُ

هو مَجَازٌ عَلاقَتُهُ غَيرُ المُشابَهَةِ^(١):

١- كَالسَّبِيَةِ، في قولك: «عَظَمْتُ يَدُ فلانٍ عَندِي»، أي: نِعَمَتُهُ التي سَبَبُها اليَدُ^(٢).

٢- وَالْمُسَبَّبِيَةِ، في قولك: «أَمَطَرَتِ السَّمَاءُ نَباتاً»، أي: مَطَرًا يَتَسَبَّبُ عَنه النَباتُ^(٣).

٣- وَالجُزْئِيَةِ، في قولك: «أزَسَلْتُ العُيُونَ لِتَطَّلِعَ عَلى أَحْوالِ العَدُوِّ»، أي: الجَواسِيسَ^(٤).

(١) المَجَازُ المُرْسَلُ ضابِطُهُ: ما تُجَوِّزُ به عَن غَيرِهِ بِعَلاقَةٍ غَيرِ الشَّبهِ، وإِذا كانَتِ العَلاقَةُ الشَّبهِ فهو اسْتِعارَةٌ، يعني: كلُّ شَئٍ يُعَبَّرُ به عَن غَيرِهِ إِنْ كانَتِ العَلاقَةُ بَينَهُما المُشابَهَةَ فِهي اسْتِعارَةٌ، وإِنْ كانَتِ غَيرَ المُشابَهَةِ فِهي مَجَازٌ مُرْسَلٌ. ذَكَرَ المِؤَلَّفُ ثَمانيَةَ أَشْياءَ.

(٢) هِنا عَبَّرَ بِالسَّببِ عَن المُسَبَّبِ، السَّببُ: اليَدُ، هِيا التي تُعْطِي، وَالْمُسَبَّبُ: النِّعْمَةُ، فَعَبَّرَ بِاليَدِ عَن النِّعْمَةِ مَجَازاً؛ لِأَنَّ اليَدَ سَبَبٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُزِيلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً﴾ [غافر: ١٣] هِنا عَبَّرَ بِالرِّزْقِ عَن المَطَرِ؛ لِأَنَّ الرِّزْقَ مُسَبَّبٌ لِلْمَطَرِ، المَطَرُ هُوَ السَّببُ.

(٣) مَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ لا تُمَطِّرُ نَباتاً، تُمَطِّرُ مَطَرًا يَكُونُ به النَباتُ، فِهنا عَبَّرَ بِالنَباتِ الَّذِي هُوَ المُسَبَّبُ عَن السَّببِ الَّذِي هُوَ المَطَرُ.

هذان شيان مُتضادان، يُعَبَّرُ بِالسَّببِ عَن المُسَبَّبِ، وبِالمُسَبَّبِ عَن السَّببِ، وكِلاهُما مَجَازٌ.

(٤) مِنَ المَعْلُومِ أَنَّ العَينَ نَفْسَها لا تُرْسَلُ، الَّذِي يُرْسَلُ الشَّخْصُ لِتَطَّلِعَ، لَكِن لَمَّا كانَ الجاسوسُ يُذَرِّكُ الأَشْياءَ بِبَصَرِهِ، وَيَتَأَمَّلُ المَلامِحَ، وَيَنظُرُ إِلى الأَشْياءِ؛ عَبَّرَ بِالعَينِ =

٤- وَالْكَلِيَّةُ، في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]،
أي: أَنَامِلُهُمْ^(١).

٥- وَأَعْتَابِرِ مَا كَانَ، في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا آلَ يَنْبَغِ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢]،
أي: الْبَالِغِينَ^(٢).

= عنه، أي: عن الجاسوس.

لو أَنَّ إِنْسَانًا قَالَ: «أرسلتُ آذاني في البلد»، [فهل] يصلح أن يُعَبَّرَ بها عن الجاسوس؟ لا، لا يصلح، ولا عَبَّرَ بها العربُ؛ لأنَّ الآذَانَ يمكن أن تكون جاسوساً في حالة معيَّنة، إذا قيل لك عن بيتٍ: «إنَّ فيه اشتباهاً» وأرسلتُ إليه شخصاً في الليل؛ فهنا يمكن أن نقول: «أرسلتُ آذاني إلى بيته ليلاً»، هنا لا بُدَّ من قرينة.

(١) عَبَّرَ بِالْكُلِّ عَنِ الْجُزْءِ.

حَسَنًا:

- «أَعْتَقَ رِقَبَةً» عَكْسُهَا، عَبَّرَ بِالْجُزْءِ عَنِ الْكُلِّ.

- قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، بِالْجُزْءِ عَنِ الْكُلِّ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الصَّلَاةَ وَالرُّكُوعَ جُزْءًا مِنْهَا.

- «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ»^(*)، تَعْبِيرٌ بِالْكُلِّ عَنِ الْجُزْءِ، وَهَذَا أَمْثَلُهُ كَثِيرَةٌ.

(٢) الْيَتِيمَ: مَنْ مَاتَ أَبُوهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ لَا يُعْطَى مَالَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْيَتَامَىٰ أَلْيَنَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، فَهَذَا يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَتُوا آلَ يَنْبَغِ أَمْوَالَهُمْ﴾ المراد: الْبَالِغُونَ، وَإِذَا كَانُوا بِالْغِيْنِ لَمْ يَكُونُوا يَتَامَىٰ؛ إِذْ أَنَّ الْيَتِيمَ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْحِكْمَةُ مِنْ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعَبَّرُ بِالْيَتِيمِ عَنِ الْبَالِغِ؟

الْحِكْمَةُ: مِنْ أَجْلِ اسْتِعْطَافِ الْأَوْلِيَاءِ وَاسْتِرْحَامِهِمْ حَتَّىٰ يُؤَدُّوا الْأَمْوَالَ إِلَىٰ أَهْلِهَا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: «أَذْكُرُوا يَتْمَهُمْ وَأَعْطَوْهُمْ أَمْوَالَهُمْ».

(*) رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (٤/ رقم: ٣٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ...»، وَالْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ هُنَا: الْفَاتِحَةُ.

٦ - وأعتبار ما يكون، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرْنِيَّ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عَيْبًا^(١).

٧- والمَحَلِّيَّة، في قولك: «قَرَّرَ المَجْلِسُ ذلك»، أي: أَهْلُهُ^(٢).

٨- والحَالِيَّة^(*)، في قوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، أي: جَنَّتِيهِ^(٣).

* * *

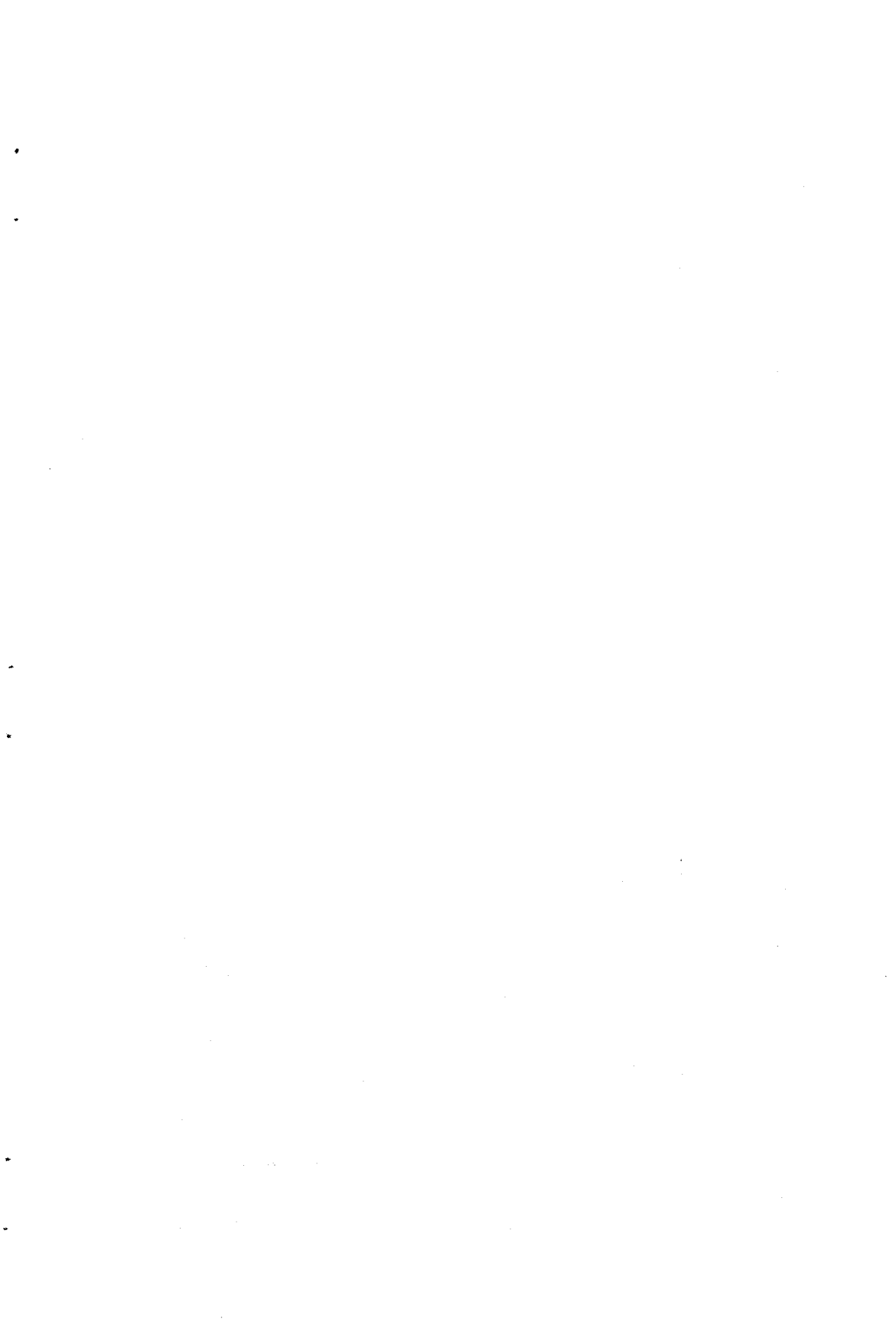
(١) الخمر لا يُعْصَرُ، الخمر معصور، لكن المرادُ به العَيْبُ الذي يكون منه الخمر، فَعَبَّرَ عن شيءٍ باعتبار ما يكون، وهذا أيضاً كثير، ﴿أَنْتَ أَمْرٌ اللَّهُ﴾ [النحل: ١] عَيَّرَ بالماضي عن المستقبل، وله أمثلة في القرآن وغير القرآن.

(٢) تقول: «قَرَّرَ مجلسُ الوزراءِ كذا وكذا»، وهل الذي قَرَّرَ الكَتَبَاتُ والمَخَاذُ والمَسَانِدُ؟ لا، الذي قَرَّرَ أهلُ المجلسِ، لكن لَمَّا كان القرارُ إجماعياً صار كأنَّ المَحَلَّ نَفْسَهُ بَمَنْ فِيهِ قَرَّرَهُ.

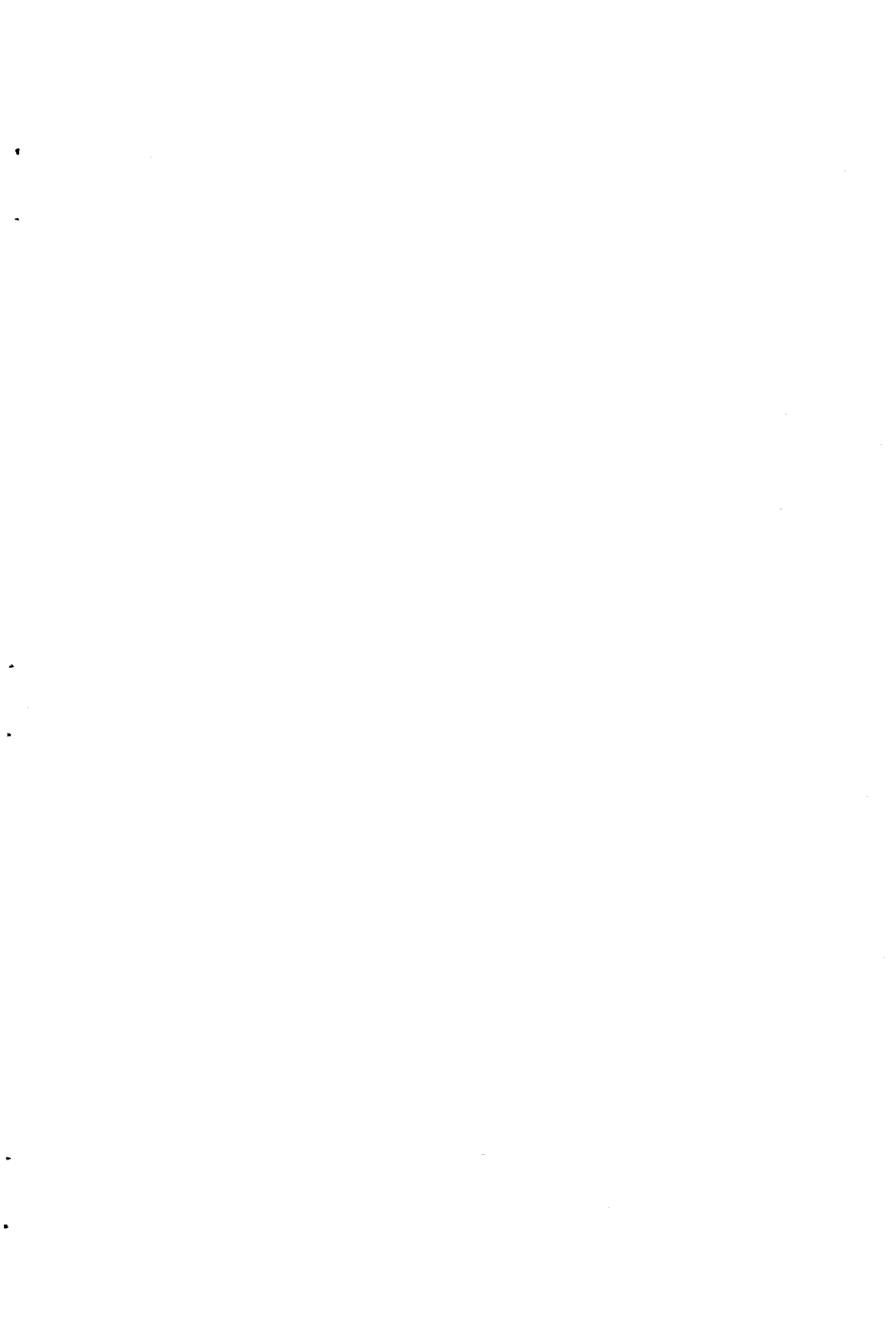
(٣) المُرادُ: «ففي جَنَّةِ اللَّهِ»، لكن عَبَّرَ عن الجَنَّةِ بالرحمة؛ لأنها من آثار رحمته، فالجَنَّةُ هي رحمةُ الله كما جاء في الحديث: قال اللهُ لها: «أنتِ رحمتي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشْءٍ»^(**)؛ لأنَّ الجَنَّةَ مَحَلُّ الرحمةِ، جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا بِمَنْهُ وَكَرِيمِهِ.

(*) بتشديد اللام، من الخُلُول.

(**) رواه البخاري (٦٥/ تفسير سورة ق/ ١)، ومسلم (٥١/ رقم: ٣٤، ٣٥).



المَجَازُ المُرَكَّبُ



المَجَاز المُرَكَّب

المُرَكَّبُ إنِ اسْتُعْمِلَ في غيرِ ما وُضِعَ له لِعِلاقَةٍ غيرِ المُشابهَةِ سُمِّيَ مَجَازاً مُرَكَّباً، كالجَمَلِ الخَبْرِيَّةِ إذا اسْتُعْمِلَتْ في الإنشاءِ، نحو قوله [الطويل]:

هَوَايَ مَعَ الرِّكَبِ اليَمَانِيْنَ مُضِعِدٌ جَنِيْبٌ، وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوْتِقُ

فليس الغَرَضُ مِنْ هذا البَيْتِ الإخبارِ، بل إظهارَ التَحَزُّنِ والتَحَسُّرِ.

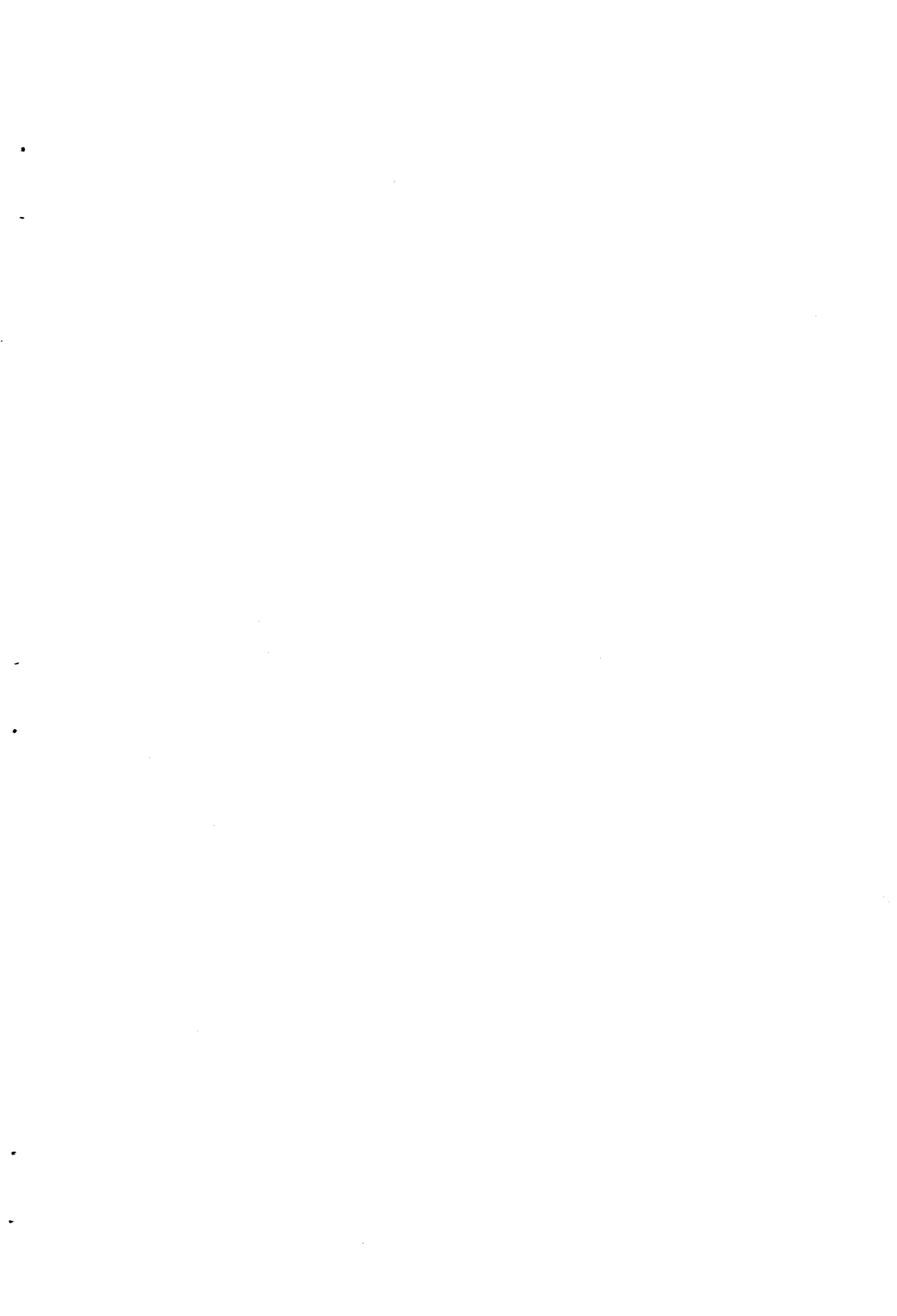
وإن كانت عِلاقَتُهُ المُشابهَةَ سُمِّيَ استِعارةً تَمثِيلِيَّةً، كما يُقالُ للمُتَرَدِّدِ في أمرٍ: «أراك تُقَدِّمُ رِجْلاً، وتُوَخِّرُ أُخْرَى»^(١).

* * *

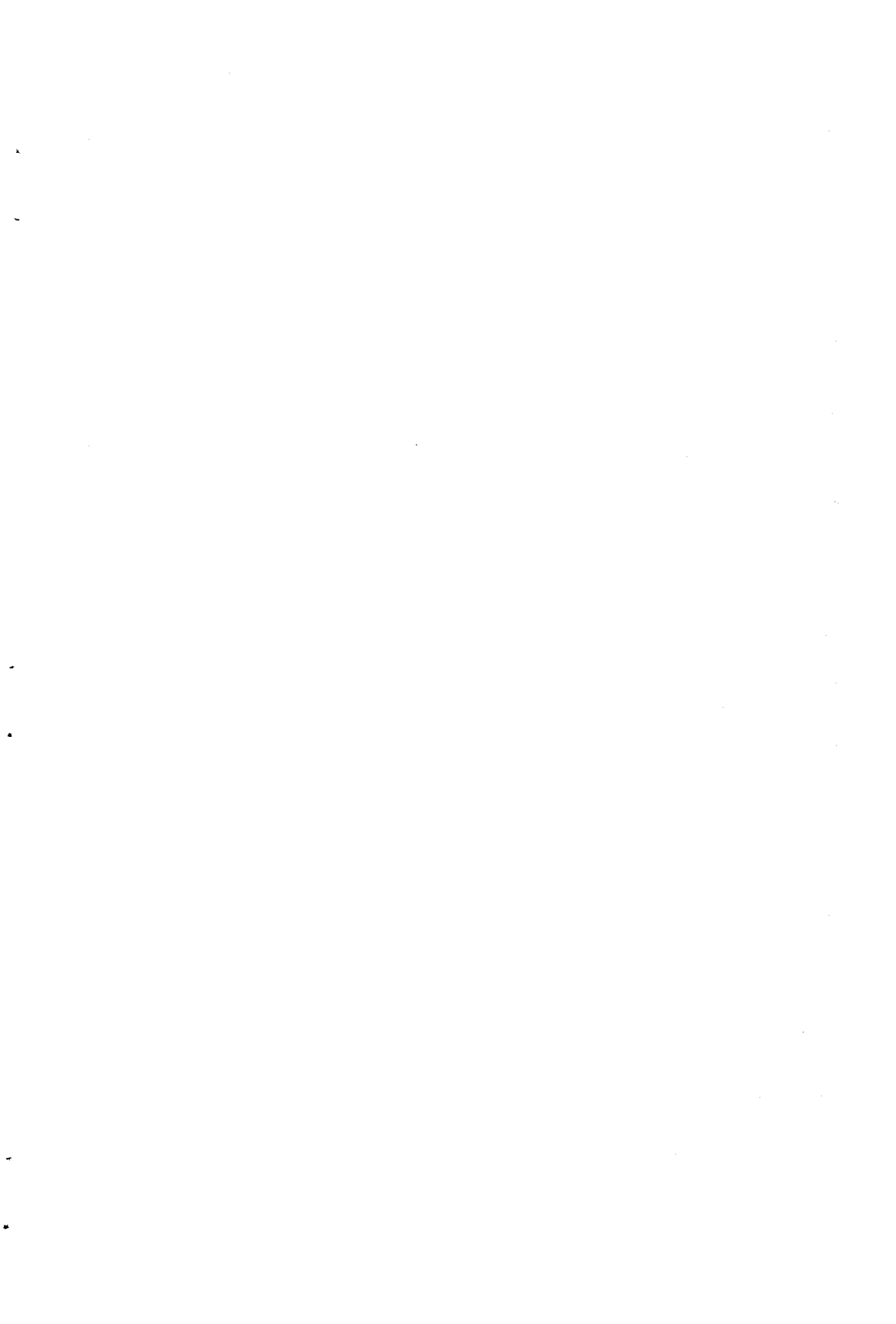
(١) الجَمَلُ الخَبْرِيَّةُ إذا اسْتُعْمِلَتْ في الإنشاءِ فهي تُسَمَّى مَجَازاً مُرَكَّباً إذا لم تكن عِلاقَتُها المُشابهَةَ، ولها أمثلة كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فإنَّ ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ جملةٌ خَبْرِيَّةٌ، والمرادُ: الإنشاءُ، يعني الأمرُ بذلك، ومثلُ هذا البَيْتِ الذي ذكره المؤلفُ.

إذا جاءت جملةٌ مَجَازِيَّةٌ عِلاقَتُها المُشابهَةَ فهي استِعارةٌ تَمثِيلِيَّةٌ، مثال ذلك: تقول مثلاً في الأمرُ تَرَدَّدَ فيه: «فكنتُ أَقَدِّمُ رِجْلاً، وَأُوخِّرُ أُخْرَى»، معلومٌ أنَّه ليس المرادُ في الحقيقةِ تَقْدِيمَ الرِّجْلِ، رُبَّما يتردَّدُ الإنسانُ وهو على كُرْسِيِّهِ، لكن سَبَبَ حاله في التَرَدُّدِ بحالٍ مَنْ يُقَدِّمُ رِجْلاً وَيُوخِّرُ أُخْرَى، المُقَدِّمُ للرِّجْلِ والمُوخِّرُ لأُخْرَى يبقى في مكانه حائِراً، فيقالُ في هذا: إنَّها استِعارةٌ تَمثِيلِيَّةٌ.

وَدَكَرَ المؤلفُ هذا من باب تكملة التقسيم، وإلا لا حاجةٌ إليه؛ لأنَّه سَبَقَ القواعدُ العامَّةُ، يُكْتَفَى بها.



المَجَازُ العَقْلِيّ



المَجَازِ العَقْلِيّ

هو إسنادُ الفِعْلِ أو ما في معناه إلى غير ما هو له عند المُتَكَلِّمِ في الظاهرِ لِعِلَاقَةٍ^(١) (*)، نحو قوله [المُتقَارِب]:

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِيْرَ . رَ كَرُّ العَدَاةِ وَمَرُّ العَشِيّ

فإنَّ إسنادَ الإِشَابَةِ والإِفْنَاءِ إلى كَرُّ العَدَاةِ وَمُرورِ العَشِيّ إسنادٌ إلى غير ما هو له، إذ المُشِيبُ والمُفْنِي - في الحقيقة - هو اللّهُ تعالى^(٢).

وَمِن المَجَازِ العَقْلِيّ :

١- إسنادُ ما بُنِيَ للفاعِلِ إلى المفعولِ، نحو: ﴿عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ﴾^(٣) [الحاقّة: ٢١].

(١) «هو إسنادُ الفِعْلِ أو ما في معناه» يعني: اسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر المراد به اسم الفاعل واسم المفعول.
قوله: «في الظاهر» متعلّق بقوله: «إلى غير ما هو له»، يعني: أنّه في الظاهر لغير ما هو له عند المُتَكَلِّمِ.

(٢) هل الذي أفنى الإنسان هو هذا؟ الجواب: لا، الذي أفناه اللّهُ، فأضافَ الفِعْلَ إلى غير مَنْ هو له، وكذلك يقال في المثل العامّي: «أَهْلَكَهُ السَّبْتُ والأَحَدُ»، يعني: مرور السبت والأحد، وهل هذا هو الذي أهْلَكَهُ؟ لا، الذي أهْلَكَهُ اللّهُ، لكن أُسْنَدَ الفِعْلَ إلى غير مَنْ هو له على سبيل المَجَازِ، ويقال: «بَنَى عَمْرُو بَنَ العاصِ مَدِينَةَ المُسْتَطَاطِ»، معلومٌ أنّ عَمْرُو بَنَ العاصِ ﷺ لم يُباشِرِ البِناءَ، لم يَأْتِ باللَّبِنِ ولم يُجَبِّنِ الطِّينَ، ولكن أَمَرَ بذلك، هذا يُسَمَّى مَجَازاً عَقْلِيّاً.

(٣) ﴿رَاضِيَةٌ﴾ يعني: مَرْضِيَّةٌ، فأتى باسم الفاعل ويُراد به اسم المفعول، فقد أُسْنَدَ الرِّضَا إلى =

(* بشرط وجود قرينة تمنع من إرادة الإسناد الحقيقي.

٢- وَعَكْسُهُ(*)، نحو: «سَيْلٌ مُفْعَمٌ»^(١).

٣- والإسناد:

- أ- إلى المَصْدَرِ، نحو: «جَدَّ جَدُّهُ».
 ب- وإلى الزَّمَانِ، نحو: «نَهَارُهُ صَائِمٌ».
 ج- وإلى المَكَانِ، نحو: «نَهْرٌ جَارٍ».
 د- وإلى السَّبَبِ، نحو: «بَنَى الأَمِيرُ المَدِينَةَ»^(٢).

وَيُعْلَمُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ المَجَازَ اللُّغَوِيَّ يَكُونُ فِي اللُّفْظِ، وَالمَجَازَ

= العَيْشَةُ، وَالعَيْشَةُ لَا تَرْضَى، وَإِنَّمَا العَيْشَةُ تُرْضَى، فَاسْتَدَّ مَا فِي مَعْنَى الفِعْلِ إِلَى غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ عَلَى وَجْهِ المَجَازِ العَقْلِيِّ.

(١) «مُفْعَمٌ» يَعْنِي: «فَاعِمٌ أَوْ مُفْعِمٌ» مَعَ أَنَّهُ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، هُنَاكَ أفعالٌ تُبْنَى لِلْمَجْهُولِ - أَوْ إِنْ شِئْتَ قُلْ: لِمَا لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ - دَائِماً، مِثْلُ: «تُبْنِيَتِ البَهِيمَةُ» بِمَعْنَى: «أُتْبِنَتْ»، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: «أُتْبِنْتُ» أَوْ «تُبْنَيْتُ».

وَقَدْ أُلْفِتَ فِي ذَلِكَ الرِسَالَةِ الصَّغِيرَةِ عَلَيْهَا شَرْحٌ وَأَمْثَلَةٌ، كـ «إِتْحَافِ الفَاضِلِ بِالفِعْلِ المَبْنِيِّ لِغَيْرِ الفَاعِلِ»^(**)، يَعْنِي فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ أَلْفَاظٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُبْنَى إِلَّا لِلْمَفْعُولِ، لَا تُبْنَى لِلْفَاعِلِ.

(٢) إِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الفَرْقُ بَيْنَ المَجَازِ العَقْلِيِّ وَالمَجَازِ اللُّغَوِيِّ؟

فالجواب: المَجَازُ اللُّغَوِيُّ يَكُونُ فِي الأَلْفَاظِ، وَالمَجَازُ العَقْلِيُّ يَكُونُ فِي الإِسْنَادِ، بِمَعْنَى أَنَّ الكَلِمَاتِ يُرَادُ بِهَا مَعْنَاهَا الحَقِيقِيَّةُ، لَكِنِ إِسْنَادُ هَذِهِ الكَلِمَةِ إِلَى هَذِهِ الكَلِمَةِ هُوَ المَجَازُ. فَمِثْلًا: «بَنَى الأَمِيرُ المَدِينَةَ»، مَا المَرادُ بِالبِنَاءِ؟ الحَقِيقَةُ، وَالأَمِيرُ؟ الحَقِيقَةُ، لَكِنِ إِسْنَادُ البِنَاءِ لِلأَمِيرِ هَذَا هُوَ المَجَازُ.

﴿وَيُرْزَقُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] الآن المَجَازُ هَلْ هُوَ فِي إِنْزَالِ هَذَا =

(*) أي: إسناد ما بُنِيَ للمفعول إلى الفاعل.

(**) للشيخ محمد علي بن علان الصَّدِيقِي الشَّافِعِي (ت: ١٠٥٨هـ).

العَقْلِيّ يكون في الإسناد^(١).



= الماء أو في كلمة «رزق»؟ في كلمة «رزق».

فلهذا نقول: الفرق بين المَجَاز اللُّغَوِيّ (بأنواعه: الاستعارة والمَجَاز المرسل) والمَجَاز العَقْلِيّ أَنْ :

- المَجَاز العَقْلِيّ يكون في الإسناد، بمعنى أَنَّ الكلمات يُراد بها المعنى الحقيقي، لكن إسناد هذه إلى هذه من هنا يأتي المَجَاز.
- المَجَاز اللُّغَوِيّ يكون في الألفاظ، إن كانت العلاقة المشابهة فهي استعارة، وإن كانت العلاقة غير المشابهة فهو مَجَاز مُرْسَل.

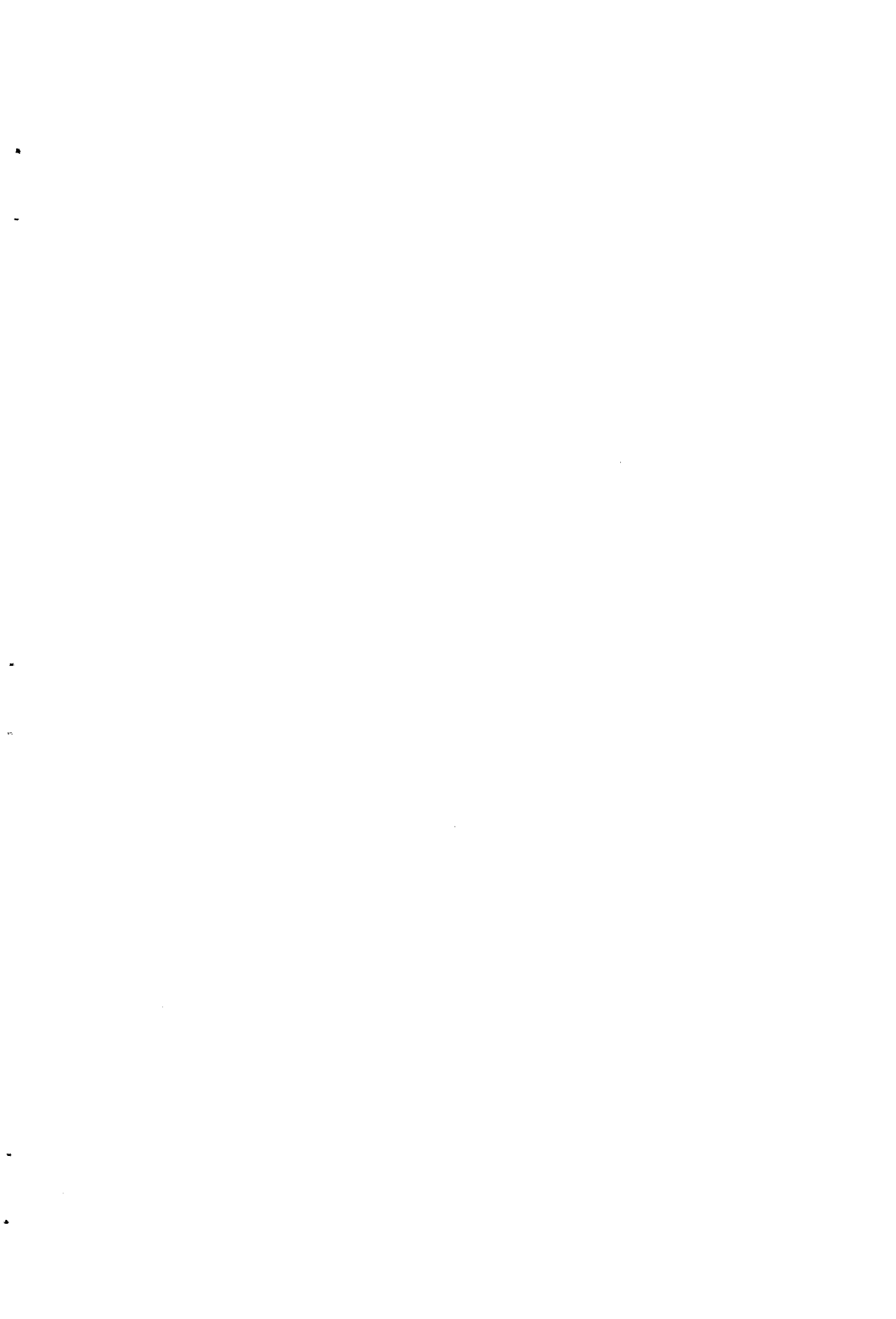
(١) والفرق بينهما كما ذكرتُ لكم:

- المَجَاز اللُّغَوِيّ في الكلمات نفسها، بمعنى أَنَّهُ يُراد بالكلمات خلافُ المعنى الأصليّ.
- والمَجَاز العَقْلِيّ في الإسناد، بمعنى أَنَّ كُلَّ كلمة يُراد بها المعنى الأصليّ، لكن إسنادها إلى الكلمة الأخرى عَقْلِيّ يَمْتَنِعُهُ العَقْلُ.

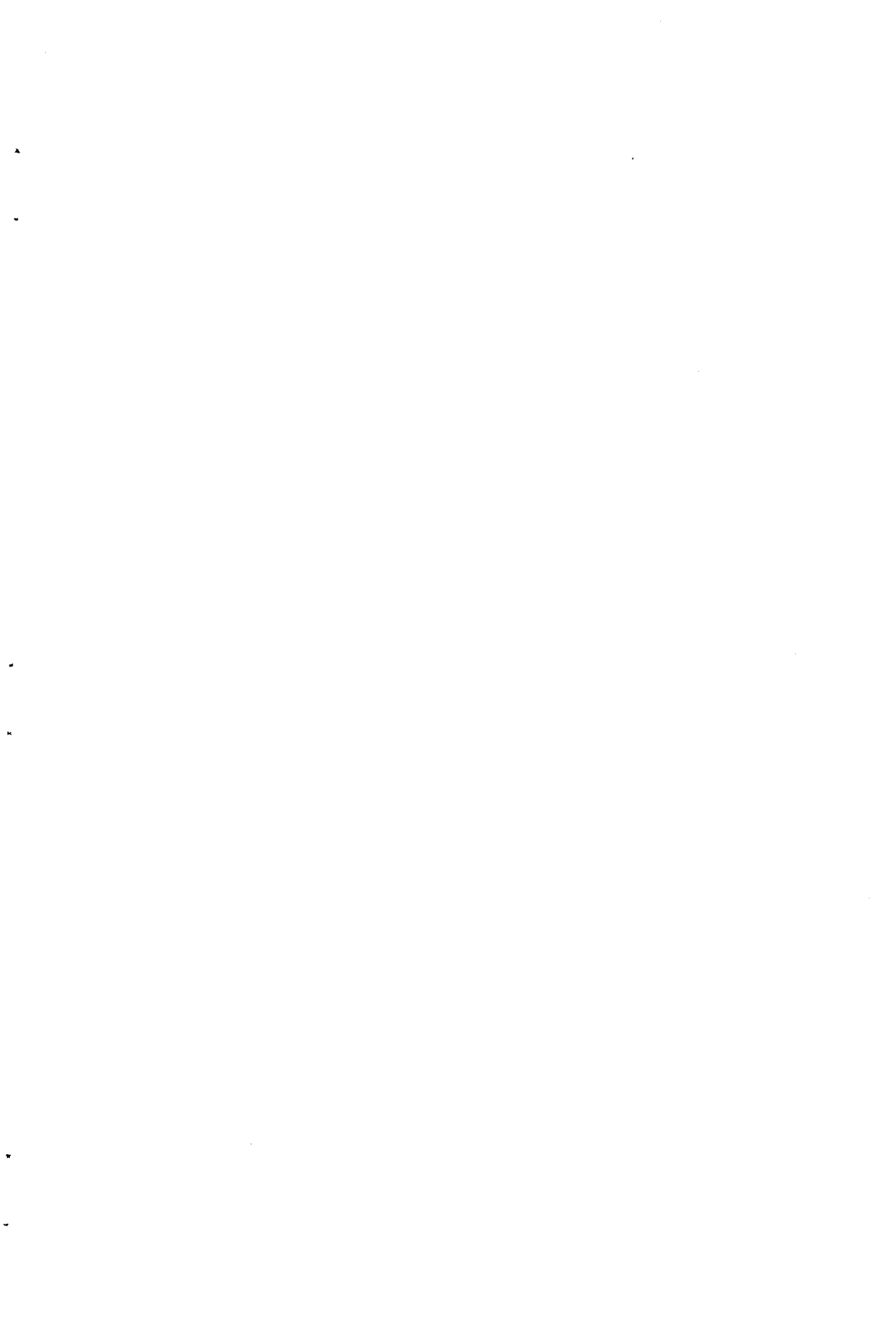
حَسَنًا، قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَيْكُ﴾ [الفجر: ٢٢]، على مذهب أهل السُنَّة والجماعة أَنَّهُ حقيقةٌ ليس فيه مَجَازٌ لا عَقْلِيّ ولُّغَوِيّ، وعلى رأي أهل التحريف فيه مَجَازٌ عَقْلِيّ؛ لأنَّ المَجِيءَ عَقْلًا - عندهم - لا يُسند إلى الرَّبِّ مُمْتَنِعٌ عَقْلًا، وهذا هو السُّرُّ في أَنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما اللهُ وأمثالها شُدُّدا في إنكار المَجَاز؛ لأنَّهُ صار سُلْمًا إلى تحريف نصوص الكتاب والسُنَّة بناءً على إثبات المَجَاز.

الحمد لله، الآن فَهْمُنَا المَجَازَ بنوعِيهِ: ما علاقته المشابهة وهو الاستعارة، وما علاقته غير المشابهة وهو المَجَاز المرسل، وكلُّ منهما يكون مَجَازًا في اللفظ، فإن كانت الألفاظ يُراد بها الحقيقة لكن إسناد هذا إلى هذا لا يمتنع عَقْلًا فهو مَجَازٌ عَقْلِيّ.

واعلَمُ أَنَّ قولنا: «يمتنع عَقْلًا» ليس معناه كما يريدُه المَنَاطِقَةُ، لا، حتى لو كان عادةً فهو مَجَازٌ عَقْلِيّ، مثلاً: «بَنَى الأميرُ المدينة» هل يمتنع عَقْلًا أن يبنِيها؟ عَقْلًا لا يمتنع، يمكن أن يُشارك في البناء، لكن عادةً يمتنع.



الِكِنَايَة



الكِنَايَة

هي لَفْظٌ أُريدَ به لَازِمٌ معناه مع جَوَازِ إِرَادَةِ ذلك المعنى، نحو: «طويلُ النَّجَادِ»، أي: طويلُ القَامَةِ^(١).

وتنقسم باعتبارِ المَكْنِيِّ عنه إلى ثلاثةِ أقسام:

الأول: كِنَايَة يكون المَكْنِيُّ عنه فيها صِفَةً، كقول الخنساء [المُتقَارِب]:

طَوِيلُ النَّجَادِ، رَفِيعُ العِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا

تريد أنه طويلُ القَامَةِ، سَيِّدُ كَرِيمِ^(٢).

(١) الكِنَايَة: عبارة عن جملة أو كلمة تدلُّ على معنى ملازم لها، مع جواز إرادة ذلك المعنى، مثاله: «طويلُ النَّجَادِ» يعني: طويلُ القَامَةِ؛ لأنه يَلْزَمُ مِنْ طول القَامَةِ أن يَطُولَ نِجَادُهُ، «رَفِيعُ العِمَادِ» يعني: خَيْمَتُهُ رَفِيعٌ عمودها، هذا كِنَايَة عن أنه سَيِّدُ قومه، ولهذا بَنَى له خيمةً رَفِيعَةً حتى يُعْرَفَ بها وَيُقَصِّدُهُ النَّاسُ، مع أنه يمكن إرادة المعنى الأصلي، وبهذا القَيْدِ صار الفَرْقُ بينها وبين المَجَازِ^(*)، المَجَازُ لا يمكن أن يُرَادَ به المعنى الأصلي، أمَّا الكِنَايَة فيمكن أن يُرَادَ بها ذلك.

إذا تَمَيَّزَتِ الكِنَايَة عن المَجَازِ بأنَّ الكِنَايَة يجوز أن يُرَادَ بها المعنى الأصلي، بخلاف المَجَازِ.

(٢) «طويلُ النَّجَادِ» قلنا: إنَّ هذا يُرَادُ به طولُ القَامَةِ، مع جواز أن يُرَادَ به الحقيقة: أن نِجَادَهُ الذي يتحلَّى به طويلٌ.

«رَفِيعُ العِمَادِ» كِنَايَة عن أنه سَيِّدُ قومه، ولهذا رَفَعَ عِمَادَ خَيْمَتِهِ؛ لِيُعْرَفَ بذلك فيُقَصِّدَ، مع أنه يجوز أن يكون المتكلمُ أراد الحقيقة: أنه - حقيقةً - خَيْمَتُهُ رَفِيعَةٌ.

«كثيرُ الرَّمَادِ» يُرَادُ به الكَرَمُ؛ لأنَّ الكَرِيمَ يَكْثُرُ القُصَادُ، والقُصَادُ يحتاجون إلى طعام =

(*) الكِنَايَة نوعٌ مِنَ المَجَازِ، والمقارنَة بينهما - هنا - من حيث إرادة المعنى الأصلي فقط.

والثاني: كِنَايَةٌ يَكُونُ الْمَكْنِيُّ عَنْهُ فِيهَا نِسْبَةٌ، نحو: «المَجْدُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ، وَالكَرْمُ تَحْتَ رِدَائِهِ»، تريد نِسْبَةَ الْمَجْدِ وَالكَرْمِ إِلَيْهِ^(١).

والثالث: كِنَايَةٌ يَكُونُ الْمَكْنِيُّ عَنْهُ فِيهَا غَيْرَ صِفَةٍ وَلَا نِسْبَةٍ^(*)، كقوله [الكامل]:

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أْبْيَضٍ مُخْدِمٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعِ الْأَضْفَانِ

= كثير، والطعام الكثير يحتاج إلى طبخ، والطبخ يحتاج إلى حطب، والحطب يكون رماداً، فإذا قيل: «فلان كثير الرماد» فهو كِنَايَةٌ عَنْ كَرَمِهِ؛ لَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ الضَّيْفَانِ، وكثرة الطعام، وكثرة الإيقاد، فهذا كِنَايَةٌ عَنْ الْكَرَمِ، مع أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ حَقِيقَةً كَثْرَةَ الرَّمَادِ؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ غَازٌ، فإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُحَوِّلَ «كثير الرماد» إِلَى الْغَازِ فَمَاذَا نَقُولُ؟: كَثِيرُ أَنْبِيِبِ الْغَازِ، أَوْ صَرَفِ الْغَازِ...، عَلَى كُلِّ حَالٍ عَبَّرَ بِمَا شِئْتَ، الْمَهْمُ عَبَّرَ تَعْبِيرًا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى كَرَمِهِ.

مع أَنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ رُبَّمَا يَكُونُ [فِي صِنَاعَةِ] الْجِصِّ، هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُوقَدَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يُؤَخَذُ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ يُوقَدُ عَلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ صَالِحًا لِلِاسْتِعْمَالِ، وَأَصْحَابُ الْمَجَاصِ كَثِيرُ الرَّمَادِ، فَهَلْ إِذَا قُلْنَا: «فلان كثير الرماد» مِنْ أَصْحَابِ الْمَجَاصِ؛ هَلْ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى كَرَمِهِ؟ لَا، لَكِنْ عَلَى كُلِّ حَالٍ السِّيَاقُ يُعَيِّنُ.

(١) معلوم أنَّ «المجد بين ثَوْبَيْهِ» لَيْسَ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي - يُسَمَّى الْمَجْدَ - يَكُونُ بَيْنَ الثَّوْبَيْنِ، لَكِنْ هَذَا الرَّجُلُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ ذُو مَجْدٍ، وَ[هَلْ] جِسْمُهُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ أَوْ لَا؟ نَعَمْ، جِسْمُهُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ، نَقُولُ: هَذَا كِنَايَةٌ عَنْ قُوَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ، وَكَذَلِكَ «الكرم تحت رِدَائِهِ» كِنَايَةٌ عَنْ كَرَمِهِ، تُسَمَّى هَذِهِ الْكِنَايَةُ نِسْبَةً، وَهِيَ - كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ - تَخْتَلَفُ عَنِ الْمَجَازِ بِأَنَّهُ قَدْ يُرَادُ بِهَا الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةُ.

لَكِنْ لَوْ قَالَ قَائِلٌ: هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَجْدُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ الْمَعْنَى بَيْنَ جَنْبَيْهِ؟ نَقُولُ: مَا دَامَ الْمَجْدُ وَضْفًا لِمَوْصُوفٍ وَالْمَوْصُوفُ: «بَيْنَ جَنْبَيْهِ»؛ صَحَّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْمَجْدَ نَفْسُهُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ مَعْنَى فِي الْمَوْصُوفِ.

(*) يكون المكني عنه فيها موصوفاً.

فإنه كنى بمجاميع الأضغانِ عن القلوب^(١).

والكِنَايَة (*):

- إن كَثُرَتْ فيها الوسائِطُ سُمِّيتْ تَلْوِيحاً، نحو: «هو كثيرُ الرَّمَادِ» أي: كريمٌ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الإحراقِ، وكَثْرَةَ الإحراقِ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الطَّنْبِخِ والخُبْزِ، وكَثْرَتَهُمَا تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الآكِلِينَ، وهي تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الضِّيْفَانِ، وكَثْرَةَ الضِّيْفَانِ تَسْتَلْزِمُ الكَرَمَ^(٢).

- وإن قَلَّتْ وَخَفِيَتْ سُمِّيتْ رَمْزاً، نحو: «هو سَمِينٌ رِخْوٌ» أي: عَبيٌّ بليدٌ^(٣).

(١) مجاميع الأضغانِ، مجاميعُ الحُبِّ، مجاميعُ البغضاءِ: هي القلوبُ، هي محلُّ هذا، فهنا يمدحه يقول: «الضَّارِبِينَ بَكلِّ أبيضٍ مُخْدِمٍ» يعني: السيوفُ، «والطَّاعِنِينَ مجاميعِ الأضغانِ» يعني: الرِّمَاحُ يطعنون بها مجاميعَ الأضغانِ، ومجاميعُ الأضغانِ هي القلوبُ؛ لأنَّ الضَّغْنَ والحَقْدَ والكراهةَ والمحبةَ كلُّها محلُّها القلبُ.

(٢) إذا كَثُرَتْ اللُّوازِمُ فِيهِ تَلْمِيحٌ^(**)، ضِدُّها: التصريحُ، لو قلت: «فلانٌ كريمٌ» كفى عن هذا كله، لكنَّ الكِنَايَة تُعتَبَرُ من بابِ تَجْمِيلِ اللَّفْظِ وتَسْوِيفِ النَّفْسِ لها، فإنَّكَ تَجِدُ الفَرْقَ بين قولك: «فلانٌ كثيرُ الرَّمَادِ» و«فلانٌ كريمٌ»، أيُّهما أشدُّ في تَهْيِيجِ النَّفْسِ؟ الأولُ بلا شك.

(٣) فإذا قيل: «فلانٌ سَمِينٌ رِخْوٌ» هذا يَخْفَى أن يُرادَ به أَنَّهُ عَبيٌّ بليدٌ، خَفِيٌّ جَدًّا، ولكنَّ القَرِينَةَ وسياقَ الكلامِ يدلُّ على هذا.

حَسَنًا، «فلانٌ طويلُ الرَّقَبَةِ»: كِنَايَة عن العَبَاوَة والبَلَادَة، ولهذا قال بعضُ البلاغيِّينَ في قول النَّبِيِّ ﷺ لِعَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ حينَ أَرادَ أن يَصومَ عَدِيًّا، وقرأ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، جَعَلَ عِقَالَيْنِ - والعِقَالُ: هو الحبلُ الذي تُشَدُّ به يَدُ الناقَةِ -، واحدٌ أسودٌ وواحدٌ أبيضٌ، وجَعَلَ يَأْكُلُ حتى بانَ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ، وهذا لا يكونُ إلا بعدَ ارتفاعٍ =

(*) هذا التَّقسِيمُ باعتبارِ الوسائِطِ (أي: اللوازم) والسِّياقِ.

(**) التلويح والتلميح - هنا - بمعنى واحد.

- وَإِنْ قَلَّتْ فِيهَا الْوَسَائِطُ أَوْ لَمْ تُكُنْ وَوَضَحَتْ؛ سُمِّيَتْ إِيمَاءً وَإِشَارَةً، نَحْوُ [الكامل]:

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ
كِنَايَةً عَنْ كَوْنِهِمْ أَمْجَادًا^(١).

وهناك نَوْعٌ مِنَ الْكِنَايَةِ يُعْتَمَدُ فِي فَهْمِهِ عَلَى السِّيَاقِ، يُسَمَّى تَعْرِيفًا؛ وَهُوَ إِمَالَةٌ الْكَلَامِ إِلَى عُرْضٍ، أَيْ: نَاحِيَةٍ، كَقَوْلِكَ لِشَخْصٍ يَضُرُّ النَّاسَ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعُهُمْ»^(٢).

* * *

= النهار، يعني بعد ارتفاع الإسفار، ثم أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ»^(*)، عُرْضُ الْوِسَادَةِ يَدُلُّ عَلَى طُولِ الرَّقْبَةِ، قَالُوا [أَي: الْبَلَغِيُّونَ]: «فَالرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ أَنَّهُ بَلِيدٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا طَالَتِ الرَّقْبَةُ بَعْدَ الرَّأْسِ عَنِ الْقَلْبِ، فَتَطْوُلُ الْمَسَافَةُ فَيَكُونُ بَلِيدًا».

لكن أَجْزَمُ جَزْمًا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يُرِدْهُ، وَلِهَذَا قَالَ: «إِنَّ وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ»: أَنْ يُوسَّعَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدَ، يَعْنِي: عُرْضُ الْأَقْفِ، إِذَا كَانَ هَذَا الَّذِي فَهَمَهُ، أَمَا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَرِيدُ أَنْ يُعَرِّضَ بِلَادَةَ الرَّجُلِ فَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، لَكِنْ هَكَذَا الْبَلَغِيُّونَ كُلُّ وَاحِدٍ يُؤْوَلُ النِّصْوَصَ لِمَا يَرِيدُ، وَلَا يَخَافَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنْ كَانَ طَوِيلَ الرَّقْبَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كُلُّ عَلَى ذِكَاةٍ وَفِطْنَةٍ.

(١) هَذَا الْبَيْتُ كِنَايَةٌ نِسْبَةً، مِثْلُ: «الْمَجْدُ بَيْنَ تَوْبِيهِ».

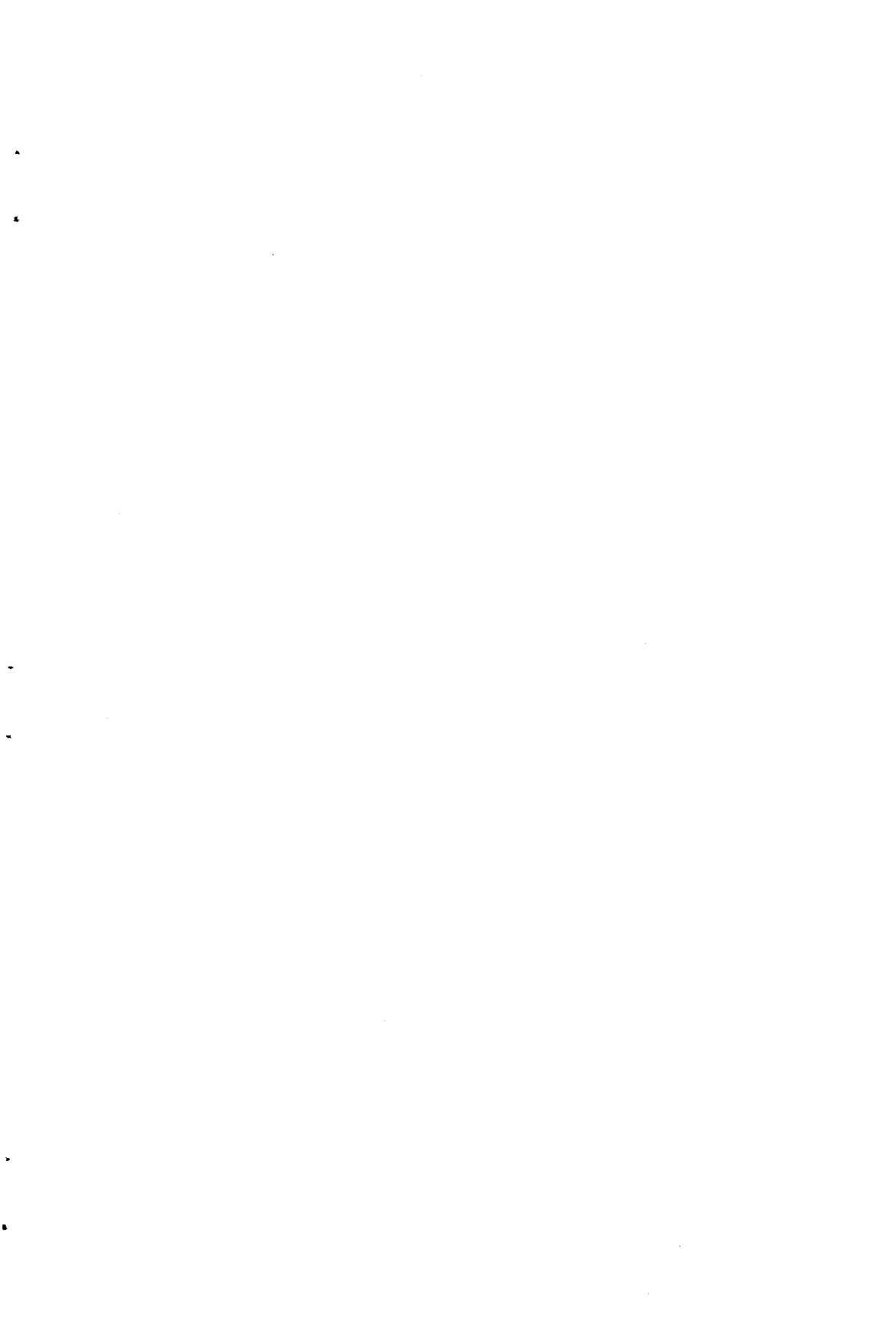
(٢) هَذَا التَّعْرِيفُ لَا يُصْرِّحُ، لَكِنْ يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ مَرْيَمَ حِينَ جَاءَتْ تَحْمِلُ عِيسَى ﷺ؛ قَالُوا لَهَا: ﴿يَتَّخِذَ هَذُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، يَرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: «إِنَّمَا بَغِيٌّ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ جَاءَهَا الْبِغَاءُ؟!»، أَوْهَا لَيْسَ امْرَأً سَوْءٍ، وَأُمُّهَا لَيْسَتْ بَغِيًّا!!»، هَذَا التَّعْرِيفُ يَقُولُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «إِنَّهُ =

= أشدُّ وُفْعاً من التصريح»، وجعلوا منه قوله تعالى عن ابْنِي آدَمَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، يُعَرِّضُ بِأَنَّ أَخَاهُ قَابِيلَ لَيْسَ مُتَّقِيًّا.

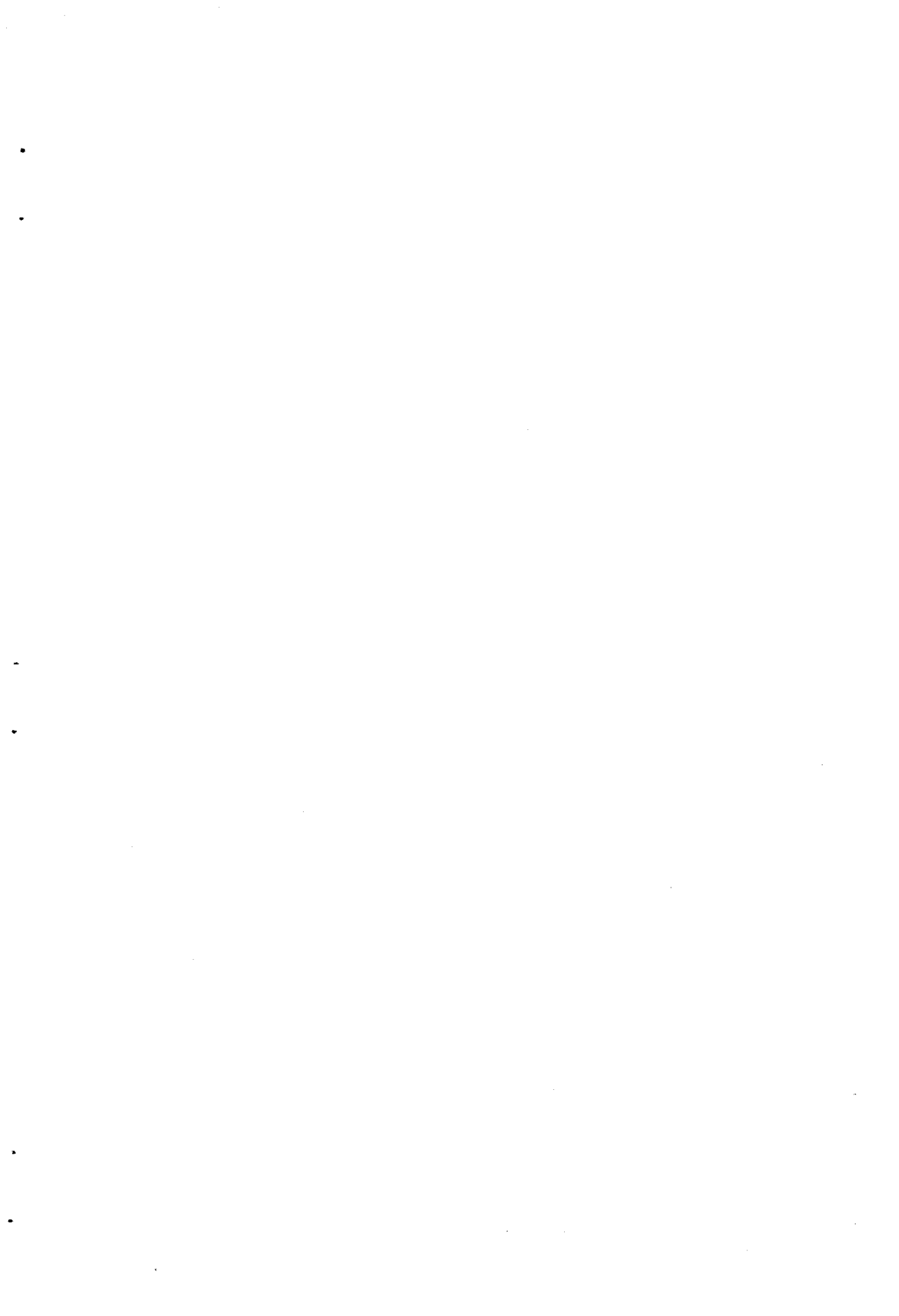
واختلَفَ العلماءُ في مسألةٍ وهي: هل يُحَدُّ الإنسانُ حَدَّ القَذْفِ إذا عَرَّضَ؟، بأن تَخَاصَمَ مع شخصٍ وقال: «الحمد لله، أنا لستُ أتتبع البغايا»، يقول عن نفسه لخصمه: «الحمد لله، أنا لا أتتبع البغايا»، فهل يُحَدُّ هذا القائلُ حَدَّ القَذْفِ؛ لأنَّ قوله هذا يَعَرِّضُ بِأَنَّ صاحِبَهُ يتتبع البغايا؟، فَمِنَ العلماءِ مَنْ قال: «لا يُحَدُّ؛ لأنَّه لم يُصْرِّحْ»، ومنهم مَنْ قال: «بل يُحَدُّ؛ لأنَّ التعريضَ أحياناً يكون أشدَّ من التصريح».

حَسَنًا، وهذا أيضاً يُخاطِبُ شخصاً قد آذَى الناسَ وَضَرَّهُم، فيقول له: «خيرُ الناسِ مَنْ ينفَعُهُم»، عندما تسمع هذا الكلامَ تقول: «هذا الكلامَ ليس فيه شيء»، لكن هو يُعَرِّضُ بِأَنَّ صاحِبَهُ لا ينفَعُ الناسَ.

انتهى - الحمد لله - عِلْمُ المعاني والبيان، بَقِيَ عِلْمُ البديع.



عِلْمُ الْبَدِيْعِ



عِلْمُ الْبَدِيعِ

الْبَدِيعُ: عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ وَجُوهٌ تَحْسِينِ الْكَلَامِ الْمُطَابِقِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ^(١).

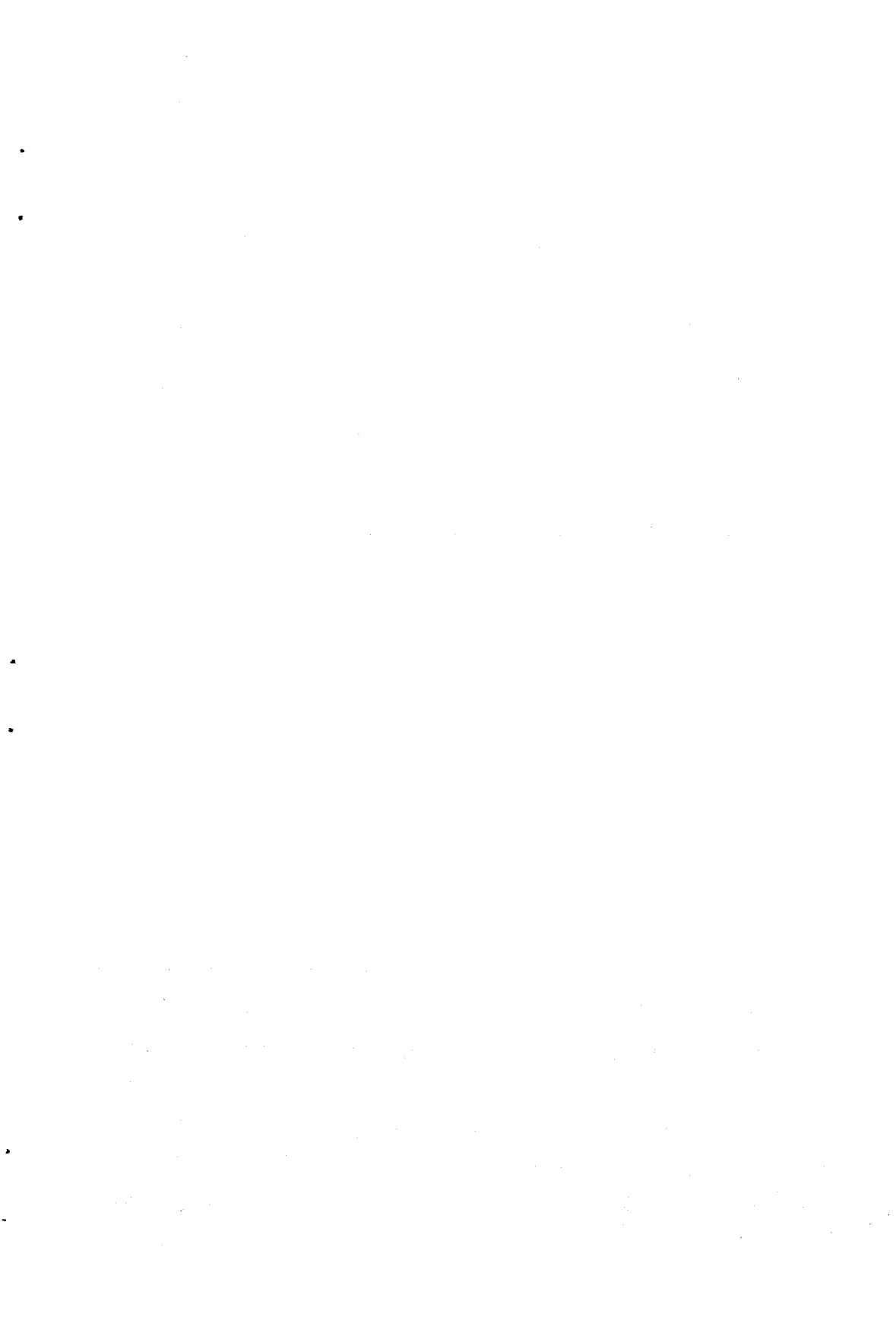
وهذه الوجوه:

- ما يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى تَحْسِينِ الْمَعْنَى يُسَمَّى بِالْمُحَسِّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ.
- وما يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ يُسَمَّى بِالْمُحَسِّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ.

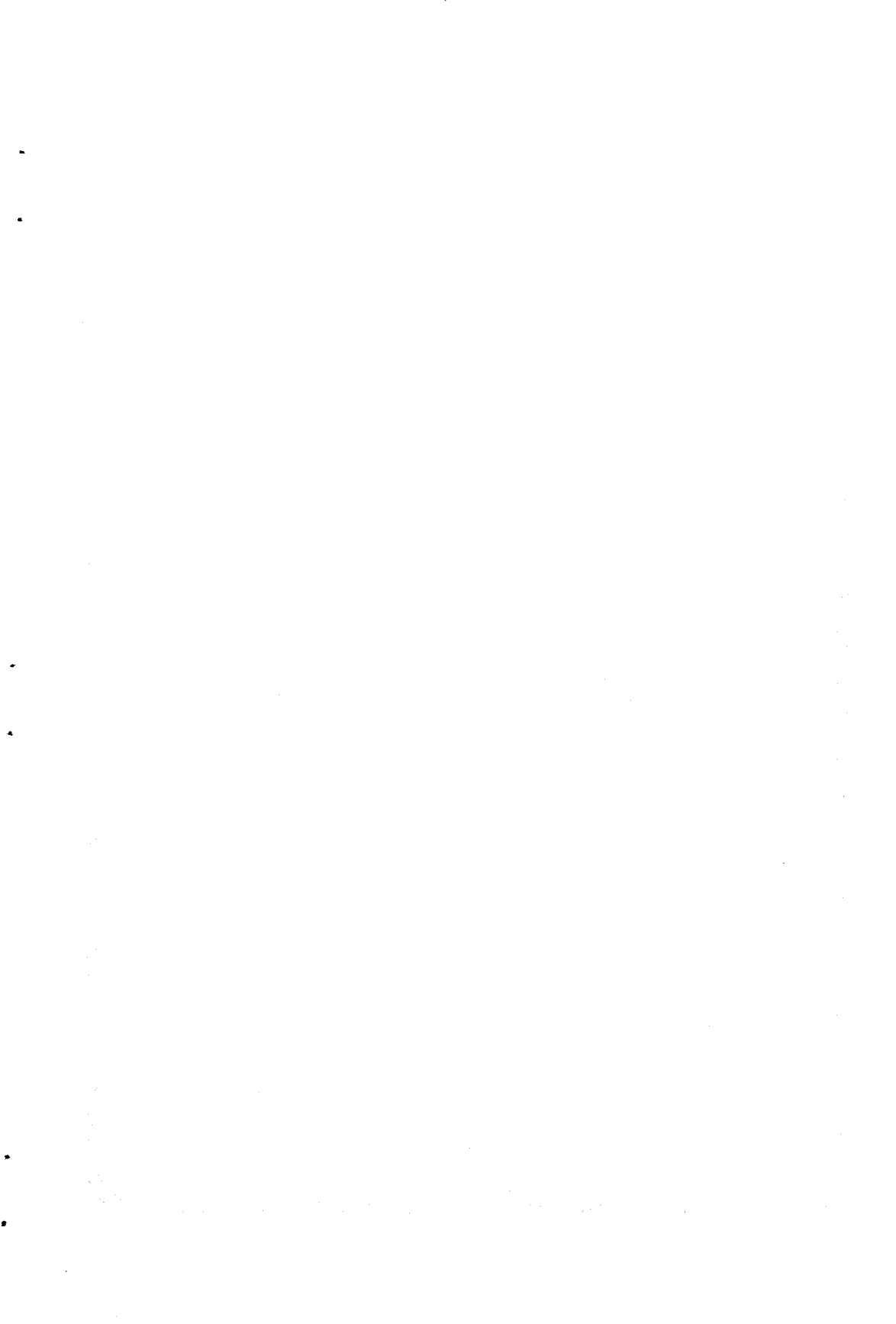
* * *

(١) ولذلك سُمِّيَ بَدِيعاً؛ لأنَّ أصلَ الإبداع: الإحسانُ، إحسانُ الشيءِ إبداعٌ له، فسُمِّيَ البديعُ، «فَعِيلٌ» بمعنى «مفعول» يعني: مُبَدَعٌ، فهو مُحَسِّنٌ، فعِلْمُ البديعِ هو تحسِينُ للألفاظِ.

بعد أن عَرَفْنَا عِلْمَ المعاني وَعِلْمَ البيانِ وهو يتعلَّقُ بالمعاني والألفاظِ؛ نعود الآن إلى عِلْمِ البديعِ، وهو أن تُبَدَعَ في التعبيرِ، ولذلك «عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ وَجُوهٌ تَحْسِينِ الْكَلَامِ الْمُطَابِقِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ»، ومعلومٌ أنَّ الْكَلَامَ لا يكون بليغاً إلا إذا كان مُطَابِقاً لِمُقْتَضَى الْحَالِ.



مُحَسَّنَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ



مُحَسِّنَاتُ مَعْنَوِيَّةٌ (*)

١- التورية: أن يُذكَرَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَانِ: قَرِيبٌ يَتَبَادَرُ فَهْمُهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَبَعِيدٌ هُوَ الْمُرَادُ بِالْإِفَادَةِ لِقَرِينَةٍ خَفِيَّةٍ، نَحْوُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعَلِّمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، أَرَادَ بِقَوْلِهِ ﴿جَرَحْتُم﴾ مَعْنَاهُ الْبَعِيدَ: وَهُوَ اِزْتِكَابُ الذُّنُوبِ. وَكقَوْلِهِ [المُجْتَثَّ]:

يَا سَيِّدًا حَازَ لُطْفًا لَهُ الْبَرَايَا عَبِيدُ
أَنْتَ الْحُسَيْنُ، وَلَكِنْ جَفَاكَ فِينَا يَزِيدُ
معنى «يزيد» القريب أنه: عَلَّمَ.

ومعناه البعيد المقصود أنه: فِعْلٌ مُضَارِعٌ مِنْ «زَادَ»^(١).

(١) الآية الكريمة ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعَلِّمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ قد يُنَازَعُ فِي كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ أَنَّ فِيهَا توريةً؛ لِأَنَّ الْجَرَاحَ بِمَعْنَى الْكَسْبِ لُغَةٌ عَرَبِيَّةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا توريةً، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]، يَعْنِي: الْكَوَاسِبَ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْبَيْتِ فَتَعْنَمُ، «أَنْتَ الْحُسَيْنُ»: ابْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، «وَلَكِنْ جَفَاكَ فِينَا يَزِيدُ» هَذِهِ لَهَا مَعْنَيَانِ:

١- يَحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ، وَالْحُرُوبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُسَيْنِ مَعْرُوفَةٌ.

٢- وَيَحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مِنْ «زَادَ».

إِذَا الْقَرِيبُ أَنَّهُ عَلَّمَ؛ لِأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ مَا وَقَعَ بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَبَيْنَ الْحُرُوبِ؛ يَقُولُ: نَعَمْ، الَّذِي جَفَا حُسَيْنًا هُوَ يَزِيدُ، لَكِنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ، أَي: أَنَّ جَفَاكَ يَزِيدُ فِينَا.

(*) لَمَّا كَانَتِ الْمُحَسِّنَاتُ اللَّفْظِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ كَثِيرَةً وَمُنْتَوَعَةً؛ اِكْتَفَى الْمُؤَلِّفُونَ بِذِكْرِ أَشْهَرِهَا، فَمَجِيءُ تَبْوِيهِمُ لَهَا عَلَى صَوْرَةِ التَّنْكِيرِ فِيهِ إِشَارَةٌ مِنْهُمْ إِلَى مَعْنَى التَّبَعِيضِ.

٢- الطَّباق (*) : هو الجَمْعُ بين مَعْنِيَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾^(١) [الكهف: ١٨]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) [الرُّوم: ٦-٧].

٣- وَمِنَ الطَّبَاقِ الْمُقَابَلَةُ: وهي أن يُؤْتَى بِمَعْنِيَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، ثُمَّ يُؤْتَى بِمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرْتِيبِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(٣) [التوبة: ٨٢].

٤- مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ: هي جَمْعُ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا بِالتَّضَادِ، كَقَوْلِهِ [الكامل]:
وَالطَّلُّ فِي سِلْكِ الْغُصُونِ كَلُّوْلُو رَطْبٍ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ

- (١) يعني مثلاً من الجائز أن تكون العبارة: «وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَلَيْسُوا أَيْقَاظًا»، أليس كذلك؟
لكنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ لأنَّ ذِكْرَ الشَّيْءِ وَمُقَابِلَهُ يُعْطِي الْكَلَامَ حُسْنًا.
(٢) الشاهد في قوله ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) يَعْلَمُونَ، وأفادنا المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بِذِكْرِ المَثَالَيْنِ أَنَّ هُنَاكَ تَقَابُلًا بَيْنَ المَعْنِيَيْنِ، سِوَاءَ كَانِ بِمَدْلُولِ اللَّفْظِ، أَوْ بِالِإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ.
- مدلول اللفظ: ﴿أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ كُلهُ إِيجَابِيٌّ لَكِنْ مُتَقَابِلٌ فِي المَعْنَى.
- ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) يَعْلَمُونَ هَذَا تَقَابُلٌ فِي النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.
(٣) هذه أبلغ؛ لأنَّ هَذَا يُؤْتَى بِمَعْنِيَيْنِ فَأَكْثَرَ، وَالأوَّل- الطَّبَاقِ المَخْض- أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنِيَيْنِ فَقَطْ، هُنَا البِكَاءُ ضِدَّ الضَّحْكِ، ﴿كَثِيرًا﴾ ضِدَّ ﴿قَلِيلًا﴾.
حَسَنًا، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾^(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾^(٦) فَسَنَسِرُهُ لِلْعَمْرَى﴾^(٧) وَأَمَّا مَنْ
بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾^(٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾^(٩) فَسَنَسِرُهُ لِلْعَمْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠]؛ طَبَاقٌ أَمْ مُقَابَلَةٌ؟
مُقَابَلَةٌ؛ لِأَنَّ المَعَانِيَ مَتَعَدِّدَةٌ، أَوْتِي بِهَا ثُمَّ ذَكَرَ مَا يُقَابِلُهَا.

(*) الطَّبَاقُ نَوْعَانِ:

- ١- طَبَاقُ الإِيْجَابِ: وهو ما اتفق فيه الضَّدَّانِ إِيْجَابًا وَسَلْبًا.
٢- طَبَاقُ السَّلْبِ: وهو ما اختلف فيه الضَّدَّانِ إِيْجَابًا وَسَلْبًا.

والطَيْرُ يَقْرَأُ، والغديرُ صَحِيفَةٌ والريحُ تَكْتُبُ، والغمامُ يَنْقُطُ^(١)

٥- الاستِخْدامُ: هو ذِكْرُ اللَّفْظِ بِمَعْنَى وَإِعَادَةُ ضَمِيرٍ عَلَيْهِ بِمَعْنَى آخَرَ، أو إِعَادَةُ ضَمِيرَيْنِ تُرِيدُ بَثَانِيهِمَا غَيْرَ مَا أَرَدْتَهُ بِأَوْلِيهِمَا.

فَالأَوَّلُ: نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أَرَادَ بِالشَّهْرِ الْهِلَالَ، وَبِضَمِيرِهِ الزَّمَانَ الْمَعْلُومَ^(٢).

والثاني: كقوله [الكامل]:

فَسَقَى الْغَضَى وَالسَّاكِنِيهِ، وَإِنْ هُمُو شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي

الغَضَى: شَجَرٌ بِالْبَادِيَةِ، وَضَمِيرُ «سَّاكِنِيهِ» يَعُودُ إِلَيْهِ بِمَعْنَى مَكَانِهِ، وَضَمِيرُ «شَبُوهُ» يَعُودُ إِلَيْهِ بِمَعْنَى نَارِهِ^(٣).

(١) الطير يقرأ، الغدير صحيفة، الريح يكتب ضد يقرأ، الغمام ينقط، تظنون أنه ينقط النقاط؟ المراد ينقط المكتوب^(*).

(٢) هل الشهر باعتباره زماناً يشاهد؟ لا يشاهد؛ [لأنه] زَمَنٌ!، المراد بالشهر: الهلال، ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: لِيَصُمْ الْهِلَالَ أَوْ لِيَصُمْ الزَّمَنَ؟ لِيَصُمْ الزَّمَنَ، فهنا عاد الضمير على غير المرجع بحسب الظاهر.

(٣) الغَضَى: شجر يُقَطَعُ وَيَبْسُ فَيَكُونُ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ وَقُوداً، والشعراء يضربون به الأمثال.

وهنا يقول: «فَسَقَى الْغَضَى وَالسَّاكِنِيهِ»، الساكن [أهو] الغَضَى؟ الجواب: لا؛ لأنَّ الْغَضَى شَجَرٌ، لَا يُسْكَنُ، إِنَّمَا الَّذِي يُسْكَنُ هُوَ مَحَلُّهُ أَوْ مَكَانُهُ.

«وَإِنْ هُمُو شَبُوهُ» الضمير في «شَبُوهُ» يعود إلى الْغَضَى، ولكن باعتبار آخَرَ، أي: شَبُوهُ نَارِهِ، يُقَالُ: شَبَّ النَّارَ، أي: أَوْقَدَهَا، هَذَا يُسْمَوْنَ «الاستخدام»؛ لِأَنَّكَ =

(*) وهذا ما يُسَمَّى بِـ «إِيهَامِ التَّنَاسُبِ».

٦- الجَمْع: هو أن يُجْمَعَ بين مُتَعَدِّدٍ في حُكْمٍ وَاحِدٍ، كقوله [الرَّجَز]:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيِّ مَفْسَدَةٍ^(١)

٧- التَّفْرِيق: هو أن يُفَرَّقَ بين شَيْئَيْنِ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ، كقوله [الخفيف]:

مَا نَوَالُ الغَمَامِ وَقْتَ رَبِيعِ كَنَوَالِ الأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ

فَنَوَالِ الأَمِيرِ بَدْرَةَ عَيْنِ وَنَوَالِ الغَمَامِ قَطْرَةَ مَاءٍ^(٢)

= استخدمت الضمير في غير ما يرجع إليه عادة، فكأنك جعلته خادماً تستخدمه.

حَسَنًا، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ [المؤمنون: ١٢-١٣]، مَنْ الإنسان هنا؟ آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ يعود على الإنسان، لكن ليس على الإنسان الذي هو الأول، [إنما القصد] أي: بنيه، فهذا أيضاً فيه استخدام، والضابط ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

(١) نَعَم، إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالجِدَّةَ- ثلاثة أشياء- كلها داءٌ، إلا إذا وَقَفَ الإنسانُ واستعملها في نافع.

- الفراع: عدم العمل، والإنسان إذا لم يكن له عَمَلٌ ذَهَبَ ذَهَبُهُ كُلُّ مَذْهَبٍ، وصار يُحْبَطُ حَبْطُ عِشْوَاءٍ.

- الجِدَّة: الغنى؛ لأنَّ الْفَقْرَ يُلْجِئُ الإنسانَ إلى العمل، لكن إذا كان غَنِيًّا، وكان شابًا، وكان فارغًا؛ هذا الفساد، ولهذا نَجِدُ أَنَّ أَكْثَرَ المُكْتَدِّبِينَ للرُّسُلِ هم الأَغْنِيَاءُ وَالكِبَرَاءُ. وَالغَرَضُ من هذا البيت: تحذير الشاب الذي أغناه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَفْرَعَهُ عَمَّا يُلْهِيهِ أَنْ يُضَيِّعَ هذه الصفاتِ الثلاثِ في غير فائدة.

(٢) هذا من المبالغات الكاذبة، يعني عطاء الأمير عنده أفضل من المطر النازل من السماء الذي سَمَّاهُ اللهُ رِزْقًا يَنْتَفَعُ به الأدميُّ والبهاائم والأرض، لكن تعلمون أنه يقال: «أَعَذَّبُ الشَّعْرَ أَكْذِبُهُ» (*).

(*) قائلها: المَلِكُ حُجْرُ بْنُ عَمْرِو الكِنْدِيُّ لابنه امرئ القيس، والرواية كما في «ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ٧٥/٤»: «يا بُنَيَّ! إِنَّ أَحْسَنَ الشَّعْرِ أَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْسُنُ الكَذِبُ بِالْمُلُوكِ».

٨- التّقسيم : هو :

أ- إمّا استيفاء أقسام الشيء ، نحو قوله [الطويل]:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِ عَمٍ^(١)

ب- وإمّا ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ وَإِرْجَاعُ مَا لِكُلِّ إِلَيْهِ عَلَى التَّعْيِينِ ، كقوله [البيسط]:

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَمِيمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانَ: عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ

هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ^(٢)

ج- وإمّا ذِكْرُ أَحْوَالِ الشَّيْءِ مُضَافاً إِلَى كُلِّ مِنْهَا مَا يَلِيقُ بِهِ ، كقوله [الطويل]:

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا أَلْتَمُوا مُرْدٌ

ثِقَالٌ إِذَا لَاقُوا، خِفَافٌ إِذَا دُعُوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا، قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا^(٣)

(١) قَسَمَ الْأَشْيَاءَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: يَوْمٍ حَاضِرٍ، وَأَمْسٍ مَاضٍ، وَعَدِيدٍ لَا تَدْرِي هَلْ تَدْرِكُهُ أَوْ لَا.

(٢) يَقُولُ: «وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَمِيمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانَ» وَيُنْتَهَمَا بِقَوْلِهِ: «عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ»، الْعَيْرُ:

الْحِمَارُ، وَالْوَتْدُ: الْوَتْدُ بِالْأَرْضِ.

- الْوَتْدُ بِالْأَرْضِ يُرْبَطُ بِهِ الْحَصَانُ، وَيُرْبَطُ بِهِ الْحِمَارُ، وَيُرْبَطُ بِهِ الْإِنْسَانُ...، وَهُوَ لَا

يَتَأَوُّهُ وَلَا يَتَوَجَّعُ وَلَا يَحْتَجُّ، دَلِيلٌ.

- الْحِمَارُ كُلُّ يَرْكَبِهِ، وَهُوَ أَيْضاً «مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ»، أَي: بِحَبْلِهِ.

«وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ»، الْوَتْدُ يَأْتِيهِ الصَّبِيُّ بِالْحَصَاةِ وَيَضْرِبُهُ، يَتَكَسَّرُ وَلَا أَحَدٌ يَرْتِي

لَهُ، وَذَاكَ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ وَلَا أَحَدٌ يَرْتِي لَهُ.

المهم أن هذا فيه تقسيم، ثم أعاد مع التقسيم على كل واحدٍ بوضفه اللاتقي به، ولهذا

قال: «وإمّا ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ وَإِرْجَاعُ مَا لِكُلِّ إِلَيْهِ عَلَى التَّعْيِينِ»؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ «هَذَا عَلَى

الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ» لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْوَتْدُ أَبْدأً.

(٣) «سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا» يَعْنِي: الرَّمَاحَ.

٩- تأكيد المدح بما يشبه الذم، ضربان:

أحدهما: أن يُسْتَتَى مِنْ صِفَةٍ ذَمِّ مَنَفِيَّةٍ صِفَةً مَدْحٍ عَلَى تَقْدِيرِ دُخُولِهَا فِيهَا، كَقَوْلِهِ [الطويل]:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ^(١)

= «ومشايخ كأنهم من طول ما التأموا مُزْدُ» يعني: ما لَبَسُوا لَامَةَ الْحَرْبِ، مُزْدٌ لِأَنَّ شَعْرَ اللَّحْيَةِ حَتَّى وَزَالَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَا التَّمُّوا» مِنَ اللَّثَامِ: وَهُوَ تَغْطِيَةٌ بَعْضُ الْوَجْهِ: الْأَنْفِ وَالْفَمِ، لَكِنِ الْأَوَّلُ أَبْلَغُ.

«يُقَالُ إِذَا لَاقُوا»: لَا يَتَزَحَّضُونَ وَلَا يَقْرُونَ إِذَا لَاقُوا الْعَدُوَّ.

«خِيفًا إِذَا دُعُوا»: إِذَا اسْتَنْفَرُوا لَا يَكُونُونَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، بَلْ هُمْ خِيفَاءُ إِذَا دُعُوا.

«كثيْرٌ إِذَا شَدُّوا، قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا»: إِذَا شَدُّوا الْحَرْبَ فَهَمَّ كَثِيرٌ لَشِجَاعَتِهِمْ، فَالوَاحِدُ مِنْهُمْ يَقْتُلُ عَشْرَةً أَوْ عَشْرِينَ أَوْ مِئَةً، وَلَكِنَّهُمْ قَلِيلُونَ إِذَا عَدَدْتَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ شُجْعَانٌ، وَشِجَاعَتُهُمْ تَكْفِي عَنْ كَثْرَةِ الْعَدَدِ.

فَأَنْتَ تَقْرَأُ الْآنَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ عَادَ لَهُ مَا يُنَاسِبُهُ.

(١) إِذَا قَالَ: «وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ» مَاذَا تَتَوَقَّعُ؟ ذَمٌّ أَوْ مَدْحٌ؟ ذَمٌّ، لَكِنِ قَالَ: «غَيْرَ أَنَّ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ»، جَاءَتْ صِفَةٌ مَدْحٍ، وَ«الْفُلُوقُ» يَعْنِي: الْمَتَكَسِّرَةَ، «مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ»: كِتَابِ الرُّؤُوسِ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الرَّأْسِ.

هَلْ هَذَا عَيْبٌ؟ لَا، بَلْ هَذَا مِنْ بَابِ تَأْكِيدِ الْمَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ، لَوْ قَالَ هَذَا النَّاطِمُ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ فِي سِيُوفِهِمْ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ» هَذَا مَلْحٌ، لَا شَكَّ، لَكِنَّ قَوْلَهُ «وَلَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا كَذَا» أَبْلَغُ (*).

(*) ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ لَهُ أَنَّ ابْنَ جَبِيلٍ مَنَّعَ الزَّكَاةَ فَقَالَ ﷺ: «مَا يَنْقِمُ ابْنَ جَبِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ»، ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا تَأْكِيدُ الذَّمِّ بِمَا يُشْبِهُ الْمَدْحَ؛ لِأَنَّ هَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ مَا دَامَ أَغْنَاهُ اللَّهُ أَنْ يُؤَدِّيَ زَكَاتَهُ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهَا» اهـ.
قلت: الحديث رواه البخاري (٤٩/٢٤)، ومسلم (١٢/رقم: ١١).

ثانيهما: أن يُثَبَّتَ لشيءٍ صِفَةٌ مَدْحٍ، وَيُؤْتَى بعدها بأداة استثناءٍ تليها صِفَةٌ مَدْحٍ أُخْرَى، كقوله [الطويل]:

فَتَى كَمَلْتُ أوصافه غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي عَلَى المَالِ بَاقِيًا^(١)

١٠- حُسْنُ التعليلِ: هو أن يُدْعَى لِوَصْفِ عِلَّةٍ غَيْرِ حَقِيقَةٍ فِيهَا غَرَابَةٌ، كقوله [البسيط]:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الجَوَازِ خِدْمَتُهُ لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدًا مُنْتَطِقًا^(٢)

١١- اِثْتِلافُ اللَّفْظِ مع المعنى: هو أن تكونَ الألفاظُ مُوافِقَةً للمعاني،

(١) هذا قريب من الأول من حيث المعنى، يُثَبَّتُ أَوَّلُ شيءٍ صِفَةٌ مَدْحٍ، ويأتي بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى، مثاله: «فتى كملت أوصافه غير أنه» تتوقعون صفة ذم، لكنه أتى بصفة مدح: «جوادٌ فما يُبْقِي عَلَى المَالِ بَاقِيًا».

وتقول مثلاً: «فتى كثيرُ العطاءِ غيرَ أَنَّهُ شجاعٌ» هذا تأكيد المدح بما يُشبهه الذم؛ لأنَّه يتوقع المخاطبُ إذا قلت: «فلانٌ كثيرُ العطاءِ غيرَ أَنَّهُ» يتوقع «فيه - مثلاً- حُمَقٌ»، «فيه كذا وكذا»، يتوقع صفة ذم، لكن تأتي صفة مدح فيكون هذا من باب تأكيد المدح بما يُشبهه الذم (*).

(٢) الجَوَازُ: نجومٌ معروفةٌ، هذا يقول: «لولا أَنَّ الجَوَازَ تريد أن تَخْدِمَهُ ما رأيتَ عليها هذا العِقْدَ: عِقْدُ ذاتِ النَّطاقِ»، هل هذا صحيح أو لا؟ غير صحيح، لا شك، الجَوَازُ خَلَقَهَا اللَّهُ عَلَى هذه الصفة، لكنه ادَّعَى أَنَّها صارت على هذا الوجه من أجل خدمة ممدوحه، هذا يُسْمُونَهُ حُسْنَ التعليلِ، والحقيقة أَنَّهُ كَذِبُ التعليلِ، مَنْ قال هذا؟! لكن كما قلتُ لكم: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

(*) ومن المحسنات المعنوية: «تأكيدُ الذمِّ بما يُشبه المدح»، وهو نوعان: أحدهما: أن يُسْتَتَى من صفة مدح منفية صفة ذم على تقدير دخولها فيها، نحو: لا خير فيه إلا أَنَّهُ بخيل. ثانيهما: أن يُثَبَّتَ لشيءٍ صِفَةٌ ذَمٍّ وَيُؤْتَى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى، نحو: القائد خائفٌ إلا أَنَّهُ ضعيف.

فَتُخْتَارُ الألفاظُ الجَزَلَةُ، والعِبَارَاتُ الشَدِيدَةُ؛ لِلْفَخْرِ والحِمَاسَةِ، والكَلِمَاتُ الرَقِيقَةُ، والعِبَارَاتُ اللَّيِّنَةُ؛ لِلغَزَلِ ونَحْوِهِ^(١)، كقولهِ [الطويل]:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضْرِيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا
إِذَا مَا أَعْرَزْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا^(٢)

وقولِهِ [الرَّمَل]:

لَمْ يَطْلُنْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ وَنَفَى عَنِّي الكَرَى طَيْفٌ أَلَمٌ^(٣)

(١) هذا من المحسنات: أن يكون اللفظ مطابقاً للمعنى، فحينما تتكلم عن الحماسة، وعن الشجاعة؛ [فهل] تأتي بوصف النساء؟ لا، تأتي بوصف الحماسة والحرب والإقدام والكرّ والفِرّ، وعندما تريد أن تتحدث حديث المُتَغَزَلِ تأتي بالألفاظ المناسبة، هذا أيضاً لا شك أنه من البديع ومن المحسنات.

(٢) هذا أيضاً حماس، يقول: «إِنَّ غَضَبَنَا قَوِيَّةٌ، إِذَا غَضِبْنَا الغَضِبَةَ المُضْرِيَةَ- وهم من أشرف قبائل العرب- هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا»، وهذا جداً عظيم، وكذلك أيضاً: إِذَا مَا أَعْرَزْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا أي: دعا لنا، يعني: حتى الخطباء إذا أَعْرَزْنَاهُمْ ذُرَى المنبر فإنهم يصدعون لنا، يُصَلُّونَ وَيُسَلِّمُونَ.

(٣) هذا الرجل قام يُفَكِّرُ في محبوبته، والليل لم يَطْلُنْ عليه، لماذا؟ لأنَّ الإنسانَ إِذَا فَكَّرَ فِيمَا يُحِبُّ مَضَى عليه الليلُ بسرعة حتى لو لم يَنَمْ كُلَّ الليلِ، فهو يقول: «ليلي لم يَطْلُنْ، ولكنِّي ما نِمْتُ»، ولماذا لم يَنَمْ؟ نفَى عنه الكَرَى- أي: النوم- طَيْفٌ أَلَمٌ. إِذَا قَارَنْتَ هذا البيتَ بالبيتين قبله عَرَفْتَ الفرقَ بين هذا وهذا، ويقول الشاعر [الخفيف]:

أَنَا كَالْمَاءِ إِنْ رَضِيْتُ صَفَاءً وَإِذَا مَا غَضِبْتُ كُنْتُ لَهِيبًا

الشرط الأول إذا قرأته تطمئن نفسك وترتاح، ماء صافٍ، إذا جاء الثاني أعود بالله: «إِذَا مَا غَضِبْتُ كُنْتُ لَهِيبًا»: أُحْرِقُ، فتجدُ الفرقَ بين هذا وهذا، وعلى كلِّ حالٍ هذا يمدح نفسه بأنَّه في حال الرضا يكون كالماء الصافي، وفي حال الغضب يكون كالنار.

١٢- أسلوب الحكيم: وهو تلقى مخاطبٍ بغير ما يترقبه، أو السائل بغير ما يطلبه؛ تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد^(١).

- فالأول: يكون بحمل الكلام على خلاف مراد قائله، كقول القبعثرى للحجاج- وقد توعدّه بقوله: «لأحملنك على الأذهم»-: «مثل الأمير يخيل على الأذهم والأشهب».

فقال له الحجاج: «أرذت الحديد».

فقال القبعثرى: «لأن يكون حديداً خيراً من أن يكون بليداً».

أراد الحجاج بالأذهم: القيد، وبالحديد: المعدين المخصوص، وحملهما القبعثرى على الفرس الأذهم الذي ليس بليداً^(٢).

(١) يعني الإنسان يتكلم ويحمل كلامه على معنى لا يريده، أو يجاب السائل بغير ما يطلبه؛ تنبيهاً له على أن الأولى أن يسأل عن هذا، وله أمثلة.

(٢) هذا عدول باللفظ عن معناه المراد، لكن مثل هذا يُعجب الحجاج وأمثاله، وربما يصفح عنه، يقول له: «لأحملنك على الأذهم»، القبعثرى يعرف ما هو الأذهم، يعرف أنه حديد، ويعرف أن الحجاج- وهو يتوعدّه- لا يمكن أن يحمله على الخيل، قال: «لأن يكون حديداً خيراً من أن يكون بليداً»، الحديد تكون عنده قوة في الجزى والكر والفر، والبليد بالعكس، لكن أراد الحجاج بالأذهم القيد، وبالحديد المعدين المخصوص، وحملهما القبعثرى على الفرس الأذهم الذي ليس بليداً.

إذا أسلوب الحكيم هنا في ماذا؟ حيث نقل مراد المتكلم إلى مراده هو، فالتصرف من المخاطب، وهذه تقع كثيراً حتى في الكلام الدارج عند الناس، تجده يحمل كلامه على غير ما أراد؛ إما من باب الملاطفة أو لغير ذلك من الأسباب.

- والثاني: يكون بتنزيل السؤال منزلة سؤال آخر مناسب لحالة المسألة^(*)، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجُ﴾ [البقرة: ١٨٩]، سأل بعض الصحابة النبي ﷺ: «ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يتزايد حتى يصير بديراً، ثم يتناقص حتى يعود كما بدأ؟»^(**)، فجاء الجواب عن الحكمة المترتبة على ذلك؛ لأنها أهم للسائل، فنزل سؤالهم عن سبب الاختلاف منزلة السؤال عن حكمته^(١).

* * *

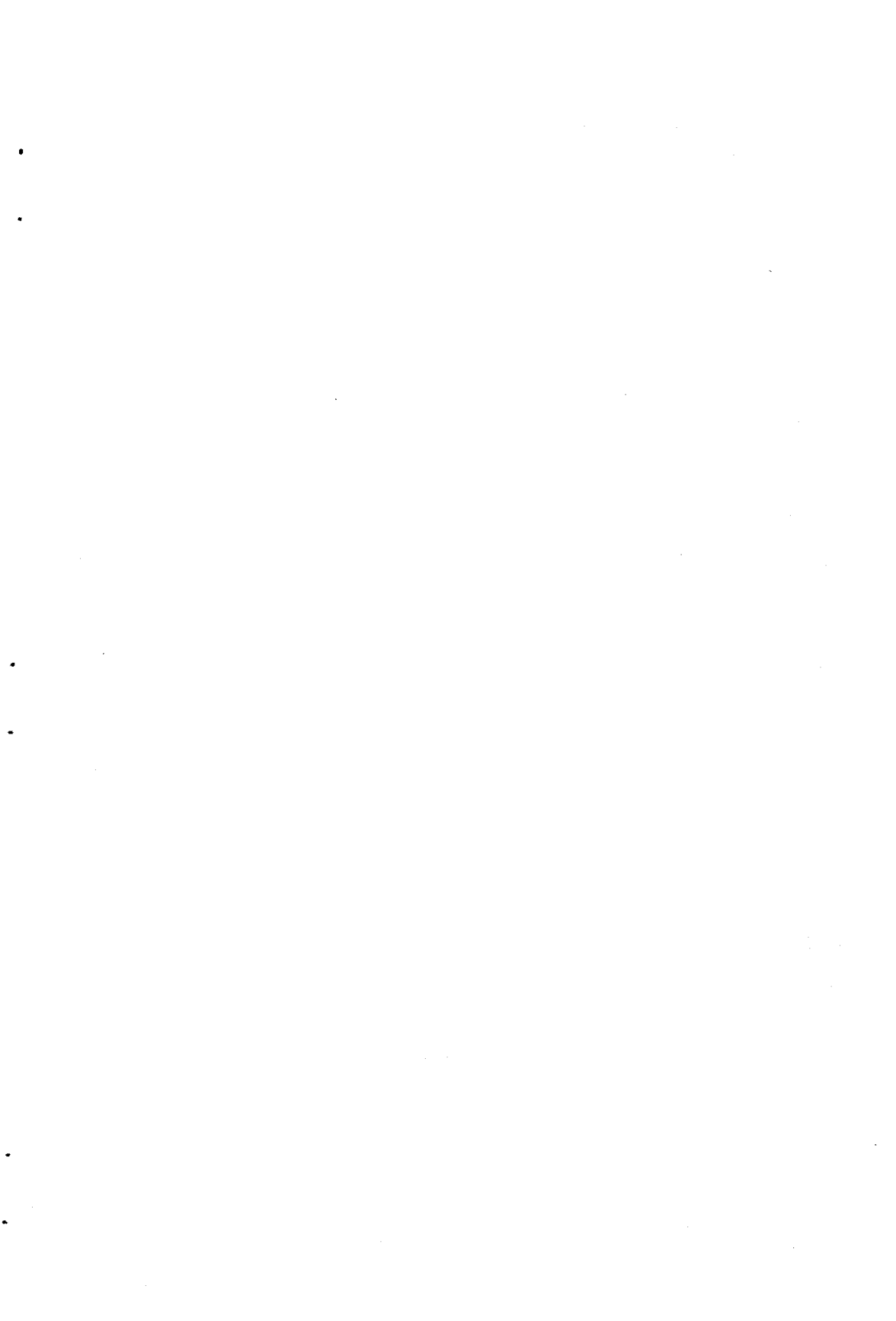
(١) معناه: أن يصرف السائل عما سأل ويجاب بغير ما سأل؛ تنبيهاً له على أنه ينبغي أن يسأل عن هذا.

القصّة التي ذكر المؤلف غير صحيحة، الصحابة سألوا الرسول ﷺ عن الأهلة عن الحكمة فيها، لا عن مسألة فلكية، فقال الله عز وجل: ﴿هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجُ﴾. لكن هنا آية أخرى يمثل بها وهي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ولم يقل: «أنفقوا كذا أو كذا أو كذا»، بين وجه ما يُنفق عليه إشارة إلى أن الأهم محل الإنفاق لا قدر الإنفاق وأن يكون في هؤلاء: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ...﴾.

(*) أي: بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله.

(**) انظر: تفسير الطبري (٢/١٩١)، ومسنَد ابن أبي حاتم (١٧٠٧).

مُحَسَّنَاتُ لَفْظِيَّةٍ



مُحَسَّنَاتُ لَفْظِيَّةٍ (١)

٤٣- الجناس: هو تشابه اللَّفْظَيْنِ فِي النُّطْقِ لَا فِي الْمَعْنَى، وَيَكُونُ تَامًا وَغَيْرَ تَامٍ.

- فالتام: ما اتَّفَقَتْ حُرُوفُهُ فِي الْهَيْئَةِ وَالنُّوعِ وَالْعَدَدِ وَالتَّرْتِيبِ (٢)، نحو [البسيط]:

لَمْ نَلْقَ غَيْرَكَ إِنْسَانًا يَلَاذُ بِهِ فَلَا بَرِيحَتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانًا (٣)
ونحو [السريع]:

فَدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ (٤)

(١) لما انتهى المؤلف من المحسنات المعنوية ذكر المحسنات اللفظية التي تعود إلى اللفظ فقط.

(٢) أربعة أشياء:

١- الهيئة: يعني الحركات: فتحة، ضمة، كسرة، سكون.

٢- النوع: باء، تاء، جيم، وهكذا...

٣- العدد: أربعة وأربعة مثلاً.

٤- الترتيب.

هذا يُسَمَّى جِنَاسًا تَامًا.

(٣) الشاهد قوله: «إِنْسَانًا يَلَاذُ بِهِ»، المراد به: «البَشَرُ»، «لعين الدهر إنساناً» المراد به: إنسان العين؛ لأنَّ إنسانَ العينِ هو الذي يكون فيه البصر.

(٤) «دار» و«دار» مُتَّفَقَةٌ فِي الْهَيْئَةِ وَالنُّوعِ وَالْعَدَدِ وَالتَّرْتِيبِ، وَالْمَعْنَى مُخْتَلِفٌ، «دار» الأولى:

فعل أمر، و«دار» الثانية: اسم.

- وغيرُ تامٍّ، نحو [الطويل]:

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَاصِ عَوَاصِمِ تَصُولُ بِأَسْيَافِ قَوَاضِ قَوَاضِبِ^(١)

١٤- السَّجْعُ: هُوَ تَوَافُقُ الْفَاصِلَتَيْنِ نَثْرًا^(٢) فِي الْحَرْفِ الْآخِرِ.

- نحو: «الإنسانُ بآدابه، لا بزِيهٍ وِثايه».

- ونحو: «يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ

وَعَظِهِ»^(٣).

= «أَرَضِيهِمْ» و«أَرَضِيَهُمْ» مُتَّفِقَةٌ فِي الْحُرُوفِ عَدَدًا وَتَرْتِيبًا وَهَيْئَةً وَنَوْعًا، مُخْتَلِفَةٌ فِي الْمَعْنَى، «أَرَضِيَهُمْ» الْأُولَى: فَعْلٌ أَمْرٌ مِنْ «رَضِي» ، و«فِي أَرْضِهِمْ»: اسْمٌ.

(١) الشاهد قوله: «عواص عواصم»، هذا جناس غير تام؛ لأنَّ الثانيةَ أزيدُ من الأولى بحرف، و«قواض قواضب»؛ الثانية زائدة عن الأولى بحرف.

حَسَنًا، قَوْلُ الشَّاعِرِ^(*) [الطويل]:

وَسَمِيئَتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلٌ

«يحيى ليحيا»: تام.

(٢) قوله «نثرًا» احترازًا من الشعر، مع أنَّ الشَّعْرَ يَكُونُ فِيهِ أَيْضًا السَّجْعُ^(**)، لَكِنَّ الْغَالِبَ أَنَّ السَّجْعَ يَكُونُ فِي النَّثْرِ.

(٣) السَّجْعُ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَفِي كَلَامِ الْعُلَمَاءِ، وَمِنْ أَقْدَرِ مَنْ قَرَأَتْ كِتَابَهُ عَلَى السَّجْعِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «التَّبَصُّرَةِ»، يَأْتِي بِسَّجْعٍ عَجِيبٍ يَأْخُذُ بِاللُّبِّ، وَتَشْعُرُ بِأَنَّ الرَّجُلَ لَا يَتَكَلَّفُ، وَيُوجَدُ الْآنَ مَعْنَا مَنْ يَكُونُ كَلَامُهُ كُلُّهُ سَجْعًا، وَيَتَكَلَّمُ عَادٍ، يَسْهُلُ عَلَيْهِ السَّجْعُ، فَهَلِ السَّجْعُ مَحْمُودٌ أَوْ مَذْمُومٌ؟ =

(*) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُنَاسَةَ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ، قَالَ فِي رِثَاءِ ابْنِهِ يَحْيَى.

(**) كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ [الطويل]:

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي، وَأَثَرَتْ بِهِ يَدِي وَفَاضَ بِهِ قَمْدِي، وَأَوْرَى بِهِ رُنْدِي

١٥- الاقتباس : هو أن يُضْمَنَ الكلامُ شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه

نقول :

- إذا كان غير متكلف وجاءت به الطبيعة هكذا فإنه محمود؛ لأنه يَنمُقُ الكلامَ وَيُحَسِّنُهُ وَيُطْرِبُ الأَسْمَاعَ.

- وأما إذا كان متكلفاً فإنه لا شك أنه مذموم، ولهذا تَجِدُ السَّنَجَ المتكلفَ يَخْضَلُ فيه غموضٌ في المعنى؛ لأنَّ المتكلمَ يُحاوِلُ أن يأتي بالكلمات المتناسِبة ولكن مع مَشَقَّةٍ.

- أما إذا أُريدَ به الباطلُ فهذا واضحٌ أنه - سواء كان سنجعاً أو غير سنجع - أنه مذموم بلا شك.

فقول الرسول ﷺ: «قضاء الله أحقُّ، وشَرْطُ الله أوثقُ، وإنما الولاءُ لِمَن أَعْتَقَ» (*); هذا سنجعٌ بلا شك، لكنّه محمود؛ لأنه غير متكلفٌ جاءت به السليقة هكذا، فلا يكون مذموماً.

وكذلك يُوجد في بعض الخُطَبِ - خُطِبِ العلماءِ رحمهم الله - التي قبل بدءِ الكلامِ يكون فيها سنجعٌ كثيرٌ.

أما إذا قُصِدَ به الباطلُ فلا شك أنه مذموم، مثل قول حَمَلِ بن النابغة للرسول ﷺ حين قَصَى في قصة المرأتين المُقتلتين بديّة وغرّة، قال: «يا رسولَ الله! كيف أغرَمَ مِن لا شَرِبَ ولا أَكَلَ، ولا نَطَقَ ولا اسْتَهَلَّ؟»، فمِثْلُ ذلك يُطلُّ» يعني: «كيف أغرَمَ الجَينَ الذي مات وهو لا شَرِبَ ولا أَكَلَ، ولا نَطَقَ ولا اسْتَهَلَّ؟»، فمِثْلُ ذلك يُطلُّ» يعني: يُهدّر، هذا سنجعٌ، ولهذا قال: «لا شَرِبَ ولا أَكَلَ» ولم يقل: «مَن لا أَكَلَ ولا شَرِبَ»، مع أن العادة أن الأكلَ يُقدِّم على الشربِ، فقال النبي ﷺ: «إنما هذا مِن إخوانِ الكُهَّانِ، مِن أَجْلِ سَنجِعِهِ الذي سَنجَعُ» (**). يعني: مِن أَجْلِ كلامه المسجوع؛ لأنَّ الكاهِنَ يأتي بكلامِ مسجوعٍ لِيَنمُقَ الكلامَ ويكونَ أشدَّ طَرَباً للأسماع.

الخلاصة:

١- السنجع المتكلف مذموم.

٢- السنجع الذي يُراد به إبطالُ الحقِّ مذمومٌ، لكنَّ الأولُ مذمومٌ من حيث الشكل، =

(*) رواه البخاري (١٣/٥٤)، ومسلم (٢٠/رقم: ٦)، واللفظ للبخاري.

(**) رواه البخاري (٤٦/٧٦)، ومسلم (٢٨/رقم: ٣٦).

وقوله [الحجف]:

لا تَكُنْ ظَالِمًا، وَلَا تَرْضَ بِالظُّلْمِ
م، وَأَتَكَبِّرُ بِكُلِّ مَا يُسْتَطَاعُ
مِنَ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ^(١)

وقوله [الرمل]:

لَا تَهَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ
قَلَمًا يُزَعَى غَرِيبُ الْوَطَنِ
وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ
خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنِ^(٢)

= والثاني مذمومٌ من حيث المضمون.

٣ - السجع الذي لا يبطل حقاً ولا يأتي متكلفاً هذا محمود؛ لأنه لا شك أنه يحسن الكلام.

(١) قوله: «ما لظلم» وفي القرآن ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾^(*)، «ما لظلم من حميم ولا شفيع يطاع» هذا يُسمى الاقتباس، يعني: أنه اقتبس من القرآن أو الحديث هذه الجملة وأضافها إلى كلامه، لكن لا على أنها منه، بل على أنها من القرآن أو من الحديث، ولكن هل هذا محمود أو لا؟

هذا اشتبه بين الأدباء في القرون الوسطى، لكنه فيما أرى مذموم، خصوصاً إذا جاء في الشعر وهو من القرآن؛ لأن هذا يوجي بأن القرآن نوعٌ من الشعر، فلذلك ينبغي أن يقال: إن الاقتباس من القرآن إذا كان في النظم فهو مذموم؛ لأنه يجب إعاد القرآن عن الشعر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ يُنذِرُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠].

(٢) الشاهد: «خالق الناس بخلق حسن»، هذا جزء من حديث^(**).

(*) الآية بتامها: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبِ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمًا مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

(**) عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»، رواه أحمد في مسنده (٥/٣)، والترمذي (٥٥/٢٤) وغيرهما، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ٩٧).

ولا بأس بتغيير سبب في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره، نحو [مخلع البسيط]

فَدَعَا مَا جَاءَكَ مِنْهُ مِنَ الْمَوْتَىٰ وَقَدْ كَفَرْنَا بِهِ قَدْرًا كَثِيرًا ۚ وَلَقَدْ كَفَرَ الْأَوَّلُونَ
وَالثَّلَاوَةُ ۗ ﴿١٥٦﴾ إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا لِرَبِّعُونَ ﴿١﴾ [البقرة: ١٥٦].

* * *

(١) لكن إذا عُبِّرَ فقد يُمنَعُ أن يكون اقتباساً؛ لأنه إذا تَغَيَّرَ ما صار بلفظ القرآن، ولا بلفظ الحديث.

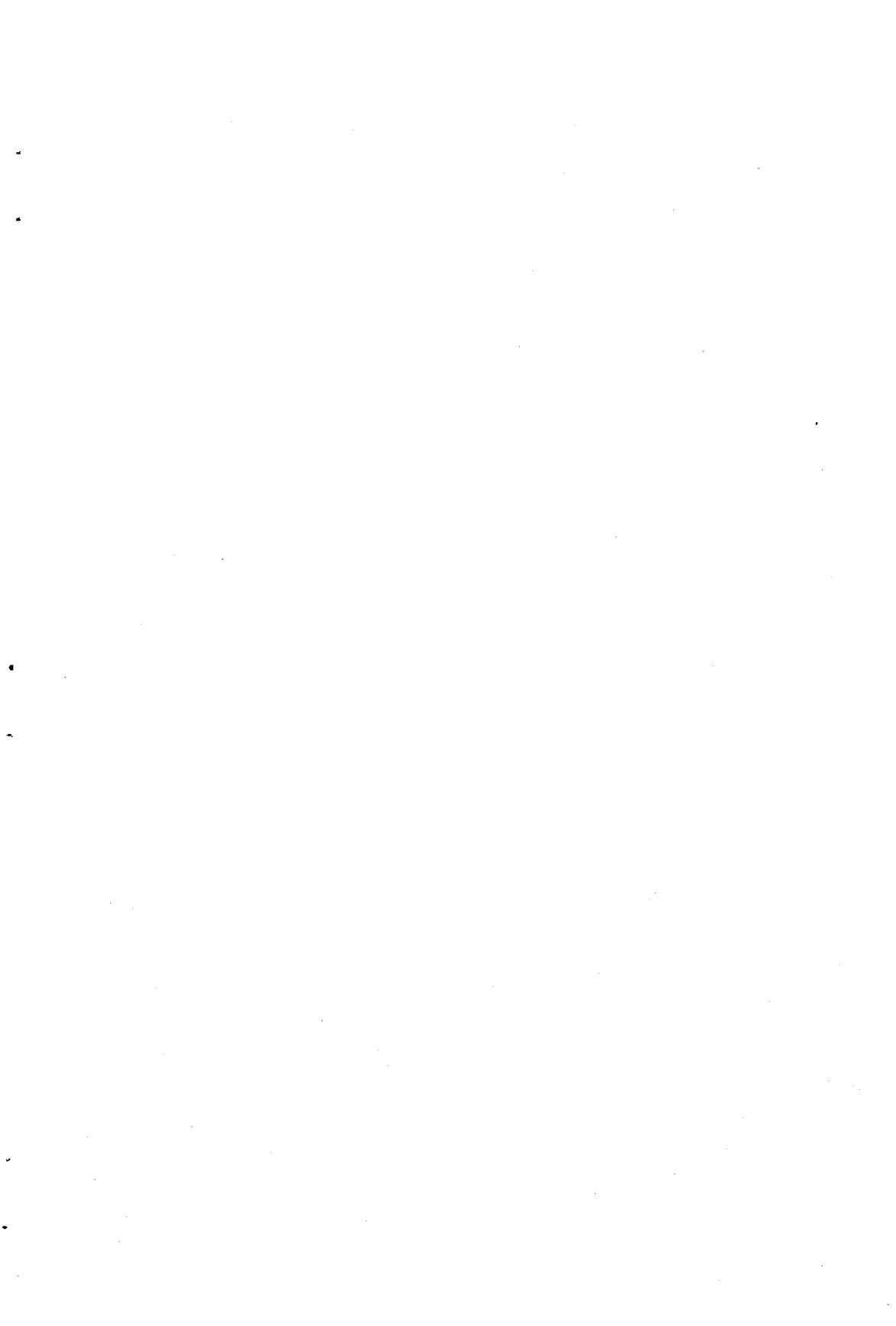
الاقتباس إذاً من المحسنات اللفظية، لكن لا ينبغي أن يكون من القرآن إذا كان ذلك في الشعر (*).

(*) وبعد الدرس وَرَدَ إلى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هذا السؤال:

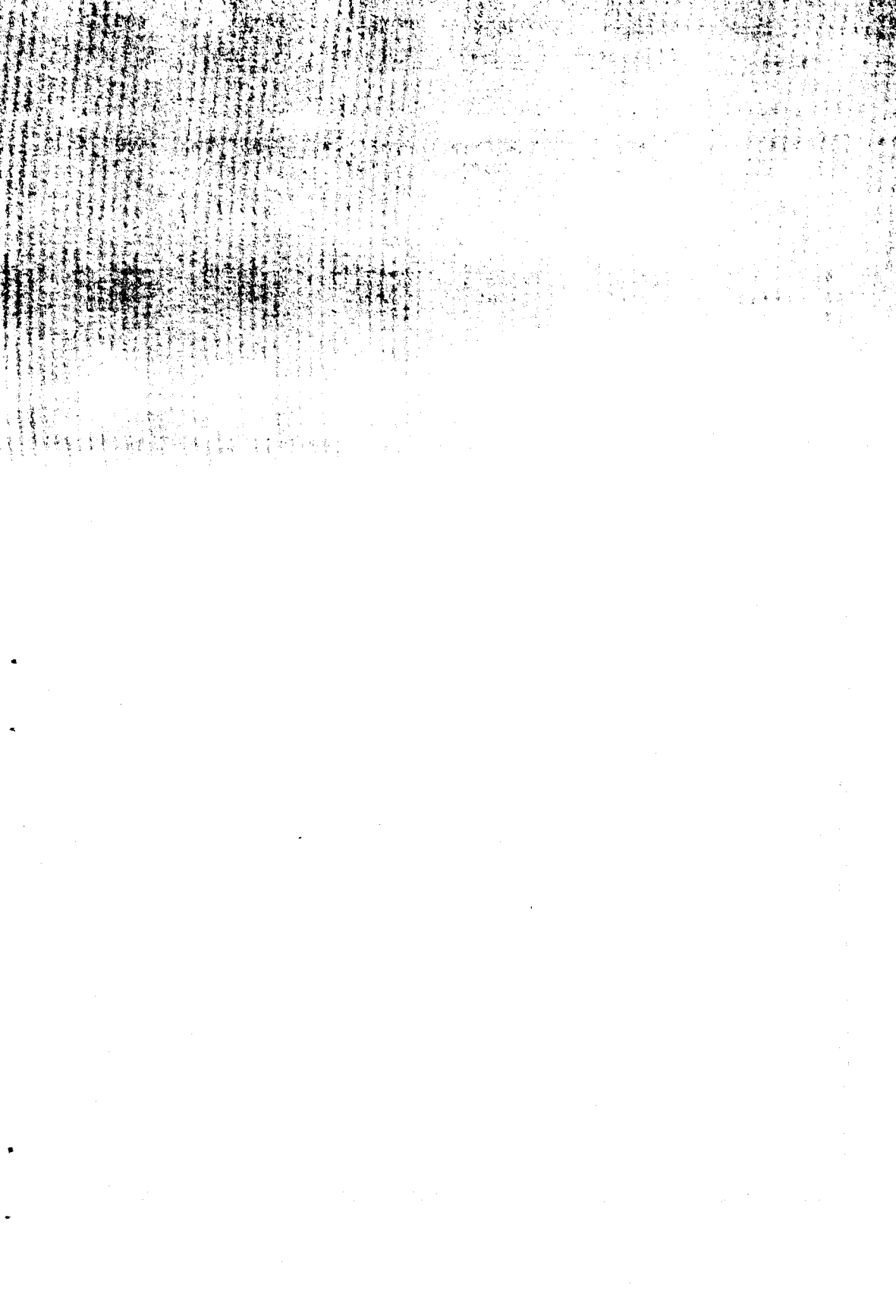
الطالب: ما الدليل على عدم جواز الاقتباس بشيء من القرآن أو الحديث مع أن الصحابة يقتبسون بشيء من القرآن، وما هو طلحة لما وصله الخبر أن قَتَلَهُ عثمان نادمون على ما فعلوه قال: «تَبَّأَ لَهُمْ ﴿٥٠﴾ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْبَةً وَلَا إِلَا أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾» [يس]؟.

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: هذا ليس من الاقتباس، هذا من الاستشهاد، وأولاً لا بُدَّ أن يُبَيَّنَّ هذا عن طلحة، فَبَيَّنَهُ أولاً ثم انظر هل يدخل في هذا أو لا، لأنه واضح أن هذا قرآن مُسْتَقِيلٌ، لكن اسْتَشْهَدَ به على نظيره، مثل قول الرسول ﷺ مع الحسن والحسين: «صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالَكُم مَّا أَوْلَدَكُمُ فَتَنَّهُ﴾ [التغابن: ١٥]» اهـ. قلت: حديث الحسن والحسين رواه أحمد في مسنده (٣٥٤/٥)، وأبو داود (٢٣٣/٢) والترمذي (٥٠/٣١)، والنسائي (٣٠/١٤)، وابن ماجه (٢٠/٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ٣٧٥٧).

أما أثر طلحة بن عبيد الله رَحِمَهُ اللهُ فقد أخرجه الطبري في «تاريخ الأمم والملوك: ٦٧٦/٢» وابن عساكر في «تاريخ دمشق: ٢٩٢/٤١».



خَاتِمَةٌ



خاتمة

١٦- حُسْنُ الْإِبْتِدَاءِ: هو أن يَجْعَلَ المتكلمُ مَبْدَأَ كَلَامِهِ عَذْبَ اللَّفْظِ، حَسَنَ السَّبْكِ، صَاحِحَ الْمَعْنَى، فَإِذَا اشْتَمَلَ عَلَى إِشَارَةِ لَطِيفَةٍ إِلَى الْمَقْصُودِ سُمِّيَ «بِرَاعَةَ الْإِسْتِهْلَالِ»^(١)، كَقَوْلِهِ فِي تَهْنِئَةِ بَزْوَالِ مَرَضٍ [البسيط]:

الْمَجْدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتْ وَالكَرْمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ السَّقْمُ
وَقَوْلِ الْآخِرِ فِي التَّهْنِئَةِ بِنَاءً قَصْرٍ [الكامل]:

قَصْرٌ عَلَيْهِ نَجِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَقْتَ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ

١٧- حُسْنُ الْإِنْتِهَاءِ: هو أن يَجْعَلَ آخِرَ الْكَلَامِ عَذْبَ اللَّفْظِ، حَسَنَ السَّبْكِ، صَاحِحَ الْمَعْنَى، فَإِنْ اشْتَمَلَ عَلَى مَا يُشْعِرُ بِالْإِنْتِهَاءِ سُمِّيَ «بِرَاعَةَ الْمَقْطَعِ»^(٢)، كَقَوْلِهِ [الطويل]:

بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ^(٣)

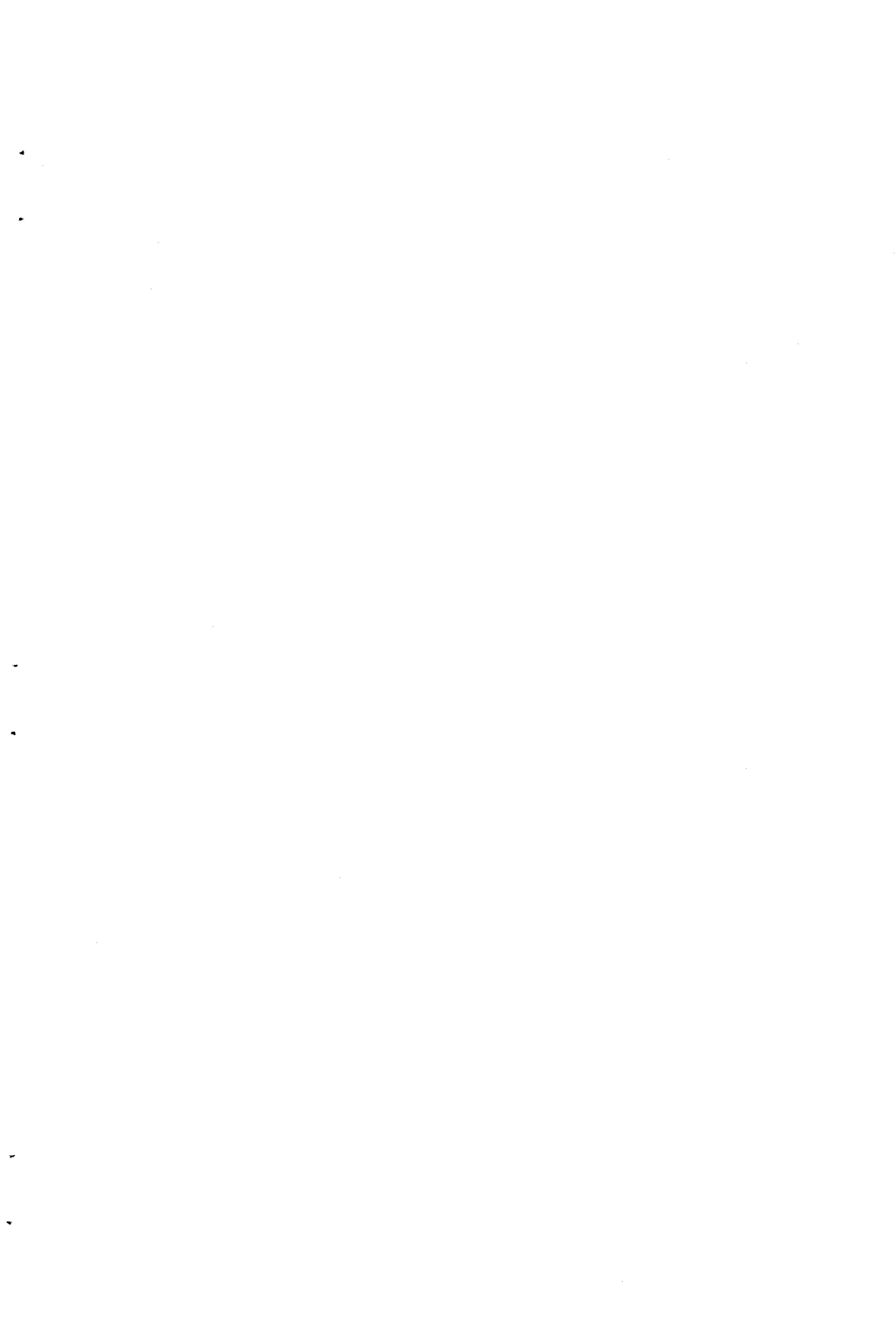
* * *

(١) ابن حَجَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي «بَلُوغِ الْمَرَامِ» قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا»، بِرَاعَةُ الْإِسْتِهْلَالِ فِي قَوْلِهِ: «حَدِيثًا»، وَكَلِمَةُ «بِرَاعَةُ» تُفْهَمُ بِأَنَّ هَذَا الْأَسْلُوبَ يَأْتِي عَنْ ذِكَاةٍ وَفُطْنَةٍ.

(٢) وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: «بِرَاعَةُ الْإِخْتِمَامِ أَوْ الْإِنْتِهَاءِ»، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

(٣) الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ» يَعْنِي: أَنْتَهَيْنَا.

* * *



تَنْبِيْهٌ



تَنْبِيْهُ

ينبغي للمعلم أن يُناقش تلاميذه في مسائل كلِّ مَبْحَثٍ شَرَحَهُ لَهُمْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ؛ لِيَتِمَكَّنُوا مِنْ فَهْمِهِ جَيِّدًا، فَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ ذَلِكَ سَأَلَهُمْ مَسَائِلَ أُخْرَى يُمَكِّنُهُمْ إِدْرَاكُهَا مِمَّا فَهَمُّوه.

أ- كَانَ يَسْأَلُهُمْ بَعْدَ شَرْحِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَفَهْمِهِمَا عَنْ أَسْبَابِ خُرُوجِ الْعِبَارَاتِ الْآتِيَةِ عَنْهُمَا أَوْ عَنْ إِحْدَاهُمَا:

[مَجْزُوءِ الرَّجْزِ]:

١- وَجَفْنَةٌ مُثْمَعِنَجْرَةٌ وَطَعْنَةٌ مُسْحَنَفِرَةٌ
تَبْقَى غَدًا بِأَنْقَرَةٍ

أي: جفنة مَلَأَى، وطعنة مُتَّسِعَةٌ، تبقى ببلد أنقرة.

[الرَّجْزِ]:

٢- الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ

٣- «أَكَلْتُ الْعَرِينَ، وَشَرِبْتُ الصَّمَادِحَ»، تَرِيدُ اللَّحْمَ وَالْمَاءَ الْخَالِصَ.

[السَّرِيعِ]:

٤- وَازْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا وَعَافَ عَافِيِ الْعُرْفِ عِرْفَانَهُ

[الطويل]:

٥- أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلُومَنَّ قَوْمُهُ زُهَيْرًا عَلَى مَا جَرَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

[الكامل]:

٦- مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءُ

أي: يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.

٧- «قُرْبَ مِثًا فَرَأَيْنَاهُ أَسَدًا»، تريد أُنْخَرَ.

٨- «يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا»، تقوله بشدةٍ مُخَاطَبًا لِمَنْ إِذَا فَعَلَ عُدَّ فِعْلُهُ

كَرْمًا وَقَضْلًا.

* * *

ب- وَكَانَ يَسْأَلُهُمْ بَعْدَ بَابِ الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ أَنْ يُجِيبُوا عَمَّا يَأْتِي:

١- أَمِنَ الْخَبَرَ أَمْ الْإِنْشَاءَ:

- قولك: «الكلُّ أعظمُ من الجزء».

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُلُوبَنَا كَمَا مِن قَوْرِ مُوسَى﴾ [القصاص: ٧٦].

٢- ما الذي يستفيدة السامع من قولك:

- «أنا مُعْتَرِفٌ بِفَضْلِكَ».

- «أنتَ تقوم في السَّحْرِ».

- «رَبِّ إِنِّي لَا أُسْتَطِيعُ اصْطِبَارًا».

٣- من أي الأضرب قوله تعالى عن رُسُلِ عيسى:

- ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

- ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦].

٤- من أي أنواع الإنشاء هذه الأمثلة، وما معانيها المستفادة من القرائن:

[الطويل]:

- أَوْلَيْكَ آبَائِي فَجِئْتَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

- «إِغْمَلْ مَا بَدَا لَكَ».

- «لَا تَزْجِعْ عَنِّيكَ».

- «لَا أَبَالِي أَقْعَدَ أُمَّ قَامَ».

- ﴿وَهَلْ نُجْرِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

- ﴿أَلَمْ نُزَيِّكْ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨].

[الرمل]:

- لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَرْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَجِدُ

- «لو يأتينا فيحدثننا»

[الوافر]:

- أَسْكَانَ الْعَقِيقِ كَفَى فِرَاقًا

ج- وكان يسألهم بعد «الذِّكْرِ والحذف»:

* عن دواعي الذِّكْرِ في هذه الأمثلة:

١- ﴿أَمَرَ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

٢- «الرئيسُ كَلَّمَنِي فِي أَمْرِكَ، والرئيسُ أَمَرَنِي بِمُقَابَلَتِكَ»، تَخاطَبُ غَيْبًا.

٣- «الأميرُ نَشَرَ المعارِفَ، وأَمَّنَ المخاوِفَ»، جواباً لَمَنْ سَأَلَ: ما فَعَلَ

الأميرُ؟.

٤- «حَضَرَ السارقُ»، جواباً لقائلٍ: هل حَضَرَ السارقُ؟.

٥- «الجِدَارُ مُشْرِفٌ عَلَى السَّقُوطِ»، تقوله بعد سَبَقِ ذِكْرِهِ؛ تَنْبِيهاً لِمُصاحِبِهِ.

* وعن دواعي الحذف في هذه الأمثلة:

١- ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٠].

٢- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧].

٣- ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢].

٤- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦].

٥- ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨].

٦- «مُنْضِجَةُ الزُّرُوعِ، وَمُصْلِحَةُ الهِوَاءِ».

٧- «مُخْتَالٌ مُرَاوِعٌ»، بعد ذِكْرِ إنسانٍ.

[الكامل]:

٨- أم كيف يَنْطِقُ بِالْقَبِيحِ مُجَاهِرًا وَالْهَرُّ يُخَدِّثُ مَا يَشَاءُ فَيَذْفِرُنُ

* * *

د - وكان يسألهم عن دواعي التقديم والتأخير في هذه الأمثلة:

١- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ كُفْرًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

[البسيط]:

٢- ما كُلُّ ما يَتَمَنَّى المَرْءُ يَدْرِكُهُ

٣- «السَّفَاحُ فِي دَارِكَ».

٤- «إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ الزَّمَانُ نَقْرَحُ عَلَيْكَ مَا نَشَاءُ».

٥- «الْإِنْسَانُ جِسْمٌ نَامٍ، حَسَّاسٌ نَاطِقٌ».

٦- «اللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُضْلِحَ الْأَمْرَ».

٧- «الدَّهْرُ مَلَأَ فَوْدِيَّ شَيْئًا».

٨- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

[البسيط]:

٩- ثلاثة تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا: شَمْسُ الضُّحَى، وَأَبُو إِسْحَاقَ، وَالْقَمَرُ

[المتقارب]:

١٠- وما أنا أسَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وما أنا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

* * *

هـ- وكان يسألهم بعد التشبيه عن التشبيهات الآتية:

[الطويل]:

١- وقد لآحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لَمَنْ رَأَى كَعُنُقُودِ مَلَأَحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

[المُنْسَرَح]:

٢- كَأَنَّمَا النَّارُ فِي تَلْهُبِهَا وَالْفَخْمُ مِنْ فَوْقِهَا يُغَطِّيهَا
زَنْجِيَّةٌ شَبَّكَتْ أَنَامِلَهَا مِنْ فَوْقِ نَارِنَجَةٍ لِتُخْفِيهَا

[الكامل]:

٣- وكانَ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرَّرَ نُشْرَنَ عَلَى بِسَاطِ أَرْزَقِ

[الكامل]:

٤- عَرَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ نَوَاقِبًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَفْوَلُ

[الكامل]:

٥- أَبْذُلُ فَإِنَّ الْمَالَ شَغَرَ كُلَّمَا أَوْسَعَتْهُ حَلَقًا يَزِيدُ نَبَاتًا

[الطويل]:

٦- وَلَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكَ مَيْلٌ مَعَ الْعِدَا عَلَيَّ وَلَمْ يَخْذُ سِوَاكَ بِدِيلُ

صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّمِيَّ تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَتِيلٌ

[الخفيف]:

۷- رَبِّ حَيِّ كَمَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ أَمَلٌ يُزْتَجَى لِنَفْعٍ وَضُرٌّ

وِعِظَامٌ تَحْتَ الثَّرَابِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ مِنْهَا آثَارُ حَمْدٍ وَشُكْرِ

[الطويل]:

۸- كَأَنَّ انْتِضَاءَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْمِهِ نَجَاةٌ مِنَ الْبِأْسَاءِ بَعْدَ وَقُوعِ

* * *

و- وَكَأَنَّ يَسْأَلُهُمْ عَنِ الْمُحْسَنَاتِ الْبَدِيعَةِ فِيمَا يَأْتِي:

[مجزوء الرَّمَل]:

۱- كَانَمَا كَانَ وَزَالًا فَاطْرِحَ قَبْلًا وَقَالَ

أَيْهَا الْمُنْفَرِضُ عَنَّا حَسْبُكَ اللَّهُ تَعَالَى

۲- ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ۲۵۸]، ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾

[الأنعام: ۱۲۲].

[الكامل]:

۳- خَلِقُوا وَمَا خَلِقُوا لِمَكْرَمَةٍ فَكَأَنَّهُمْ خَلِقُوا وَمَا خَلِقُوا

[الطويل]:

۴- عَلَى رَأْسِ حُرِّ تَاجٍ عِزُّ يَزِينُهُ وَفِي رِجْلِ عَبْدِ قَبْدُ ذُلٌّ يَشِينُهُ

[المُجْتَثُ]:

٥- مَنْ قَاسَ جَدَوَاكَ يَوْمًا
بِالسُّخْبِ أَخْطَأَ مَذْحَكَ
وَأَنْتَ تُغْطِي وَتَبْكِي
السُّخْبُ تُغْطِي وَتَبْكِي

[الكامل]:

٦- آرَأَوْكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسُيُوفَكُمْ
فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَّوْنَ نَجُومَ

[الخفيف]:

٧- إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ
وَالسَّفِيهُ الْعَبِيُّ مَنْ يَضْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتٌ وَالْمُؤْمَلُ غَيْبٌ
وَلَكَّ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

[البسيط]:

٨- لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ النَّزِيلَ بِهِمْ
يَسْأَلُوا عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ وَالْحَشَمِ

[مجزوء الخفيف]:

٩- عَاشِرِ النَّاسِ بِالْجَمِيمِ
وَتَيْقُظٌ وَقُلْ لِمَنْ
لِ وَخَلُّ الْمُزَاحِمَةِ
يَتَعَاطَى الْمُزَاحِ: مَهْ

[الوافر]:

١٠- فَلَمْ تَضَعْ الْأَعَادِي قَدْرَ شَانِي
وَلَا قَالُوا فَلَانٌ قَدْ رَشَانِي

١١- أَيُّ شَيْءٍ أَطْيَبُ مِنْ ابْتِسَامِ الثُّغُورِ، وَدَوَامِ الشُّرُورِ، وَبُكَاءِ الْغَمَامِ،
وَنُوحِ الْحَمَامِ.

[البسيط]:

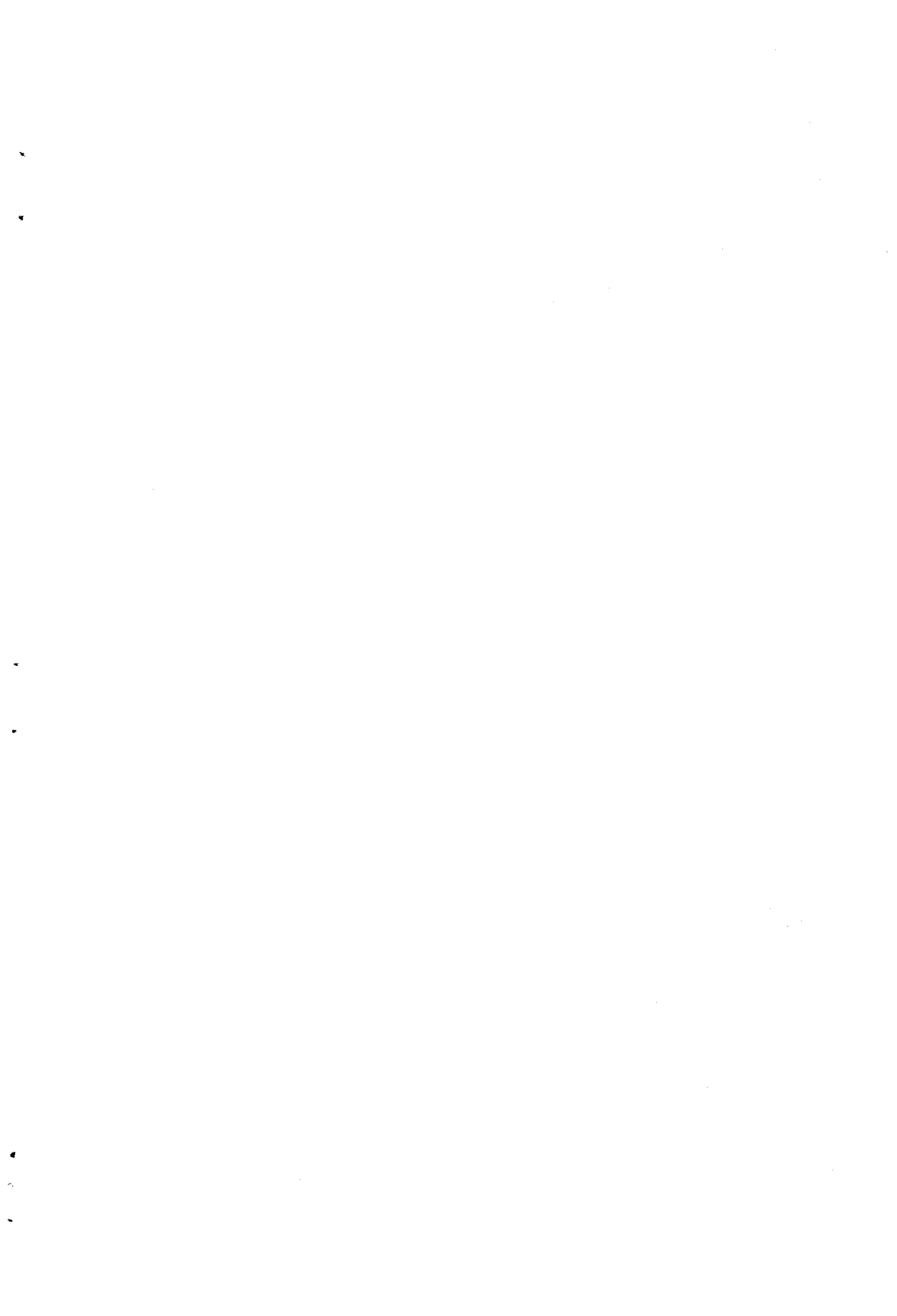
١٢- مَدَّخْتُ مَبْجَدَكَ، وَالْإِخْلَاصُ مُلْتَزَمِي فِيهِ، وَحُسْنُ رَجَائِي فِيكَ مُخْتَمِي

* * *

وَلَا يَضَعُبُ عَلَى الْمُعَلِّمِ اقْتِفَاءُ هَذَا الْمَنْهَجِ، وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى طَرِيقِ النُّجَاحِ.

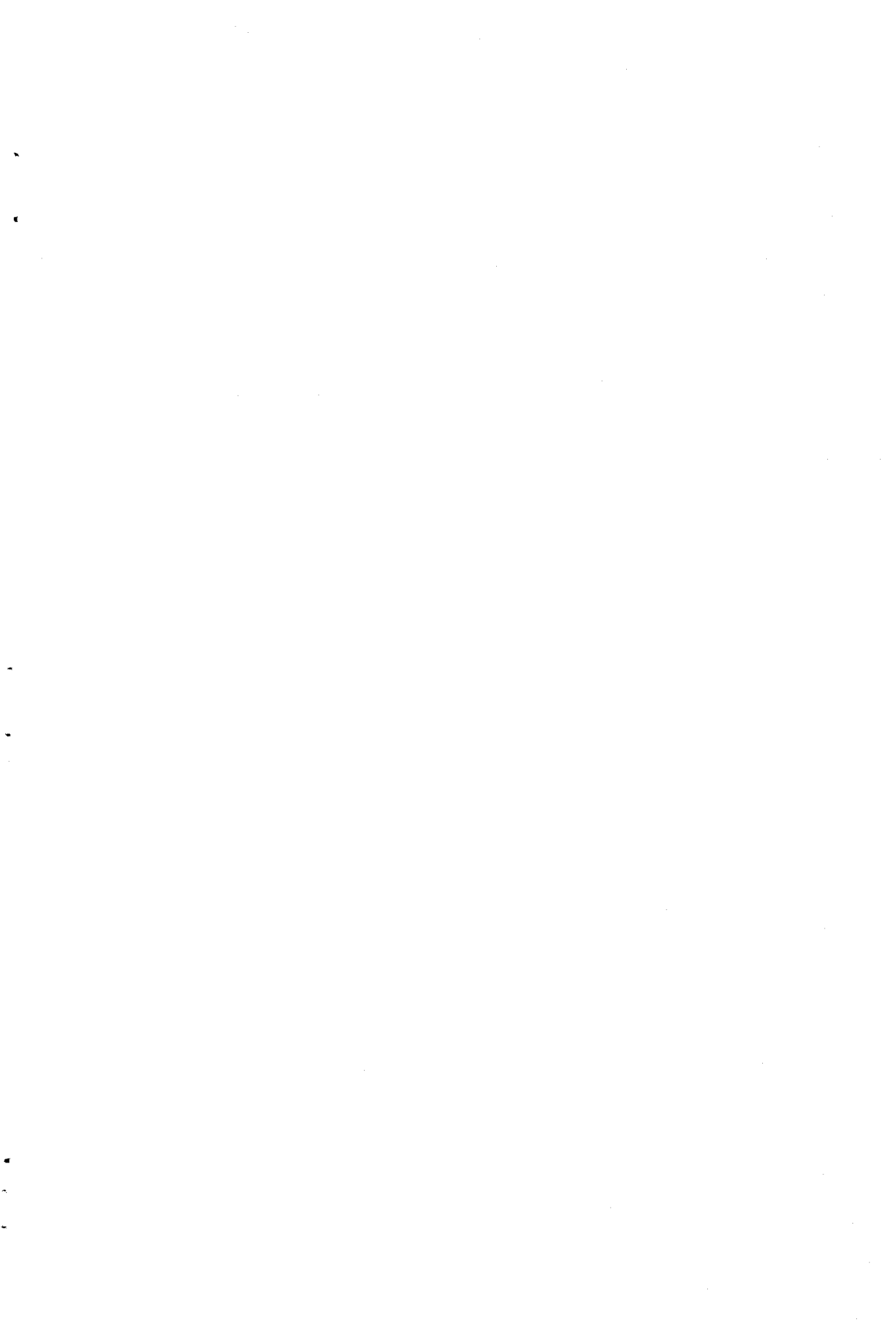
* * *

تَمَّ الْكِتَابُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



الفهارس العامة

- ١- فهرس الآيات .
- ٢- فهرس الأحاديث والآثار .
- ٣- فهرس الأشعار .
- ٤- فهرس أنصاف الآيات .
- ٥- فهرس الأعلام .
- ٦- فهرس المذاهب والطوائف .
- ٧- فهرس الكتب .
- ٨- فهرس المواضيع .



فهرس الآيات

(حسب ورودها في المصحف)

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- إِيَّاكَ نَعْبُدُ	الفاتحة/ ٥	٧٥ ، ٦٩
- أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	البقرة/ ٥	١٢٧ ، ٦١
- سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ	البقرة/ ٦	٥٢
- وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ...	البقرة/ ١٤ - ١٥	٨٤
- أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ	البقرة/ ١٦	١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨
- يَجْعَلُونَ أَسْمَاءَهُمْ فِي ءَأْدَانِهِمْ	البقرة/ ١٩	١١٩ ، ١٣٤
- وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا ...	البقرة/ ٢٣	٤٤
- الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ	البقرة/ ٢٧	١٢٨
- وَأَرْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ	البقرة/ ٤٣	١٣٤
- يَسْأَلُونَكُم مَّا سَأَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنكُمْ	البقرة/ ٤٩	٨٠
- إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ	البقرة/ ١٥٦	١٧٧
- وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ	البقرة/ ١٧٩	٩١
- فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ	البقرة/ ١٨٥	١٦٣
- وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْوَجْهَ ...	البقرة/ ١٨٧	١٥١
- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ	البقرة/ ١٨٩	١٧٠
- رَبَّنَا ءَايِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً	البقرة/ ٢٠١	٩٦
- يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فِالْوَالِدَيْنِ	البقرة/ ٢١٥	١٧٠
- وَالْمَلَائِكَةِ بَرِّصَتٌ بِأَنفُسِهِنَّ	البقرة/ ٢٢٨	١٣٩
- مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ	البقرة/ ٢٥٥	٥٤

الصفحة	السورة/ رقم الآية	الآية
١٩١	البقرة/ ٢٥٨	- يُعِيء وَيُؤَيِّتُ
٥١	البقرة/ ٢٥٩	- أَلَيْسَ لِي بِعَذَابٍ أَلِيمٍ هَذِهِ آيَةُ اللَّهِ بَدَأَ مَوْجَهَا
٤٦	البقرة/ ٢٨٦	- رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ نَسَاكَ أَنْ نَتَكَبَّرَ فِي الْبَيْتِ الَّتِي بُنِيَ لَكَ فِيهَا مَذَابٌ عَظِيمٌ
٤٦	البقرة/ ٢٨٦	- رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ
٥٣	آل عمران/ ٢٠	- وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ قَبْلِهِ
٥١	آل عمران/ ٣٧	- يَتَرْتَمِبُ أَلَيْسَ هَذَا
٥	آل عمران/ ١٠٢	- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ
١٣٥	آل عمران/ ١٠٧	- فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
٧٤	آل عمران/ ١٤٤	- وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
٩٢	آل عمران/ ١٨٤	- فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ
٤٦	آل عمران/ ١٩٦	- لَا يَتْرُوكُ تَقَلُّبُ الْأَيْدِي كَفَرُوا فِي الْيَلْدِ
٤٦	آل عمران/ ١٩٧	- مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ
٥	النساء/ ١	- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ...
١٣٤	النساء/ ٢	- وَأَنْتُمْ أَلْيَنُكُمْ أَمْوَالُهُمْ
١٣٤	النساء/ ٦	- وَأَنْتُمْ أَلْيَنُكُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ ...
٦٣	النساء/ ٢٨	- وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا
٣٩	النساء/ ١٦٦	- وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا
٣٧	المائدة/ ٢	- إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
١٦١	المائدة/ ٤	- وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ
١٥٣	المائدة/ ٢٧	- إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
٥٣	المائدة/ ٤٤	- فَلَا تَخْشَوْا الْنَّاسَ وَخَشَوْا اللَّهَ
٥٣	المائدة/ ٩١	- قَهْلَ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ
٥٢	الأنعام/ ٤٠	- أَغْرَبَ اللَّهُ تَدْعُونَ
١٦١	الأنعام/ ٦٠	- وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ
٨٧	الأنعام/ ٦٨	- وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ	الأنعام/ ١٢٢	١٩١
- فَهَلْ لَنَا مِنْ شِعْمَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا	الأعراف/ ٥٣	٥٦
- وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا	الأعراف/ ٥٦	٤٥
- قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوكُنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي...	الأعراف/ ١٥٠	٤٥
- ثُمَّ لَمْ يَفْضُوكُمْ شَيْئًا	التوبة/ ٤	٤٠
- أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَأَلَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ	التوبة/ ١٣	٥٣
- مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْبِئُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ...	التوبة/ ٣٨	١٦٦
- أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُهُمْ وَيُنزِلُهُمْ...	التوبة/ ٧٨	٩٧
- فَاتَّخِذُوا قِيَلًا وَلِيَتَّخِذُوا كِبِيرًا	التوبة/ ٨٢	١٦٢، ٨٠
- وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْهَامًا لِإِبْرَاهِيمَ لِأَيُّهُ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ...	التوبة/ ١١٤	٩٣
- وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ	يونس/ ٢٥	٦٢
- وَلَا تَخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ	هود/ ٣٧	٣٨
- سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ	يوسف/ ١٨	١٨٨
- إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ	يوسف/ ٣١	٧٦، ٧٥
- لِيَسْجَنَ وَلِيُكْرَمَا مِنَ الصَّغِيرِينَ	يوسف/ ٣٢	٤٠
- إِنِّي أَرَى فِي رَأْيِي آعِصُرُ حَمْرًا	يوسف/ ٣٦	١٣٥
- فَأَرْسِلُونِي ﴿١٠﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ	يوسف/ ٤٥ - ٤٦	٩٢
- وَمَا أُرِيكَ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ	يوسف/ ٥٣	٨٣
- كَتَبْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ...	إبراهيم/ ١	١٢٣
- يَسْمُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبْحُونَ آبَاءَكُمْ	إبراهيم/ ٦	٨٠
- رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ	إبراهيم/ ٤١	٩٣
- أَلَمْ أَمُرْ اللَّهَ	النحل/ ١	١٣٥
- وَيَعْمَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ شُرَكَاءَ لَهُمْ مَا يَشْتَبِهُونَ	النحل/ ٥٧	٩٥
- فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ	النحل/ ١١٢	١٢٨
- وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ	الإسراء/ ٢٤	١٢٦

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ	الإسراء/ ٧٣	٤٠
- وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا	الإسراء/ ٨١	٩٥
- وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتِنَا ظُفُرًا وَهُمْ نَرُودًا	الكهف/ ١٨	١٦٢
- كَمْ لَبِثْتُمْ	الكهف/ ١٩	٥٢
- إِنْ فِي وَهْنٍ أَتَعْظُمُ مِنِّي	مريم/ ٤	٣٧
- رَبِّ إِنْ فِي وَهْنٍ أَتَعْظُمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا	مريم/ ٤	٨٨
- خُذِ الْحِكْمَةَ بِقُوَّةٍ	مريم/ ١٢	٤٢
- يَتَأَخَذَ هَنُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَعِيًّا	مريم/ ٢٨	١٥٢
- أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ	مريم/ ٣٨	٥٨
- أَيُّ الْقَرِيْقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا	مريم/ ٧٣	٥٢
- فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَكْفَأْدُمُ	طه/ ١٢٠	٨١
- أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ	الأنبياء/ ٣٦	٤٥
- إِنَّمَا يُرِيحُ إِلَيْنَا أَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَجِدٌ ...	الأنبياء/ ١٠٨	٥٣
- ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ هُوَ الْفَعْلُ	الحج/ ٦	٣٩
- وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ...	المؤمنون/ ١٢ - ١٣	١٦٤
- مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ آلِهَةٍ	المؤمنون/ ٩١	٣٩
- أَلَمْ نَرْبِكْ فِيمَا وُلِدْنَا	الشعراء/ ١٨	١٨٧
- فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْتَوَّابِينَ	الشعراء/ ١٠٢	٥٦
- وَالشُّعْرَاءُ يَبِيْعُهُمُ الْفَاوَنُ	الشعراء/ ٢٢٤	١٦٧
- وَأَنْشُرُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٦﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِهِ وَبَيْنَ	الشعراء/ ١٣٢ - ١٣٣	٩٣، ٨١
- عَلِمْنَا مَطِيقَ الظَّيْرِ	النمل/ ١٦	٥١
- أَوْزِيقٌ أَنْ أَشْكُرَ بِمَمْنِكَ	النمل/ ١٩	٤٣
- إِنْ قَرْنُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى	القصص/ ٧٦	١٨٦
- وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا ...	الزُّمُر/ ٦ - ٧	١٦٢
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ...	الأحزاب/ ٧٠ - ٧١	٥


الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- ذَلِكَ جَزَاءُهم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ	سبا/ ١٧	١٨٧ ، ٩٥
- إِنَّكَ اللَّهُ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ ...	فاطر/ ٣٨	٩٧
- إِنَّا إِلَيْنَا تَرْسَلُونَ	يس/ ١٤	١٨٧
- رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْنَا لَمَرْسَلُونَ	يس/ ١٦	١٨٧
- فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ	يس/ ٥٠	١٧٧
- وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهْوَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ ...	يس/ ٦٩ - ٧٠	١٧٦
- هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ	الزُّمَر/ ٩	٦٣
- أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ	الزُّمَر/ ٣٦	٥٢
- وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا	غافر/ ١٣	١٤٤ ، ١٣٣
- وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْبَعَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ...	غافر/ ١٨	١٧٦
- وَلَا تَسْتَوِي السُّعْتَةُ وَلَا الْقِسْيَةُ أَدْفَعُ بِالْأَيْدِي هِيَ ...	فُصِّلَتْ/ ٣٤	١١١
- أَعْمَلُوا مَا يَشَاءُكُمْ	فُصِّلَتْ/ ٤٠	٤٣
- إِنَّ لَهُمُ الذِّكْرَى	الدُّخَان/ ١٣	٤٧
- فَإِذَا أَيْقَنُوا الَّذِينَ كَفَرُوا فَمَنْ رِبِّ الْقَابِ	مُحَمَّد/ ٤	٤٣
- أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلِّ صَفَّارٍ عَابِدٍ	ق/ ٢٤	٤٠
- فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا صَبِرُوا	الطُّور/ ١٦	٤٤
- فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ يَشَابَهُهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ	الطُّور/ ٣٤	٤٤
- أَمْ لَمْ شَأْنٌ يَسْتَوِعُونَ فِيهِ قَلْبَاتٌ مَسْتَعِمُّمٌ بِسُلْطَنِ مِثْبِينِ	الطُّور/ ٣٨	٤٤
- أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ	الطُّور/ ٣٩	٤٩
- أَمْ عِنْدَهُمُ الْعِتَابُ فَمَا يَكْتُمُونَ	الطُّور/ ٤١	٤٩
- هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ	الرحمن/ ٦٠	٥٢
- هَلْ أَتَاكُمُ عَلَىٰ بَعْضِ مَا تُنذِرُونَ مِنْ عَذَابِ الْيَوْمِ	الصف/ ١٠	٥٣
- إِذَا جَاءَكَ الْمُتَضَفِّعُونَ قَالُوا تَسْبُدُ إِنَّكَ لَرَسُولٌ ...	المنافقون/ ١	٩٥
- إِنَّكَ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ...	التغابن/ ١٤	٩٤
- إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ	التغابن/ ١٥	١٧٧

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- لَعَلَّ اللَّهُ يُخَبِّرُكَ بِعَدَدِ ذَلِكَ أَمْرًا	الطلاق/ ١	٥٥
- لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ	الطلاق/ ٧	٤٢
- عِشَّةً رَّائِيَةً	الحاقة/ ٢١	١٤٣
- رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا...	نوح/ ٢٨	٩٣
- وَأَنَا لَا تَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ يَمُنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ...	الجن/ ١٠	١٨٨، ٢٩
- لَا أَقِيمُ	القيامة/ ١	٤٠
- يَتَلَّحِقَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	القيامة/ ٦	٥١
- وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّطَهَّرُونَ إِنَّا رَبُّهُمْ حِينَئِذٍ وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا شَاكِرِينَ	الإنسان/ ١٩	١٠٧
- كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ذُو كَلَّا سَيَعْلَمُونَ	النبأ/ ٤ - ٥	٩٤
- وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا	النبأ/ ١٠	١٠٧
- إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَجْوٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ	الانفطار/ ١٣ - ١٤	٨٠
- قَوْلِ الْكَافِرِينَ أَنهٖم رَوَّيْنَا	الطارق/ ١٧	٨٢
- سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى	الأعلى/ ١	٣٦
- خَلَقَ فُؤَادًا	الأعلى/ ٢	١٨٨
- هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنَيْتَةِ	الغاشية/ ١	٥٣، ٣٦
- وَجَاءَ رُبُّكَ	الفجر/ ٢٢	١٤٥
- فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنبَرُهُ لِلْيسْرَى	الليل/ ٥ - ٧	١٨٨
- فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى...	الليل/ ٥ - ١٠	١٦٢
- أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى	الضحى/ ٦	١٨٨
- فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ	الضحى/ ٩ - ١٠	٤٠
- أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ	الشرح/ ١	٥٣
- نَزَّلْنَا الْمَلَأِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا	القدر/ ٤	٩٣
- كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ	التكاثر/ ٣ - ٤	٩٤
- لَعُوْا وَيَكْفُرُوا وَلِي دِينٍ	الكاغرون/ ٦	١٨٩
- وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ	الإخلاص/ ٤	١٨٩

فهرس الأحاديث والآثار

(حسب الترتيب الهجائي)

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٧٦	- اتقِ اللهَ حيثما كنت
١١١	- أحبِّبِ حبيبتك هَوْنًا ما
٥٣	- انتهينا انتهينا (عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>)
١٣٥	- أنتِ رحمتي أرحم بكِ من أشياء
٨٧	- إنما الأعمال بالنيات
١٧٥	- إنما هذا من إخوان الكُفَّان
١١٢	- إنَّ من البيان لسحراً
١٥٢	- إنَّ وسادك لعريض
١٧٧	- تَبَّأْ لهم... (طلحة بن عبيد الله <small>رضي الله عنه</small>)
٤٥	- تَعَوَّذُوا باللهِ من جَهْدِ البلاءِ
٣٧	- الجنة أقرب إلى أحدكم
١٧٧	- صَدَقَ اللهُ
١٣٤	- قَسَمْتُ الصلَاةَ
١٧٥	- قضاء الله أحقُّ
٣٦	- كان رسول الله <small>ﷺ</small> يقرأ... (النعمان بن بشير <small>رضي الله عنه</small>)
٦٩	- كلُّ ذلك لم يكن

- ٢٥ اللهم اغفر لحينا وميتنا -
- ٢٤ اللهم اغفر لي ذنبي كله -
- ٢٥ اللهم اغفر لي ما قدمت -
- ١٧٠ ما بال الهلال... (الصحابة ) -
- ١٦٦ ما ينقم ابن جميل -
- ٨٧ من عمل عملاً -
- ٨٧ من كان يؤمن بالله -
- ٢٩ والشر ليس إليك -

فهرس الأشعار

(حسب الترتيب الهجائي للقافية)

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
	ج			الألف	
٤٠	الرجز	ادرجي	١٤٩	المتقارب	شتا
	ح			الهزرة	
١١٣	الكامل	يمتدح	١٨٦	الكامل	الشعراء
	الذال			الكامل	الماء
٦٧	الخفيف	جماد	١٦٤	الخفيف	ماء
١٨٧	الرمل	مما نَجِدُ		ب	
١٦٥	البسيط	أَحَدُ	١٦٦	الطويل	الكتائب
٢٠	الطويل	وحدى	١٧٤	الطويل	قواضب
١٨	الرجز	مَزُودَةٌ	١١٠	الطويل	كوكب
١٢٥	البسيط	بالبرد	١٨٦	الطويل	جانب
١٦٤	الرجز	مفسدة	١٩	البسيط	ذنب
١٦٥	الطويل	عُدُوا	٥٥	الوافر	المشيب
٨٨	مجزوء الكامل	كذاً	١٦٨	الخفيف	لهياً
٢٢	الطويل	لتجمدا		ت	
١٧٤	الطويل	زندى	١٩٠	الكامل	نباتاً
١٦١	المجث	يزيد			

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
٤٦	مجزوء الرجز	تطلع		ر	
١٨٧	الطويل	المجامع	٨٣	البيسط	بمقدار
١٩	الطويل	مسمعي	٤٤	المديد	الفراؤ
٦٨	البيسط	الفتعا	٢٠	البيسط	سماؤ
١٩١	الطويل	وقوع	١٩٠	المتقارب	نارا
١٦٣	الكامل	ضلوعي	١١١	الكامل	يُجبر
	ق		٨٢	المنسرح	الخبر
١٣٩	الطويل	موثق	١٨٥	مجزوء الرجز	بأنقرة
٦٨	الطويل	فيصدق	١٩١	الخفيف	وشكر
١٩٠	الكامل	أزرق	١٨٩	البيسط	والقمر
١٦٧	البيسط	منتطق	١١٢	البيسط	كالنور
١٢٨	الكامل	أنطق	١٩٠	الطويل	نورا
١٩١	الكامل	وما خلّفوا	١١٢	البيسط	تعبير
	ك		١١٢	مجزوء الكامل	الغريب
١٩٢	المجث	تضحك	٥٦	الطويل	أطير
	ل			ض	
١٠٨	المجث	كالآلي	١٠٦	الطويل	تعرضاً
١١٠	الوافر	الغزال		ط	
٩٢	الطويل	أوصالي	١٦٣	الكامل	ينقط
١٩١	مجزوء الرمل	تعالى		ع	
٢١	الكامل	دلائل	١٧٦	الخفيف	يطاع
٤٣	الطويل	بأمثل	١٢٦	الكامل	تنفع

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
٩٤	الطويل	لكرِيم	١٨١	الطويل	شامل
٨٣	الكامل	تهبم	١٨	الطويل	طبول
	ن		١٥٢	الكامل	يتحوّل
١٧٣	البيسط	إنساناً	١٩٠	الكامل	أفول
١٩٢	الوافر	رشاني	١٧٤	الطويل	سبيل
١٥٠	الكامل	الأضغان	١٩١	الطويل	بديل
١٨٥	السريع	عرفانه	٦٢	الخفيف	طويل
٥٧	الطويل	سكّان		م	
٩٥	السريع	ترجان	١٨١	الكامل	الأيام
١٧٦	الرمل	حسن	١٩٣	البيسط	مختمي
١٨٩	الكامل	فيدفن	١٩٢	مجزوء الخفيف	المزاح مة
١٧٧	مخلّع البسيط	راجعونا	١١١	الكامل	الأسحم
٣٧	الوافر	تعرفوني	٣٦	الكامل	يتوسم
١٩١	الطويل	يشينه	١٩٢	البيسط	والحشم
	ه		١١٢	الكامل	تلطم
١٩٢	الخفيف	أنت فيها	١٦٥	الطويل	غد عم
١٩٠	المنسرح	لتخفيها	١٨١	البيسط	السقم
	ي		١١١	المتقارب	تحكمّا
١٤٣	المتقارب	العشي	١٦٨	الرمل	الم
١٦٧	الطويل	باقيا	١٦٨	الطويل	وسلّمّا
٩٦	الكامل	تهمي	١٧٣	السريع	أرضهم
			١٩٢	الكامل	نجوم

فهرس أنصاف الأبيات

(حسب الترتيب الهجائي)

الصفحة	البحر	الشرط
١٨٧	الوافر	- أسكَّانَ العقيقِ كَفَى فِرَاقاً
١٨٥	الرجز	- الحمدُ لِلَّهِ العليِّ الأجلِّ
١٩	الكامل	- في رَفَعِ عَرَشِ الشَّرْعِ مِثْلَكَ يَشْرَعُ
١٨٩	البيسط	- ما كلُّ ما يَتَمَنَّى المرءُ يُذَرِّكُهُ
٨٨	الطويل	- وأعلم علمَ اليومِ والأمسِ قبله
٨٨	الوافر	- وألفى قولها كذِباً وميناً
٤٩	الرجز	- وحَذَفُ ما يُعَلِّمُ جائزٌ...
١٩	الرجز	- وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ

فهرس الأعلام

(الذفن ذكرهم الشفخ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ)

الصفحة	العَلَم
١٦٤ ، ١٥٣	- آدم ﷺ
٩٣	- إبراهيم ﷺ
١٤٥ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ٢٣	- ابن تيمية
١٦٦	- ابن جميل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
١٧٤ ، ٢٣	- ابن الجوزي
١٦٩	- الحجاج
١٨١	- ابن حجر
١٩	- الحريري
١٧٧	- الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
١٧٧ ، ١٦١	- الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
١٧٥	- حمل بن النابغة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
٢٣	- ابن سعدي
٢١	- سِنِمَار
١٧٧	- طلحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
١٥١	- عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
١٤٣ ، ٥١	- عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

- ١٥٢ عيسى رَحِمَهُ اللهُ -
- ١٥٣ قابيل -
- ١٦٩ القبعثرى -
- ١٤٥ ، ١١٧ ، ١٠١ ابن القيم -
- ٤٩ ، ٤٠ ، ٢٩ ابن مالك -
- ١١٧ محمد الأمين الشنقيطي -
- ٢٣ محمد رشيد رضا -
- ١٥٢ مريم -
- ٣٣ مُسَيِّمَةُ الكَذَّاب -
- ٨٧ موسى رَحِمَهُ اللهُ -
- ٦٨ الموفق (ابن قدامة المقدسي) -
- ٩٣ نوح رَحِمَهُ اللهُ -
- ١٦١ يزيد بن معاوية -
- ٩٢ ، ٨٧ يوسف رَحِمَهُ اللهُ -

المذاهب والطوائف

(التي ذكرها الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)

- ١٧٦ - الأدباء
- ١٤٥ - أهل التحريف
- ١٤٥ - أهل السُّنَّة والجماعة
- ٥٣ - البصريون
- ١٥١ ، ٨٤ - البلاغيون
- ٩١ - الجاهليون
- ٢٩ - الجنّ
- ٥٤ - المشركون
- ١٦٨ - مُضَرّ (المُضَرِّيَّة)
- ١٤٥ - المناطقة
- ٥٢ - النحويون

الكتب

(التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ)

- ١٤٤ إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل
- ٢٩ ألفية ابن مالك
- ١١٧ الإيمان
- ١٨١ بلوغ المرام
- ١٧٤ التبصرة
- ١١٧ ، ١٠١ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة
- ١٩ مقامات الحريري

فهرس المواضبع

٥	مقدمة المُعتبي
١٠	ترجمة موجزة للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ
١٣	مقدمة المؤلفين
١٧	مقدمة في الفصاحة والبلاغة
٢٩	علم المعاني
٣٣	الخبر والإنشاء
٣٦	الكلام على الخبر
٣٧	الغرض من إلقاء الخبر
٣٨	أضرب الخبر
٤١	الكلام على الإنشاء
٤٢	١- الأمر
٤٥	٢- النهي
٤٧	٣- الاستفهام
٥٥	٤- التمني
٥٧	٥- النداء
٥٨	الإنشاء غير الطلبي
٦١	الدكر والحذف
٦٧	التقديم والتأخير
٧٣	القصر
٧٩	الفصل والوصل
٨٠	مواضع الوصل بالواو
٨١	مواضع الفصل

٨٧	الإيجاز والإطناب والمساواة
٩١	أقسام الإيجاز
٩٣	أقسام الإطناب
١٠١	عِلْمُ الْبَيَان
١٠٥	التشبيه
١٠٦	المبحث الأول في : أركان التشبيه
١٠٨	المبحث الثاني في : أقسام التشبيه
١١٠	المبحث الثالث في : أغراض التشبيه
١١٧	المَجَاز
١٢٣	الاستِعَارَة
١٣٣	المَجَاز المُرْسَل
١٣٩	المَجَاز المُرَكَّب
١٤٣	المَجَاز العَقْلِي
١٤٩	الكِنَايَة
١٥٧	عِلْمُ البَدِيع
١٦١	مُحَسِّنَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ
١٦١	التورية
١٦٢	الطُّبَاق
١٦٢	المقابلة
١٦٢	مراعاة النظر
١٦٣	الاستخدام
١٦٤	الجَمْع
١٦٤	التفريق
١٦٥	التقسيم
١٦٦	تأكيد المدح بما يشبه الذم

١٦٧	حُسن التعليل
١٦٧	اثنلاف اللفظ مع المعنى
١٦٩	أسلوب الحكيم
١٧٣	مُحسِّنات لَفْظِيَّة
١٧٣	الجناس
١٧٤	السَّجع
١٧٥	الاقتباس
١٨١	خاتِمة
١٨١	حُسن الابتداء
١٨١	حُسن الانتهاء
١٨٥	تَنبيه
١٩٥	الفهارس العامة
١٩٧	فهرس الآيات
٢٠٣	فهرس الأحاديث والآثار
٢٠٥	فهرس الأشعار
٢٠٨	فهرس أنصاف الأبيات
٢٠٩	فهرس الأعلام
٢١١	فهرس المذاهب والطوائف
٢١٢	فهرس الكتب
٢١٣	فهرس المواضيع

تم الصف والإخراج

بشركة فراس للطباعة والكمبيوتر

هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥

ألفية ابن مالك

في النحو والصرف

لإمام العربية العلامة محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي

رَحِمَهُ اللهُ (٦٠٠ - ٦٧٢ هـ)

شرح

فضيلة الشيخ العلامة النحوي

محمد بن صالح العثيمين

رَحِمَهُ اللهُ (١٣٤٧ - ١٤٢١ هـ)

اعتنى به

محمد بن فلاح المطيري